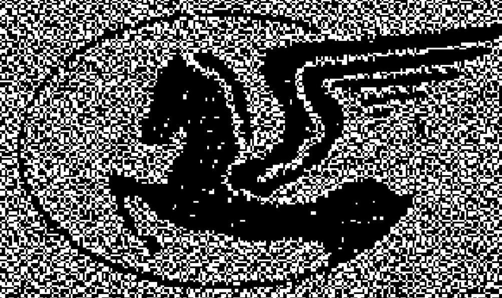
ايلول (سبتمبر) ١٩٧٩ - شوال ١٣٩٩



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

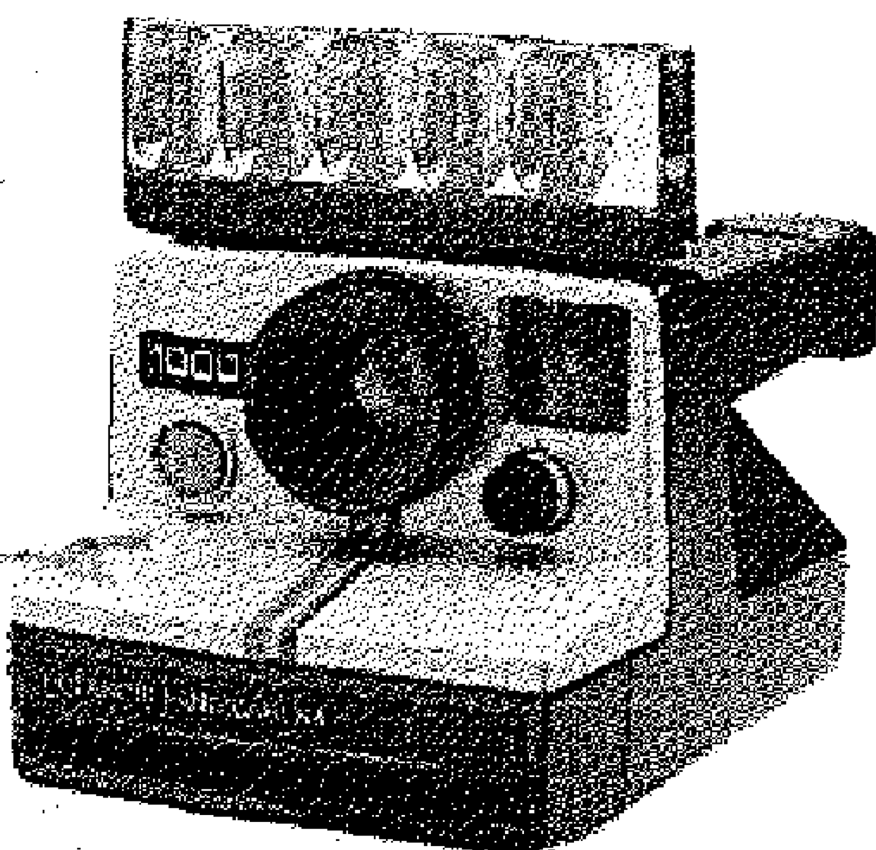
لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٤٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٦د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ٤٠د - كندا وامريكا المتحدة ٢د

اختر اللقطة التي تروق لك .
واضغط على الزر فقط !

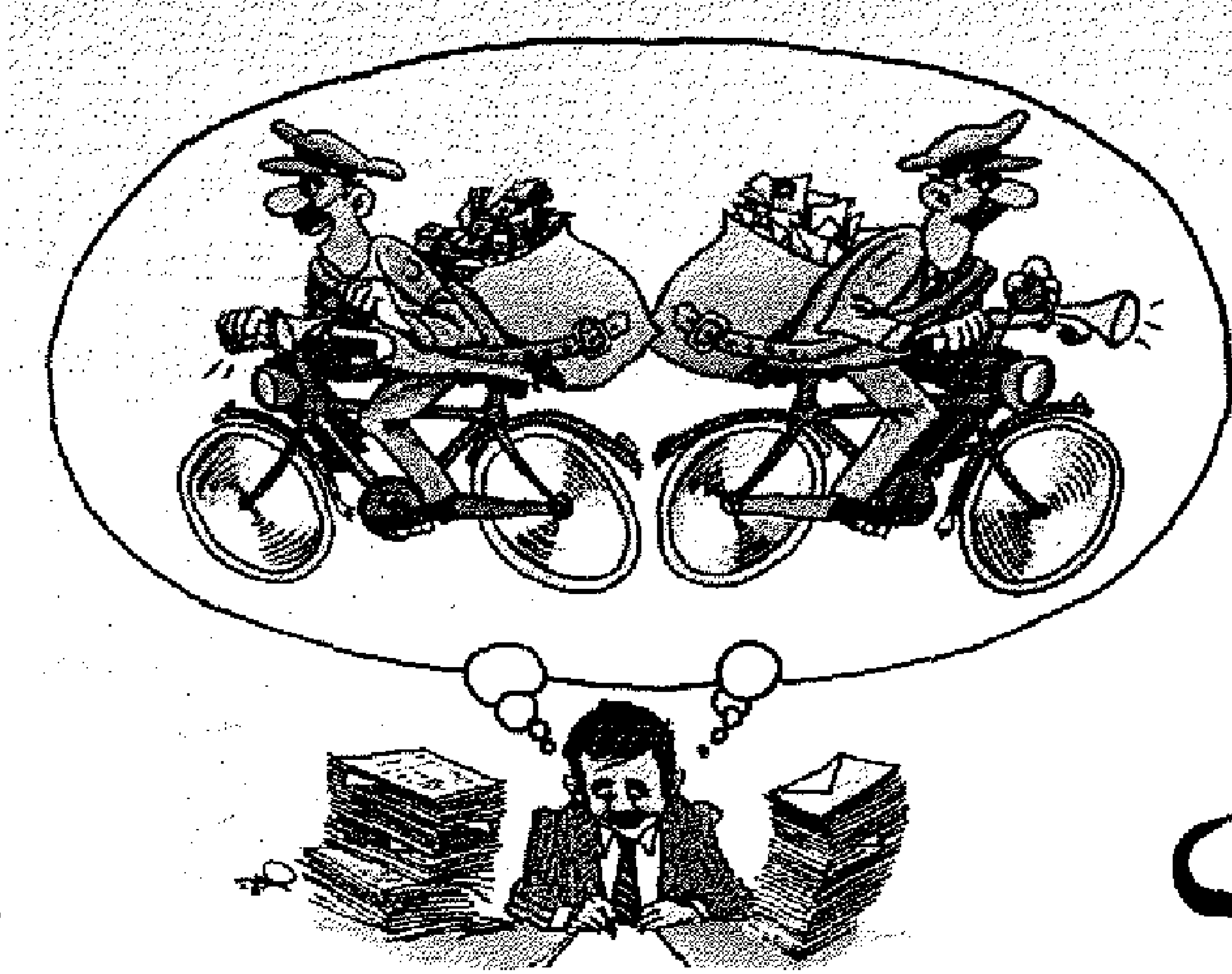
Polaroid 1000

بولارويد ١٠٠٠ تفعل الباقي .

آلة التصوير التي يرغبها العالم أجمع !
ليس هناك ما تعده ولا شيء تضبطه .. ما عليك سوى أن توجه آلة التصوير وتضغط على زر آلة التصوير الفوري بولارويد ١٠٠٠ الزهيدة الثمن التي ستقدم لك فورا صور بألوان إس. إكس-٧٠ الزاهية الخلابة التي تحمض نفسها تلقائيا أمام عينيك .
ليس هناك أسهل من هذه الطريقة لتسجيل اللحظات السعيدة وحفظها على مر السنين .
لا غرابة في أن العالم كله يرغب في إقتناء آلة التصوير الفوري بولارويد ١٠٠٠ !
إتصل فورا ..
بوكيل بولارويد المعتمد .



Polaroid
ثلاثون عاما
في طليعة التصوير الفوري



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- ○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).
- ○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- ○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.
- ○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

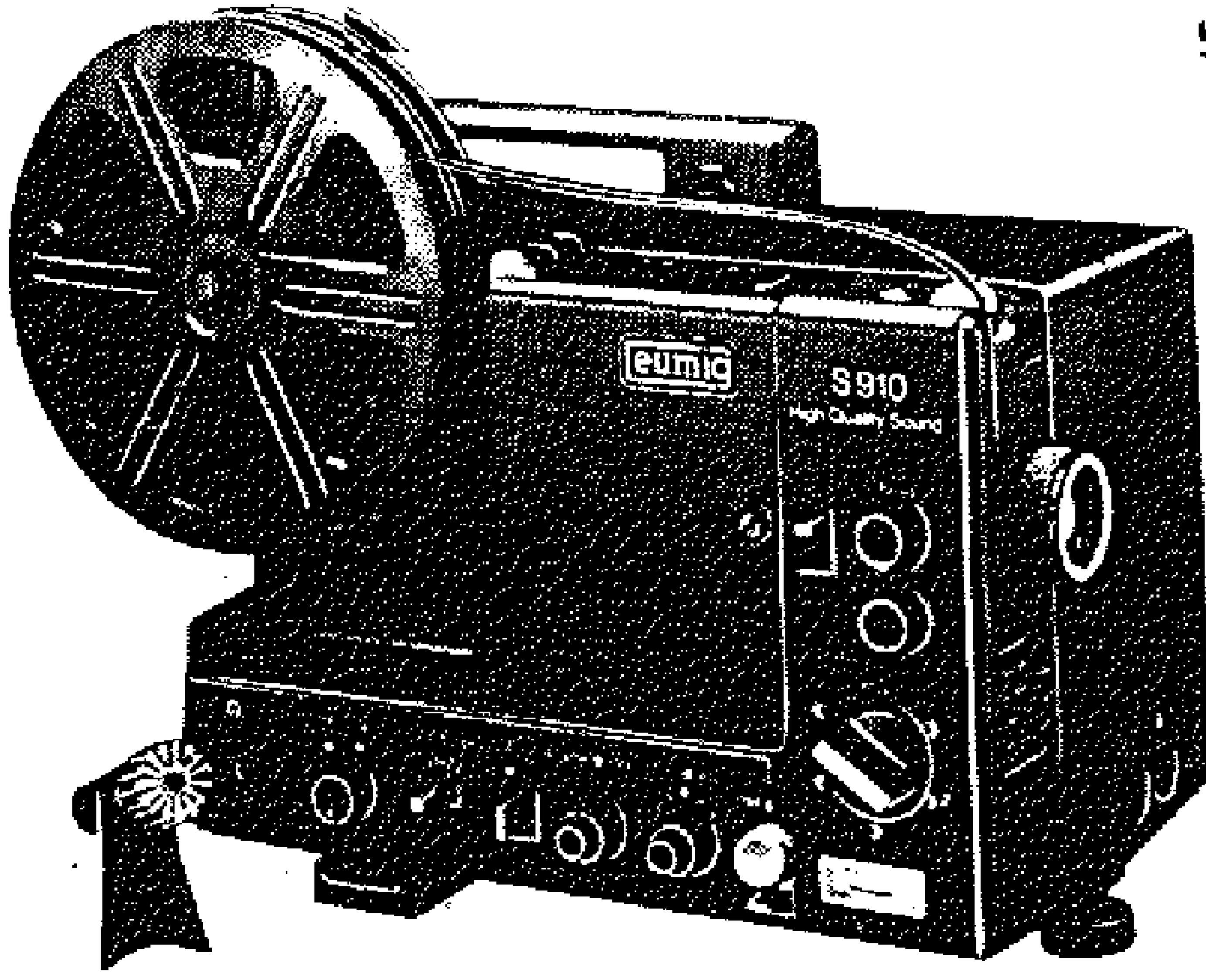
توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

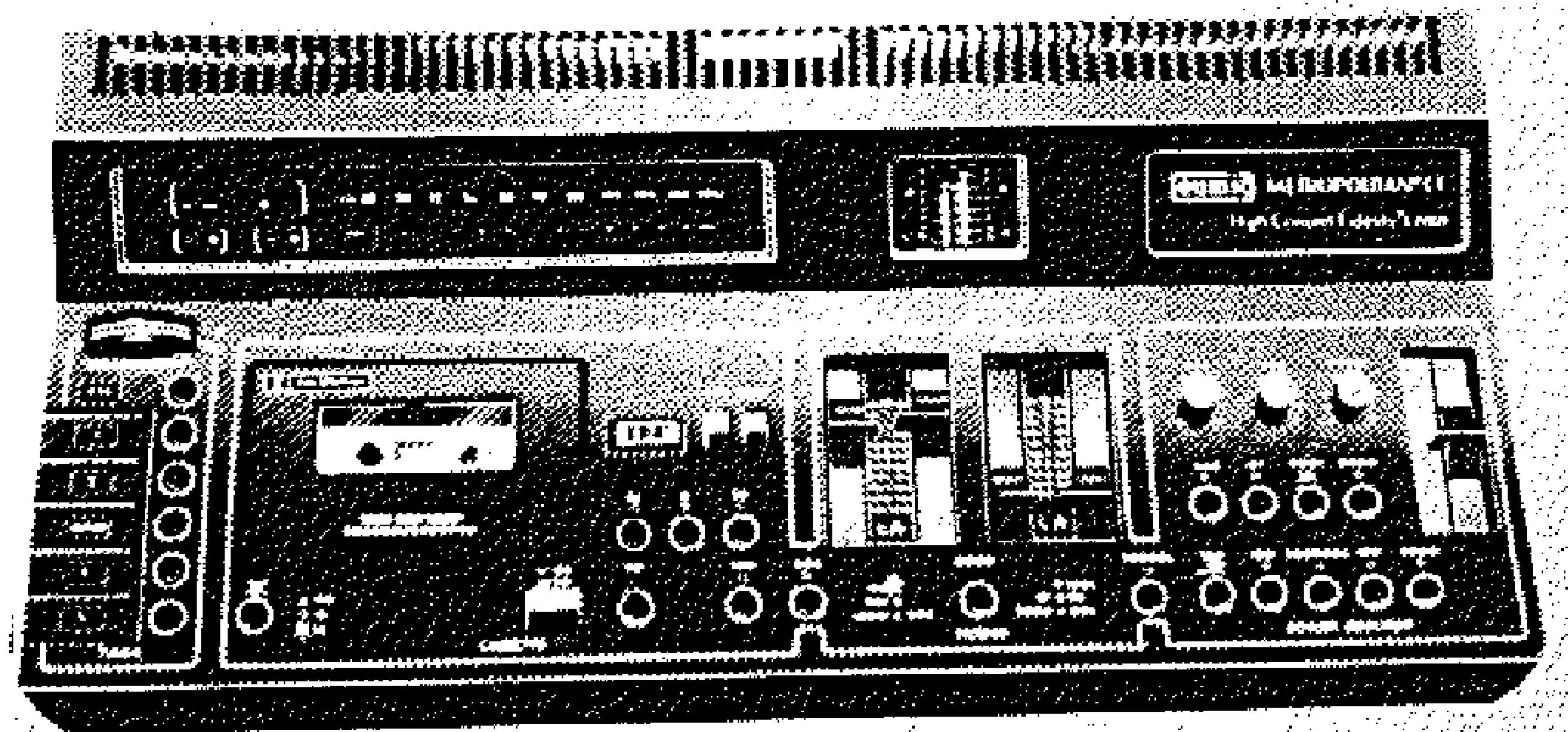
AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

النجاح يولّـد النجاح



ان الخبرة التقنية والجودة والدقة المتناهية وضعت
eumig في مقدم اجهزة العرض السينمائي الناطق ٠
واصبح النجاح حليف اجهزة *eumig* في العالم بأسره ،
بل اصبحت هي قدوة تحتذي بها الصناعة بأجمعها ٠
وقد عقد *eumig* العزم على متابعة هذه الخطة
ومواجهة المستقبل بكل ثقة في انجاز الاصناف الممتازة ٠
وانطلاقا من ذلك ، فان *eumig* يعمل دائما في الطليعة
على تطوير الكاميرات
السينمائية المزودة
بعدسات PMA
والكفيلة باعطاء
صور كبيرة ومتسعة في الاجهزة السينمائية الناطقة
او الصامتة على السواء ، علما بان منتجات
eumig توفر التسلية لملايين البشر في انحاء العالم ٠
هذا ، وبالاضافة الى كونه في طليعة صانعي
الكاميرات السينمائية واجهزة العرض ، فان *eumig*
يشغل كذلك مركزا فريدا بين صانعي منتجات HI-FI
"هاي في" ، بالنظر الى الجودة الفائقة التي يوفرها
لمراكز الحفلات الموسيقية المزودة باجهزة *eumig* وللكاسيت الموسيقية ٠ فهي تمثل
ذروة ما وصل اليه التطور في تقنيات الكاسيت واكتمال تزامن التعشيق ، اي الجودة
الصوتية الرفيعة الطراز بين احسن التسجيلات الشريطية والاجهزة الفونوغرافية ٠ وان *eumig*
مصمم على المحافظة على هذه المكانة
الفريدة ، وبالتالي فان *eumig* مصمم على
بقاء منتجاته في طليعة الصناعة المتنافية
لاجهزة الفيديو ، بفضل الخبرة التي احرزها
eumig وانجازاته التقنية المرموقة
وحرصه الاكيد على الجودة والاتقان ٠ ومن
الطبيعي اذا ان يكون *eumig* هو السباق
الى صنع المنتجات الممتازة المتقنة ،
اقتناعا منه بان النجاح يولد النجاح ٠
وبان سر النجاح يقوم على متانة الانتاج وجودة المنتجات ٠





eumig®



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: **مؤنس طه حسين.**
رئيس التحرير: **ادمون صعب.**
رئيس التحرير المعاون: **اديب صعب.**
مدير التحرير: **فؤاد غطاس كرم.**
امانة التحرير: **رينا نداف.**
الاخراج: **اروى سيف الدين.**

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس.

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية.

المؤسسون: **غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح.**

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:

TAMAM **شركة تمام**
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية ـ باريس.

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا.

الخط: **محمد ماجد.**

الطبعات الدولية لـ**"ريدرز دايجست"**
المدير العام: **جون أ. اوهارا.**
مدير التحرير: **آلان دوليرو.**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
N° DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: اوراق الخريف (ريبيكا مريليس)

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
September 1979 *(New Series)*. Vol.1



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY

Luxury in solid gold, from Omega

الرفاهية والأبهّة بالذهبِ، من أوميغا

Ω
OMEGA



تنتعش الدنيا كلما نظرنا اليها من خلال عيون الاطفال

العالم المشرق

في عنقي دين كبير لاب وابنه من احدى فرق الكشافة طرقا بابي ذات عصر وبادرني الصبي بقوله: "لقد كُلّفنا الاهتداء الى خطيب لاحتفالنا السنوي بعيد الاباء، فهل تتكرم وتأتي لتحدثنا ؟"

فقلت: "حسنا، اشكركم، ولكن ما الذي تريدونني ان احدثكم عنه؟" ورد الصبي عما شئت، فأنت ادرى. الحيوانات، أو الاقامة في المخيمات، او الحياة البرية... شيء من كتابك الجديد مثلا".

وكانت تلك أول مرة اقف فيها متحدثا في جماعة. ولست اذكر الآن ما حدثت به اولئك



الصغار باستثناء بعض الحكايات عن المخيمات. فكل ما اعرفه هو ان ذلك كان افضل حديث القيته في حياتي. افضل حديث في نظري انا على الاقل، لانه فتح لي الباب لولوج عالم جديد، واتاح لي فرصة الابتعاد عن آلتي الكاتبة ومقابلة الناس، ولا سيما الناشئين، فأصبحت زياراتي للكشافة مصدر تعليم وتثقيف لي.

ولن انسى ذكرى تلك الزيارة التي قمت بها لصف مدرسي من الصغار في السابعة من العمر، عندما عرضت امامهم شرائح (سلايدز) ملونة لبركان ثائر في هاواي يصب حممه في البحر، حتى اذا ما التقى الصهير مياه المحيط تصاعد البخار عمودا بلغ ارتفاعه ١٥٠٠ متر وكاد هديره ان يملأ الآذان.

وبعد ذلك، عرضت على الاطفال قطعة من الصهير المتجمد ليتأملها كل منهم بدوره، فتداولتها الايدي وبعد ان مرت بعشرين كفًّا صغيرة جاءني بها طفل، وقد اتسعت عيناه، وقال لي وهو يمسكها بحرص: "يا مستر رود، انها لا تزال ساخنة!"

ولعل اقصى ما اطمع فيه من نجاح هو ان اتمكن من بعث الحياة في قطعة خامدة من الصهير على هذا النحو، فكأني بذلك قد حرّكت وتراً في نفس صبي صغير، وانعشت فيه مراحات الخيال فأرتدت بدورها وحركت وترا في نفسي.

ولقد زرت مدرسة من دون ان تثريني زياراتي بلمحات جديدة مشرقة للعالم كما تبصره عيون الصغار. واذكر ما قاله لنا احد اساتذتنا عند تخرجنا في كلية العلوم: "على رغم انني لا ازال امارس الدرس والتدريس على نحو مستمر تقريبا منذ ان بلغت الثالثة من عمري، فانني اعتقد انه ليس في العالم طفل في الخامسة من عمره الا ولديه شيء يعلمني اياه".

وذات مرة، كان من المقرر ان اتحدث عن الثعابين في احدى المدارس، وكانت المدرسة تلقت في صباح ذلك اليوم ثعبانا عاصرا من نوع "البواء"، اطلق عليه اسم "جوليوس العصّار"، جاءها من وحدة تعاونية لاعارة الحيوانات. واستعرت الثعبان لاستعين به في خاتمة حديثي. وقلت للتلاميذ وهم يتداولونه: "لا تنسوا ان تغدقوا عليه كثيرا من الحب". فامتثلوا، واخذوا يلاطفونه ويشعرونه بمدى ما يحملونه له من عطف.

وبعد ان اتم الثعبان العصّار دورته وعاد الى قفصه، سألت التلاميذ عن رأيهم في الثعابين، فأخذوا يبدون ملاحظات عن لمعان جسم الثعبان، والوانه الزاهية وكيف يحنو ليلاقي اليد التي تربت عليه. ولكن احدا منهم لم يقل كلمة واحدة عن المميزات التي لا يتصف بها الثعبان في الواقع، وانا اعني بذلك صفات البرودة والرطوبة اللزجة وما الى ذلك من أمور ينسبها الناس الى الثعابين.

وقد تمكنت فتاة صغيرة من ان تعبر ببعض الكلمات عما يحدث عندما تتواجه تحيزاتنا بالحقائق، فأجابت: "الحقيقة انني لا استطيع القول انني اعرف شيئا عن الثعابين، لان جوليوس العصّار ليس ثعبانا عاديا... فهو جوليوس العصّار فحسب". ولعل مفتاح الامر كله ان يكون هو هذا الذي عبرت عنه الفتاة،

اي: ان التعرف على شخصية اي كائن حي كفيل بأن يجعلنا نتحرر من معظم مخاوفنا منه·

فضول الاطفال – ولما كانت مهنتي القاء الاحاديث، وقبل ذلك اجراء البحوث للاجابة عن استفسارات قراء دوائر المعارف، فانني اجد ان حب الاستطلاع المتفجر من الاطفال كثيرا ما يفتح لي آفاقا جديدة على الطبيعة· فهم يكتبون لي، مثلا:

– "طلبت مني معلمتي ان اكتب اليك لعلك تستطيع ان تجيبنا عن السؤال الآتي: "ما دامت الجاذبية تشدنا الى اسفل، فلماذا نحن ننمو الى اعلى؟"

– "هل للقطة سبعة ارواح حقا؟ لقد ماتت قطتنا بالامس، وكانت تلك هي المرة الاولى، فلماذا حدث ذلك؟"

– "كم يبلغ عدد العظام في جسم الفيل؟ (الحقيقة ان العدد قد يختلف، ولكنه عادة ٢١٦ عظمة)"

– "بماذا تفكر الابقار وهي مربوطة في حظيرتها طوال الليل؟"

– "اود ان اعرف كيف تصوغ البلورات الثلجية اشكالها الحلوة؟"

وكتبت الي ام طفلة عمرها اربعة اعوام تقول انها متحيرة في الاجابة عن سؤال وجهته اليها ابنتها، وتطلب مني او اوافي الصغيرة بالرد عليه· وكان السؤال: "هل ينام السحاب؟" و"هل يصدم الضفدع مقعدته بالارض حين يقفز؟"

لم يكن البحث الاصيل في هذا الموضوع من نطاق اختصاصي· ولم يكن في استطاعتي ان آتي بضفدعة واراقبها لكي اتبيّن القسم من جانبها الذي يصطدم بالارض عند القفز· ولكن السؤال كان مثيرا الى درجة كبيرة، خصوصا انني وزوجتي كنا من المهتمين بالمخلوقات التي تعيش في الماء، لذلك اجتهدنا في التقاط بعض الصور الفوتوغرافية على الضوء الومضي لعدد من الضفادع وهي تقفز، فاكتشفنا ان هذه المخلوقات ذات السيقان المتأرجحة تهبط من وثباتها على كل شكل يمكن تصوره بقوائمها الامامية اولا او بقوائمها الخلفية اولا او منبطحة على بطنها او واقعة على انفها··· ويتبين من هذا ان الرشاقة ليست من المزايا القوية التي يتصف بها الضفدع العادي·

اما حماسة الصغار فهي من اكبر بواعث سروري عندما ازور صفاً في مدرسة· ويتضاعف السرور عندما اصطحبهم الى الخارج، فاراهم لا يترددون في لمس كل نبات، مكسو بالزغب او غير ذي زغب، وتحسسه وشمه·

ويستوعب الاطفال بسهولة مجموعة من الحقائق المهمة عن النبات والحيوان، مثل طريقة تثاؤب النبات لدى الضغط عليه، او طريقة عدو السنجاب عندما تهبط قائمتاه الخلفيتان امام قائمتيه الاماميتين فيبدو وكأنه يركض الى الخلف·

وذات يوم حللت ضيفاً على مخيم صيفي للاطفال، فقال لي مدير المخيم: "ان "طريق استكشاف الطبيعة" يبدأ عند حافة الحديقة"، ثم لوّح بيده واستطرد: "وسيريك الاطفال الى أين يمتد من هنا"·

وخرجت الى "طريق الطبيعة" مع بضعة عشر من اطفال المخيم، وساعدتنا ابصارهم الحادة وحواسهم المرهفة على اكتشاف عش في شجرة مجوفة لعدد من صغار السناجيب الطيارة، ثم وقف الصبية والبنات

أجهزة فيليبس هاي فاي الصوتيّة تصِل ذروة جَديدَة من الإتقان

لقد كانت فيليبس دائما رائدة في دنيا الأجهزة الصوتية، سواء في أبحاثها في حقل الالكترونيات، أو في جودة الصوت، أو في المتانة المنقطعة النظير. ولهذا فانه ليس غريبا أن نجد أجهزة فيليبس تستخدم في ستوديوهات الاذاعة والتسجيل في مختلف بقاع العالم، حيثما كان المطلوب هو توفير أرفع المستويات وأرقاها. واليوم أصبحت هذه المستويات الرفيعة دائما في متناول يدك، في صورة أجهزة جديدة تعطيك الأداء الأفضل وتوفر لك خيارا أكبر في الأجهزة التي تريد. فهناك مسجلات ستريو، وراديو أي.ام. إف.ام. ومكبرات للصوت، وأجهزة تسجيل كاسيت ودولبي، ومسجلات قائمة تستخدم الأشرطة العادية، ومكبرات أخرى سهلة التركيب. أما اذا كنت تفضل جهازا متكاملا ستريو، يضم الراديو وموضح الصوت، والحاكي ومسجلة كاسيت، تجمعها كلها في وحدة أنيقة بديعة مع مكبرين للصوت، ففي هذه الحالة تجد أن اختيار الوحدة التي تجمع بين الأجهزة التي تريد أمر سهل اذا ما استعنت بوكيل فيليبس. انه سيشرح لك العديد من الحقائق الفنية المذهلة عن هذه المنتجات، ويقدم لك المعرفة والخدمة اللتين تستندان الى الخبرة الواسعة والامكانيات الهائلة التي تتمتع بها شركة رائدة في ميدان التكنولوجيا الحديثة، الا وهي شركة فيليبس.



فيليبس الأفضل لكم دوما

يتأملون تلك الحافة الشبيهة بالرف التي اتخذها السنجاب باباً امامياً لوكره الارضي. وصنعنا عددا من البالونات من اوراق النبات السميكة، ومجموعة من الصفارات من غصون شجرة الصفصاف.

وفي وقت الغداء جلست اتحدث الى مدير المخيم عن جولتنا الصباحية، فسألني عما اذا كانت لدي اقتراحات لتحسين "طريق الطبيعة"، فاجبت: "لا شيء في الحقيقة، سوى انني اقترح ان يمتد الطريق في حلقة تنتهي عند المخيم ايضا، تجنبا للعودة من الطريق نفسه".

فقال: "ولكنه يمتد بالفعل في حلقة طولها ٨٠٠ متر".

وكيف كان لي ان اتصور غير ذلك؟ لقد سحرتنا، انا وهؤلاء الصغار، فتنة ما وجدناه في طريقنا، حتى اننا لم نقطع على مدى ثلاث ساعات اكثر من ٥٠٠ متر، ثم عدنا ادراجنا.

وتذكرت آنذاك قولا لعالم الطبيعة الشهير لويس اغاسيس، عندما سئل عما فعله طوال الصيف، فأجاب: "لقد قضيته في السفر، ولقد قطعت منتصف المسافة عبر حديقتي الخلفية".

■ رونالد رود

حديث بلا موضوع

يستطيع الرجال قضاء ساعات طوال في الحديث عن موضوع واحد، اما النساء فلا يحتجن الى موضوع للقيام بذلك.

ك.غ.

الواقع والحلم

كتب وليم كاكستون، اول من استخدم الطباعة في انكلترا، المقدمة الآتية لكتاب "حكم الفلاسفة وأقوالهم" المنشور عام ١٤٧٧:

"ان نساء هذا البلد صالحات، دمثات الخلق، متواضعات، عاقلات، وقورات، عفيفات، مطيعات لازواجهن، صادقات، متكتمات، صارمات ومنهمكات في عملهن، لا يعرفن الخمول، يقتصرن في حديثهن، وفاضلات في كل ما يعملن... او هكذا يجب ان يكن على الاقل".

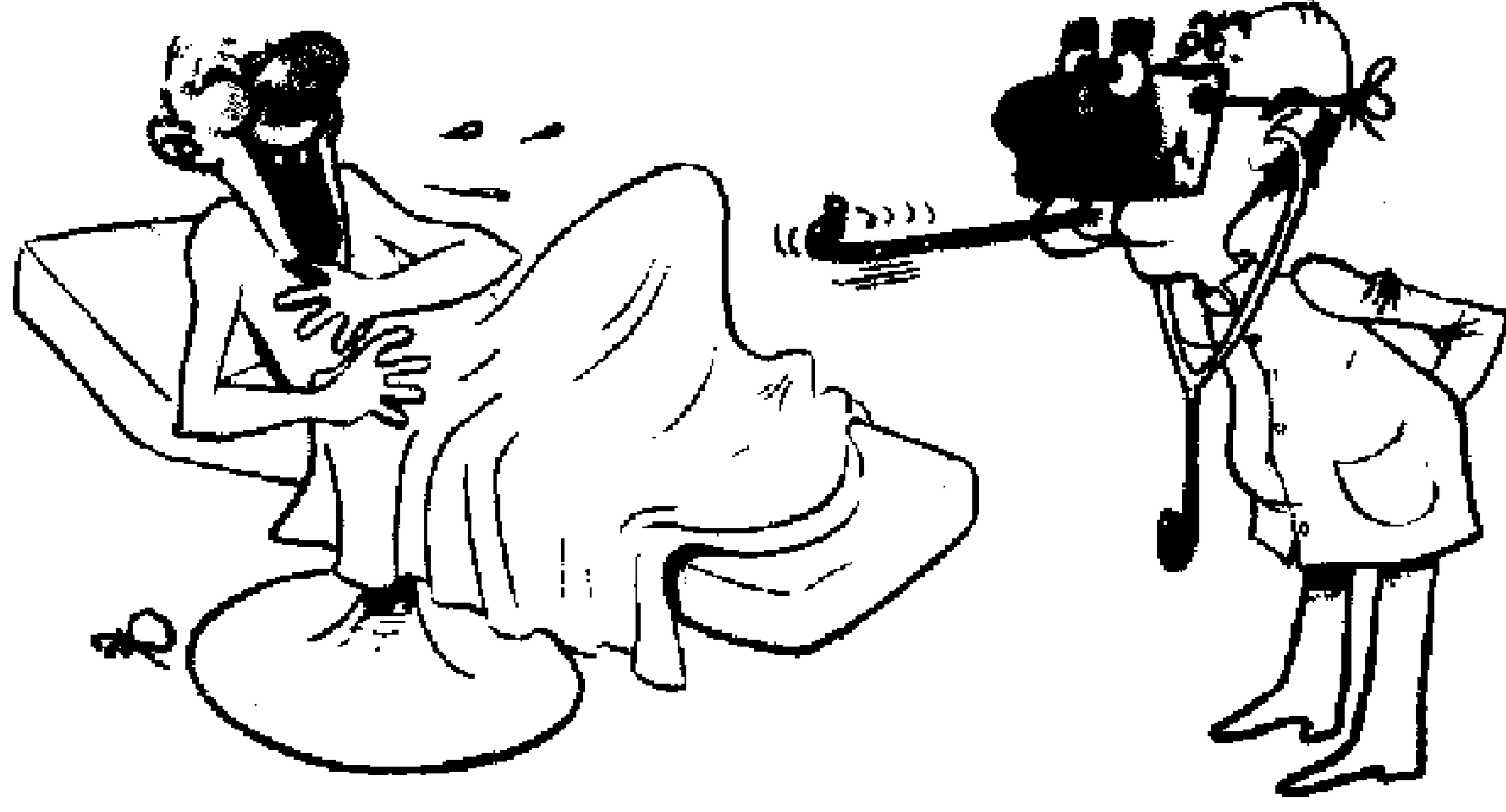
مغامرة خائبة

كنت اعود الى محل سكني في جامعة كيمبريدج بعد منتصف الليل. فقررت ان أعبر شقة مدير القسم الداخلي في صورة نظامية بدل المغامرة بالقفز من فوق السياج. وفيما كنت اتسلل على رؤوس اصابعي في مكتبه، سمعت وقع أقدام تقترب مني، فاختبأت خلف اريكة.

ودخل المدير وجلس الى مكتبه ليقرأ طوال ساعات وحين هم بالمغادرة، وجه كلامه الي بصوت مدوّ كالرعد: "من فضلك، اطفىء الضوء حين تغادر".

ت.ج.س.

الضحك خير دواء



العلاج بالهاتف

قصد المريض عيادة طبيب شهير، فظل ينتظر ساعة حتى سمح له بالدخول الى مكتب الطبيب. وبدأ يصف مرضه. ولم يكد يحدد موضع الشكوى حتى رن جرس الهاتف. فكان عليه ان يبدأ الوصف من جديد. لكن جرس الهاتف لم يرأف بحاله. وبعد اربع محاولات يائسة لسرد قصته تناول المريض قبعته واتجه نحو الباب. وهنا ناداه الطبيب: "الى اين انت ذاهب"؟ فدمدم المريض بغضب: "الى اقرب هاتف عمومي".

هـ.م.

تمثيل مزدوج

في عرض مسرحي في مدينة صغيرة، كان هناك مشهد يلقي فيه البطل نفسه في نهر، اذ يفترض ان يثب خارج المسرح فيما تستعين الفتاة المسؤولة عن المؤثرات الصوتية بحوض ممتلىء ماء لاحداث الصوت المطلوب.

وذات ليلة حان موعد اداء المشهد، لكن الفتاة لم تنتبه الى ذلك. وكان أن اصطدم الممثل بالارض محدثا صوت ارتطام عنيف من دون ان يكون صوت ارتجاج الماء. وللحظة ساد صمت ثقيل، ثم تناهى الى المشاهدين صوت الممثل ضعيفا: "يا الهي، لقد تجمد النهر تماما".

ج.ب.

السنة الطويلة!

قبل بضعة اشهر ذهبت وزوجتي لشراء بعض الحاجيات من السوق المجاور لبيتنا، فلفتني جهاز التدقيق الالكتروني الذي كانت موظفة المراقبة تستعمله. ولما لاحظت الموظفة اهتمامي بالجهاز راحت تشرح لي طريقة عمله، ومما قالت ان "عين" الجهاز "تقرأ" شيفرة على الغلاف تبين سعر البضاعة فيسجل دماغ الكتروني عملية البيع ويعدل كمية المخزون ويحوّل اسم البضاعة المبيعة وسعرها الى لوحة الى جانب الحاسبة فيخرج بعد ذلك شريط من الورق تظهر عليه المواد المبيعة واسعارها. وختمت الموظفة شرحها بالقول: "ان الدماغ الالكتروني لا يخطىء".

ولكوني مشككاً في طبعي رحت ادقق في الشريط وكان كل شيء على ما يرام حتى وصلت الى تاريخ اليوم فاذا به ١٩٧٨/٣٢/٨!

د.ج.م.

دعوة خبيثة

كان عليّ، بحكم عملي عريفاً لفصيل من الجنود، ابلاغ بعض جنود الاحتياط باعفائهم من برنامج تدريبي قاس. وحين ابلغت احدهم بذلك وكان يواجه صعوبة في الركض بسبب اصابة قديمة، اعتبر ذلك لطفاً زائداً مني وقال:"آمل يا سيدي ان اراك يوما ما اذا مررت بولاية الاباما".

فاعتبرت ذلك دليلا على حسن ذوقه ووعدته بتذكر دعوته. وإذ استدار ليغادر سألته "بالمناسبة، ماذا تعمل في الحياة؟" فاجاب بابتسامة عريضة: "انا شرطي في ولاية الاباما يا سيدي".

د.م.ع.

الزمن ليس في الصيدلية

يحب زوجي، وهو طبيب اختصاصي في المعالجة بالاعشاب، صياغة التعابير الجميلة. لكن تعابيره المرحة هذه احدثت ذات يوم بعض الاشكال. فبعدما غادرت مريضة جديدة عيادته ببضع ساعات اتصل به مسؤول في احدى الصيدليات قائلا انه بحث عبثاً عن العشب الجديد الذي يعالج نزلات الصدر والذي وصفه الطبيب لمريضته. وقد دهش الصيدلي عندما قال له زوجي انه ابلغ المريضة ان نزلة الصدر التي اصابتها لن يعالجها إلا قليل من "مسحة الزمن"!

م.م.

الجندي المجهول

يحظى فرانز موهر، الإختصاصي في الاجهزة الموسيقية - وهو الاقدم في مؤسسة ستاينواي واولاده - بثقة كثير من اعظم عازفي البيانو في العالم بحيث انهم لا يستغنون عن خبرته. وذات مرة، وبعدما انهى فلاديمير هوروتز عزف الجزء الاول من مقطوعاته في صالة شيكاغو الموسيقية، دعا موهر من وراء الكواليس ليخفض له منصة البيانو التي كانت عالية جداً.
وحين ظهر موهر على المسرح للقيام بالمهمة اخذ الجمهور يصفق له، وقال في ما بعد "كانت تلك اول مرة في حياتي احظى بها بالتصفيق."

ل.ف.

مرتان

حين كلف المدرس الشاب في كلية للبنات تدريس مادة الثقافة الجنسية، اضطر الى ان يكذب على زوجته ويبلغها ان المادة الجديدة التي يعلمها هي الملاحة.
فدهشت الزوجة وقالت: "ولكن ماذا تعرف انت عن الملاحة؟" فطمأنها الى انه قرأ كثيرا عن الموضوع وانه مستعد لتدريسه.
وفي اليوم الاول من الفصل الدراسي الجديد، كانت زوجة المدرس في انتظاره في الكلية لحظة انتهاء درس الثقافة الجنسية. فالتقتها طالبة متحمسة وهتفت: "ان زوجك رائع في تدريس هذه المادة".
وهنا تلعثمت الزوجة وقالت: "لكني لا افهم كيف حدث ذلك. فهو لم يجرب الامر سوى مرتين، فمرض بعد محاولته الاولى وفقد متعته بعد الثانية".

ج.ا.ت.

الحل الوحيد

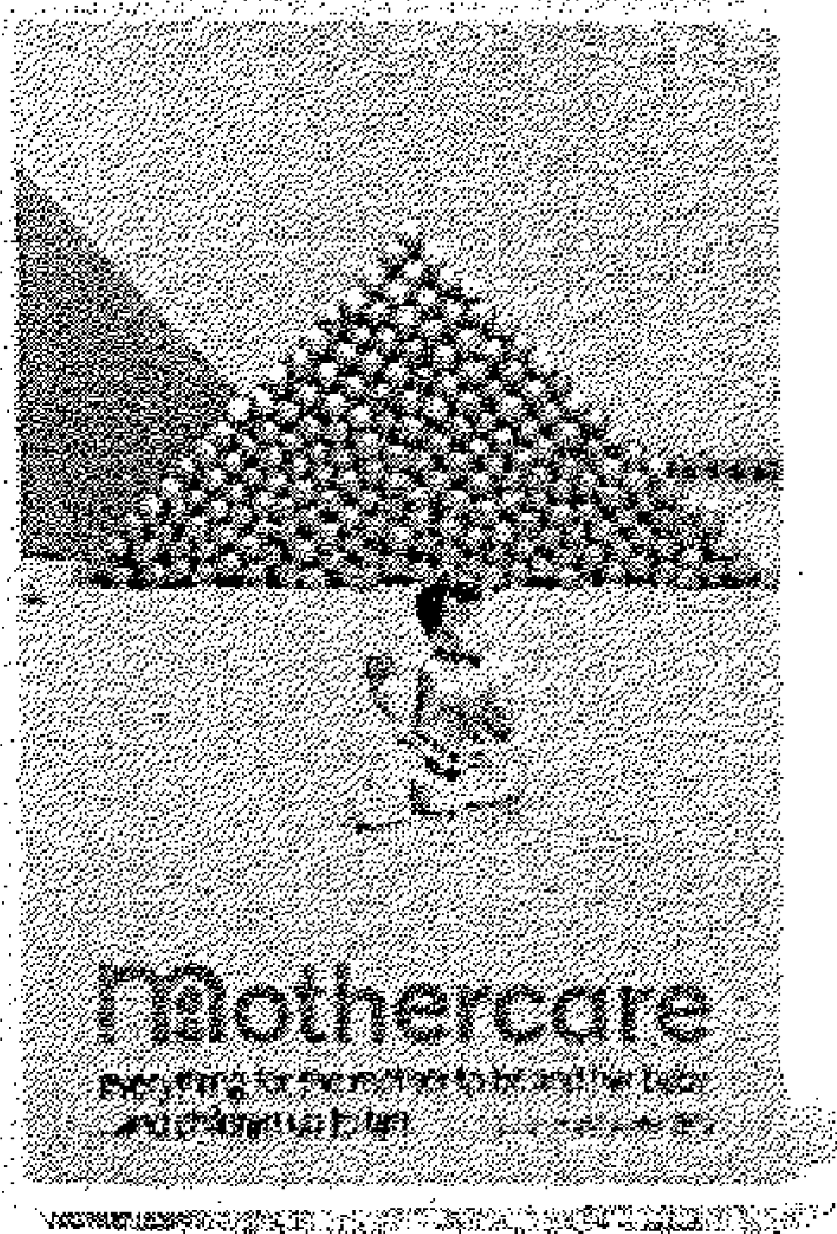
ذات ليلة، قبل سنوات، حاول ربان طائرة تابعة للخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار الاتصال بسفينة لخفر السواحل في المحيط الاطلسي لتزويده بمعلومات عن الطقس. إلا ان محاولاته لم تسفر إلا عن التقاطه عبر السماعات لثرثرة بين مضيفة على طائرة اخرى واحد ملاحي الباخرة.
-عمري اثنان وعشرون عاماً، وطولي خمسة اقدام واربعة انشات (١٦٠ سم)، قياس الصدر ٣٥ والخصر ٢٤والردفين ٣٥، شقراء الشعر، زرقاء العينين، اقيم في بروكلين، ورقم الهاتف....
□نحن جيران يا حبيبتي.هل تطبخين؟
- الكل معجب بفطيرة التفاح التي اصنعها.
□ سأكون عندك خلال ثلاثة اسابيع ويومين
وهنا انقطع الحوار وتحدث القبطان و. ب. جونز من الخطوط الجوية البريطانية:
- هذه طائرة "الطير المسرع" ايها المتوله. عمري واحد وخمسون عاماً، طولي خمسة اقدام وتسعة انشات (١٧٥ سم)، قياساتي ٤٢، ٣٢، ٣٥، ازرق العينين، مدبب اللحية، هل تريد رقم هاتفي؟
ساد صمت ينم عن ذهول البحار قبل ان يجيب الاخير بكلمة واحدة جافة: "كلا". اذ ذاك قال القبطان جونز: "إذاً هل يمكن ان اعرف حال الريح على ارتفاع ١٩ الف قدم؟

ديفيد بيتي ("قفزة في الماء")

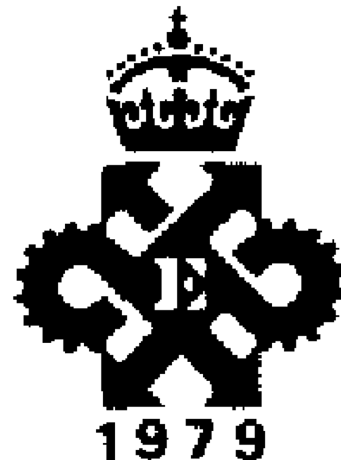
ونعني بذلك كـــل شــــيء فعلاً.
هذا ما ستدركينه بمجرّد أن تلقي نظرة على كتالوج منتجاتنا المصوّر والذي يحتوي على ٢٤٤ صفحة ملوّنة.
إنه مجـانـــي تماماً من غير مقابل. فاطلبي نسخة منه لكِ الآن! ثم اختاري ما تحبين واملئي اسمارة الطلب الموجودة في الكتالوج. وسنوافيك بما طلبتِه في الحال.
أما إذا لم ترضي بشيءٍ ما. فسنعيد لك الثمن دون أن نسألك أيّ سؤال.
ثقي بـ Mothercare®

Mothercare®-by-Post بالبريد .. أمر سهل للغاية .. كأنك تعدّين من ١ إلى ٣.
١ ارسلي الكوبون بالبريد الجوّي وسوف تتلقّين نسخة مجانيّة من كتالوج Mothercare® (ومعه نشرة توضيحية باللغة العربية).
٢ اكتبي طلباتك في اسمارة الشراء المرفقة بالكتالوج وارسليها بالبريد.
٣ سنلبّي طلباتك في الحال.

Mothercare®-by-Post







مجاناً! أرجو أن ترسلوا لي كتالوج خريف / شتاء ١٩٧٩ الجديد الذي يحتوي على ٢٤٤ صفحة ملوّنة.

اتركي هذا الكوبون لصديقتك أو للقارئة من بعدك

الى: Mothercare, P.O. Box 145, Watford, England

الاسم: (بحروف انجليزية واضحة رجاء)

العنوان:

البلد:

GX Mothercare®-by-Post

كل شيء للحوامل والرضّع والأطفال حتى سن العاشرة.

املئي هذا الكوبون لتحصلي على كتالوج لك

الى: Mothercare, P.O. Box 145, Watford, England

الاسم: (بحروف انجليزية واضحة رجاء)

العنوان:

البلد:

GW Mothercare®-by-Post

كل شيء للحوامل والرضّع والأطفال حتى سن العاشرة.

من الناس من يولد في سلالة المشاهير، ومنهم من يحقق شهرته بنفسه، وأما البعض الثالث، فأن الشهرة تترافد اليه في تدرج وهدوء من خلال الظروف

الطريق الى الشهرة

هل فكرت يوما في ما تودّ ان يخلّدك به الناس؟ ربما توافر لك الجواب عن هذا السؤال منذ الان، اذا كنت ناشئا في مقدورك ان تصبح صنوا لأينشتاين أو مايكل انجلو، تتفتح نظرياتك عن ثورة علمية فذّة، وتؤدى ريشتك الشهادة القاطعة على عبقريتك من سقف احدى كنائس "سيكستين".

اما اذا كان سبيلك الى الشهرة لم يتضح بعد، فلا تفقد الامل، لانك لا تدرى ما قد تأتيك به الايام إن ثابرت على المحاولة مثلما فعلت انا.

فعندما كنت طفلا في نيوزيلندا استطعت ان احقق شهرة قصيرة الأمد بجعل قدميّ متورمتين بمثابرتي على الهرب من المدرسة الداخلية عشر مرات. وقد افادني ذلك الشرود بتنمية غريزة الاستكشاف في نفسي.

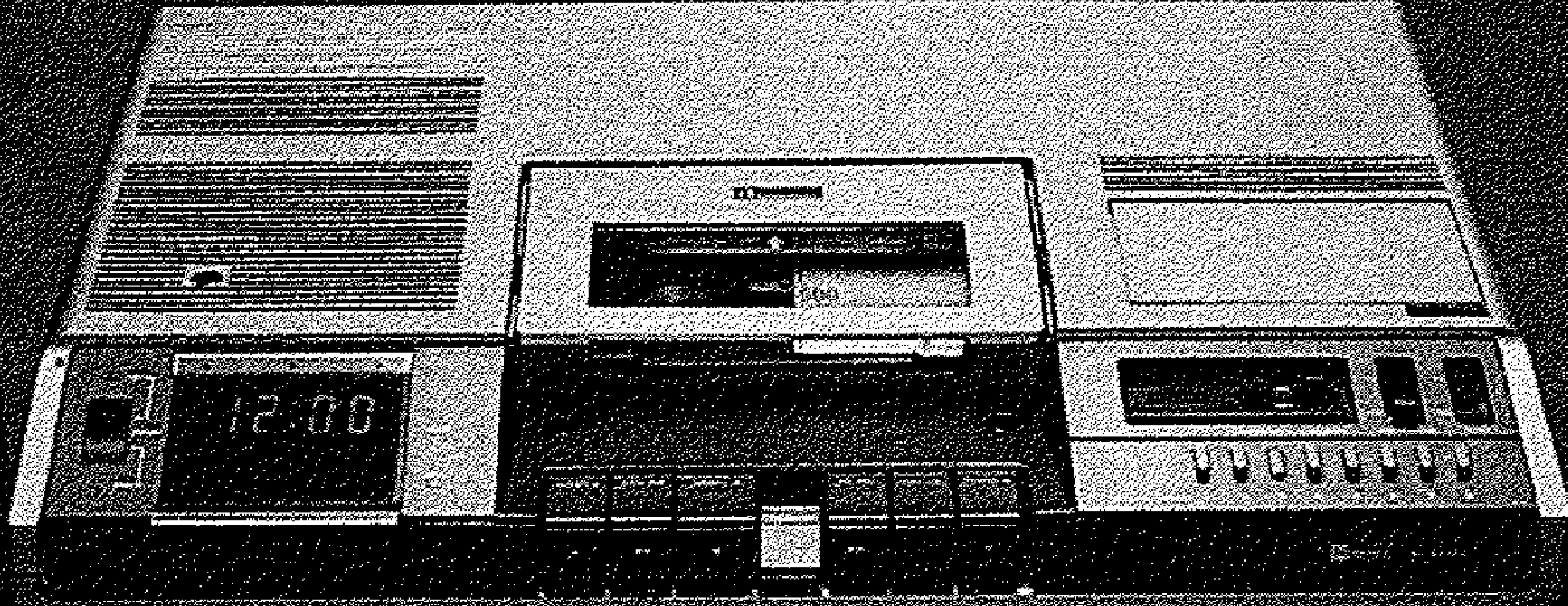
الا ان لقائي الاول للشهرة الحقيقية جاء بعد ان تحولت الى تسلق الجبال في السن العشرين. كانت هناك بدايات عدة غير موّفقة، من بينها سقوط من ارتفاع ٢٠٠ متر في جبل كوك (نيوزيلندا).

ولكنني نجحت مع رفاق لي في تسلق أعلى قمة جبلية في غينيا الجديدة للمرة الاولى. وقد اكتشفنا أرضا جديدة الى الغرب، ورحنا نطلق الاسماء على مواقعها، ونحييها بها كالجنية الرقيقة بعصاها السحرية. وتفضل أحد زملائي في مغامرة التسلق، فأطلق اسمي على كومة من الصخور، دعاها: "قمة تمبل". وبدا لى آنذاك أن مكاني في قائمة المستكشفين الخالدين قد غدا مضمونا، ما دام يتعذر تجاهل الجبال وقممها بسهولة.

سوني
SONY



في البداية ترينيترون، والآن بيتاماكس
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر



بال / سيكام
للتسجيل واعادة المشاهدة

في البداية انطلقت سوني بتكنولوجيا الفن التلفزيوني الى مستوى جديد بواسطة تلفزيون ترينيترون الملون. هذه التكنولوجيا تقدم لك الآن بيتاماكس، أول مسجل تلفزيوني للبيت. أربط بيتاماكس بجهازك التلفزيوني لتسجيل أي شيء ترغب بمشاهدة عرضه من جديد.

فإذا كان لديك برنامجان مفضلان في نفس الوقت، يمكنك مشاهدة احدهما في الوقت الذي يسجل فيه بيتاماكس الآخر.

ولتسجيل البرامج المفضلة أوتوماتيكيا وأنت خارج البيت، ما عليك إلا ضبط جهاز الوقت اليومي كما وان بإمكانك مشاهدة عرض التسلية المسجل مسبقا في أي وقت تشاء. حول غرفة الجلوس الى مسرح في البيت بواسطة الأفلام العادية والرومانسية، والبرامج العائلية من مختلف الأنواع.

بيتاماكس يستخدم اصغر فيديو كاسيت وادفره كلفة في العالم. وهو سهل التركيب والتعامل معه، وبالرغم عن أنه يتسع لشريط أطول من أي كاسيت آخر بالنسبة لحجمه، ويدوم اكثر من ثلاث ساعات.

كما وان جهاز بيتاماكس بو- لودنغ الذي انتجته وطورته سوني، أثبتت التجربة انه الأشد اعتمادا والاكثر متانة وحمولة اذاعية بين سائر أجهزة التسجيل التلفزيوني.

عشرون عاما من الاختبار في حقل التكنولوجيا، حققت لك أولا الترينيترون، وتحقق لك الآن بيتاماكس ... الابتكار العظيم بعد الآخر،

Sony Betamax سوني بيتاماكس

شاهد ما فاتتك مشاهدته

ولكن سوء الحظ، أو لعله العدل والانصاف، قد قضى أن تضم أندونيسيا اليها غينيا الجديدة الغربية التي أصبح اسمها "ايريان بارات"، فتغير بذلك اسم أعلى جبل في المنطقة كان معروفا أكثر من نصف قرن باسم جبل كارستنز، فأصبح يدعى جبل سوكارنو. وتغيرت أسماء أخرى كذلك، وعادت "قمة تمبل" الى حالها السابقة، مجرد كومة من الصخور بلا اسم.

وبدا لي أن هناك وسيلة أسهل لبلوغ الشهرة والخلود، ان لم تكن عن طريق الجبال فقد تتيسر عن طريق التلال الخُلديَّة، اي تلك التي تنتج من حفر الخلد لجحره. فقد تكرم أحد المتاحف الامريكية واولاني مهمة لمدة ١٨ شهرا أصبحت بمقتضاها صيادا معتمدا للحيوانات، وإن لم تكن بالضبط حيوانات كبيرة: ذلك أن المتحف طلب مني الاقتصار على جمع طفيليات الحيوانات فحسب.

ومضيت بأمانة واجتهاد أجمع أصناف القمل والبراغيث من مختلف الحيوانات في حوض نهر سيبيك الاعلى والادنى وفي أنحاء مرتفعات غينيا الجديدة. وقد عثر ملقطي على آلاف الطفيليات، ولكني كنت أتطلع دائما الى العثور على طائر الجنة الذي لم يكتشفه احد حتى الان، أو الحيوان الجرابي الجديد، احد انواع الثعابين التي لا يزال العلم يجهلها.

الجرذ الجرابي ـ وانتقلت الى جزر سليمان، وكان معروفا انها لا تحوي سوى نوع واحد من الحيوانات الجرابية يدعى "الابوسوم" وهو حيوان يتظاهر بالموت ساعة الخطر وسمعت لدى وصولي أن بعضهم قد رأى نوعا من الجرذ الجرابي، فتحمست وكتبت الى المتحف ان العثور على هذا النوع الجديد من الحيوان - وقد يكون جنسا جديدا - سيعتبر "حدثا علميا". ولكن الرد لم يلبث أن جاءني: "ابحث في أجسام الكلاب والقطط والبقر، وخصوصا الخنازير البرية، عن الحشرات الطفيلية. وابحث عن حشرات العثّ في الفتحة الإستّية لدى الخفّاش. وفي آذان الطيور وأكياس الحيوانات الجرابية".

ولم أتمكن أبدا من الاهتداء الى الجرذ الجرابي. بل أن كل ما نجحت في التقاطه في جزر سليمان هو: الملاريا.

وكان لا بدّ، والحال هذه، من تغيير الاوضاع والانتقال الى مشروع آخر. فلم ألبث ان انضممت الى بعثة استكشافية في رحلة الى المحيط المتجمد الجنوبي، على سفينة صغيرة لا يتجاوز طولها العشرين مترا، متّجهة الى جزيرة هيرد. وكان من بين المهمات المعهودة الى البعثة العمل على التثبت من أوجه الشبه بين أنواع الحشرات في القارات الجنوبية ومن أن مبعثها الهجرات على طول مسار الرياح الدائرة حول القطب. وكانت مهمتي تنحصر في اطلاق شبكة من موقع الصاري الامامي للسفينة، مرتين في اليوم، محاولا "اصطياد" ما امكنني من حشرات. وتعددت المناسبات المعاكسة، من الامواج التي تقتحم سطح السفينة بارتفاع خمسة أمتار، الى الرياح التي تمزق شباكي المسكينة، الى الثلج

الذى بتجمد في أجهزة السفينة· وبلغ مجموع ما اصطدته من حشرات طوال الرحلة بضع فراشات هربت من حريق على ساحل ولاية فيكتوريا في اوستراليا، أضيف اليها في عيد الميلاد بالون أخضر على شكل يسروع·

وبلغنا جزيرة هيرد، حيث المتوسط السنوي لدرجة الحرارة المئوية لا يتجاوز الصفر، وحيث متوسط سرعة الرياح الثلجية لا يقل عن ٣١ كيلومترا فى الساعة، في مناخ لا يمكن وصفه الا بالنذالة· ووجدت أن كل الذبابات والفراشات في هذه الجزيرة قد فقدت ميلها الى الطيران فضلا عن قدرتها على ذلك، فلم أصطد منها شيئا· وسرعان ما عدت الى الروتين القديم، أجمع القمل والبراغيث وغيرها من رفاق الطريق، واستخرجها هذه المرة من أجسام الطيور القطبية الجنوبية·

وغادرت جزيرة هيرد غير آسف· وانما بدأت رحلة العودة بهبوب أمواج ساحلية عنيفة اضطرتنا الى تخفيف حمولة القارب الذي نقلنا الى السفينة فتركنا على الشاطىء كل معداتنا، وكان ذلك آخر عهدي بالادوات التي كنت أستخدمها في جمع الحشرات والتى التقطت بها البراغيث في وادى نهر سيبيك، وحشرات العث فى جزر سليمان، بل والقمل أيضا في جزيرة هيرد··· وهي ذهبت كلها الى غير رجعة، واختفت معها كل تلك الاحلام والآمال في كومة صغيرة مبللة تقبع على شاطىء تلك الجزيرة التاعسة المتجمدة·

ولئن تكن الرحلة لم تنفعني بشيء آخر، الا انني قد تعلمت فيها الملاحة، على الاقل، فاستمررت في هذه المهنة حتى اصبحت معلما للملاحة البحريةفي احدي المؤسسات فى نيوزيلندا حيث أصبت شهرة (لازمتنى طويلا على غير ما توقعت) بصفتى الرجل الوحيد الذي نجح في اغراق قارب المؤسسة الذي يبلغ طوله عشرة أمتار·

ثمار المحاولات الفارغة — وبعد ست سنوات من المحاولات الدائبة، بدأت أتساءل: بماذا أفادتني كل هذه المحاولات؟ وأين هي النصب التذكارية التي أقمتها؟ ومن ذا الذي يعبأ بكل ما فعلته؟

عند هذه النقطة التي تدنَّى فيها حظي الى الحضيض، لمعت بارقة أمل من جهة غير منتظرة· فقد وردت علي رسالة من رجل اسمه كارلتون فيليبس يجري دراسات عليا في علم الحيوان في جامعة كانساس (بالولايات المتحدة الامريكية)· وجاء في الرسالة: أن خفاشا كنت قد التقطته في جزر سليمان قبل سنوات، قد وصله محفوظا فيالكحول واستقر على طاولة مختبره· وهو يسألني عما اذا كنت أتذكر أين عثرت على ذلك الخفّاش وفي اي تاريخ· وتذكرت على الفور جزيرة فيها كهف تقطر الرطوبة من جدرانه اللامعة في ضوء مشعلي، وتكسو أرضه فضلات خفافيش غاص فيها حذائي· وتتأرجح في ظلامه حشرات عنكبوتية غريبة، وتنتشر في جوه سقسقة الخفافيش المرتجفة في سحناتها الفرانكشتاينية المخيفة· تذكرت ذلك كله على الفور، وتذكرت معه الحرارة الخانقة والرائحة الكريهة·

وجاءني رد فيليبس مشبعا

بالحماسة. فهو كتب الي إن خفَّاش حزر سليمان هذا جديد على العلم وقد أطلق عليه اسم لاتيني معناه "الحصان الحديد" في اشارة جلية الى سحنته البشعة. لكن هذا الاسم ستضاف اليه الان كلمة "تمبل"، تقديرا لجهدي في اكتشافه. وأحسست بنشوة سرور لم يطل امدها. ذلك أن الاستاذ الجامعي الذي يشرف على بحوث فيليبس قد رفض اقتراح اضافة اسمي لانه يفضل أن يطلق على الخفَّاش اسما "ذا دلالة علمية".

غير أني مع ذلك بدأت أنظر الى مسعاي في ضوء جديد. فقد تعلمت على الاقل أن الانسان لا يجري وراء الشهرة ولا يختار عناصر ذكراه وانما الظروف هي التي تجيئه بذلك متى شاءت.

ولم تلبث صحة هذا الرأي أن تأكدت. فبعد ذلك اللقاء الفاشل مع الشهرة، تلقيت مجموعة من الابحاث عن دراسات علمية أجريت على الحشرات التي التقطتها في جزيرة هيرد اللعينة. ومضيت أتصفح هذه الابحاث تائها وسط اصطلاحاتها العسيرة ورسومها المعقدة، حتى اكتشفت حشرة مفصلية من نوع جديد أطلق عليها اسم "تولبيرجيا تمبل"، وحشرة عث أخرى أوشكت أن أغفل عنها حين كنت أقلب البراغيث والعث الكامن في جحر أحد الطيور البحرية وقد أصبح اسمها الان "ديفاماسيلوس تمبل".

لقد جاءني الخلود متسللا. لا عبر الجبال وانما عبر الحشرات. وفي القرون الآتية، ستبقى ذكراي حية في أذهان علماء الحشرات كلما نظروا الى هاتين الآفتين ماصَّتي الدماء.

وهكذا، اذا ما أصابك اليأس من تلقي الاعتراف بعبقريتك الطبيعية أو بالانجاز الذي كرست له حياتك، فالاجدر بك أن تتخذ موقفا فلسفيا تتمثل فيه بالشاعر الانكليزي "ألكسندر بوب" حيث يقول:

لست أحتقر الشهرة، ولست أسعى اليها،
فهي تاتي بلا دعوة، اذا ما جاءت على الاطلاق!.

■ فيليب تمبل

ضفدع مدلل

ذات يوم صادف الدوق ولنغتون (وكان قاسيا بطبعه) صبيا صغيرا يبكي بمرارة. وحين سأله عن السبب، بدأ الطفل يبين انه سيذهب في اليوم التالي الى المدرسة. ولم يدع الدوق فرصة للطفل لكي يكمل، فألقى عليه محاضرة قاسية واصفا فيها سلوكه بالجبن وبافتقاد صفات الرجل المحترم.

ومضت فترة غير قصيرة قبل ان يتمكن الطفل من توضيح سبب بكائه بأنه ليس ذهابه الى المدرسة بل قلقه على ضفدعه المدلل الذي لن يهتم به أحد سواه، وبالتالي لن يعرف مصيره. وكأي رجل مستقيم، اعتذر الدوق للطفل لاساءته اليه ووعده بأن يتابع بنفسه حالة الضفدع.

وبعد وقت تسلم الطفل الرسالة الآتية:

"يقدم الفيلد مارشال الدوق ولنغتون تحياته الى السيد... ويطيب له اعلامه بأن حال الضفدع حسنة".

مادج غارلاند (كتاب "الوجه المتغير للطفولة")

درس من ايران

ان ثورة ايران قلبت الكثير من المفاهيم واسقطت احد اقوى الانظمة واشدها ثباتا ، والعالم مدعو اليوم الى فهمها والتكيف معها

قبل سنة كان شاه ايران محمد رضا بهلوي يبدو اكثر الحكام اطمئنانا على عرش فارس الذي يعود الى ٢٥٠٠ عام. لقد كان حاكما مطلقا، يسيطر على احد اقوى الجيوش في الشرق الاوسط وعلى شرطة سرية دائمة الحضور، فضلا عن تمتعه بعائدات سنوية من النفط تبلغ ٢٠ مليار دولار. وكان خصمه الرئيسي الزعيم الديني آية الله روح الله الخميني (٧٨ سنة) يعيش في المنفى منذ ١٥ عاما. ومع ذلك، ففي الشتاء الماضي اكره الشاه على الفرار وعاد الخميني الى ايران منتصرا. لقد كان الخميني وانصاره مسلحين بما هو اشد رهبة من الآلة العسكرية المتطورة التي كانت لدى الشاه، وهو حرارة الايمان الديني.

لقد انفجرت في ايران ثورة دينية داعية للعودة الى الاصول الاسلامية، وترددت اصداؤها لدى ٦٠٠ مليون مسلم في العالم، من المغرب على المحيط الاطلسي الى اندونيسيا على حافة المحيط الهادئ.

ولئن اختلفت الظروف بين بلد وآخر، فان الثورة الايرانية هي، عموما، رد فعل لمحاولات تحديث الدول الاسلامية حسب الاسس الغربية. ولا يزال هناك دعاة اصلاح مسلمون يسعون منذ سنوات الى منافسة الغرب قوة وثروة عن طريق تشجيع التصنيع وتوسيع نطاق التعليم.

وان يكن الاخذ بالمثال الغربي في التحديث، حيثما تم، قد جاء سطحيا عموما ، فان الافادة منه اقتصرت على

نخبة تنتمي الى اعلى مراتب السلطة. ثم ان المحافظين بين رجال الدين يتذمرون من ان محاولات التحديث في بلدانهم قد ادت الى اضعاف القيم الاسلامية من غير ان تقدم اي بديل عنها. واستطاع هؤلاء اقناع اعداد متزايدة من المسلمين بان الوقت قد حان للعودة الى الاصول الشرعية الاسلامية.

قليلة هي التطورات التي تحمل مثل هذا الخطر على الدول الصناعية التي يعتمد ازدهارها الاقتصادي على استمرار تدفق النفط عليها من العديد من الدول الاسلامية المعنية. كذلك يحتمل، ان لم يتوقف هذا الانتاج، ان يعمد بعضحكوماتها الى خفض صادراتها من الذهب الاسود بغية حفظ ثروتها النفطية للاجيال القادمة.

الملايين الغاضبة ـ وسيكتب التاريخ عن الشاه انه اشهر ضحايا الثورة الاسلامية في ايران. لقد كان، كغيره من الذين حاولوا ادخال اصلاحات على المجتمع الاسلامي، يحلم بتحويل بلاده الى قوة صناعية من المرتبة الاولى. وبفضل العائدات النفطية الضخمة التي كانت في تصرفه، قرر ان يرقى ببلاده، في عقود، الى مستوى صناعي صرف الغرب لتحقيقه فترة تزيد على قرن كامل. وكجزء من برنامجه، اغرى الشاه ملايين الايرانيين بترك الارياف للعمل في المصانع الجديدة وفي مشاريع البناء في طهران وفي غيرها من المدن الايرانية. لقد كانت حياة هؤلاء العمال في المناطق الريفية قاسية، الا انهم كانوا على الاقل يتمتعون براحة نفسية في مجتمع اسلامي مألوف. اما في المدن فعاشوا نقيض هذا الوضع، منقطعين عن الروابط العائلية والمجتمعية. وكان التضخم الهائل يحول حياتهم الى صراع يائس من اجل البقاء، في حين ان ثروة النخبة الايرانية الحديثة النعمة، كانت تبدد في كل مكان.

الى هذا كله، فان الاتقياء من البروليتاريا الجديدة في المدن كانوا مستائين من بعض المظاهر الغربية كشرب الكحول علنا (يحرم القرآن الكريم الخمر صراحة) والمقامرة والسينما والمظاهر الخلاعية. كذلك استاء هؤلاء من تصرف الايرانيات المتحررات اللواتي كن يلبسن تنانير او سراويل (بناطلين) بدلا من الشادور وهو ثوب اسود تقليدي فضفاض يلف الجسم ويتدلى من الرأس حتى القدم.

وقد انضمت الطبقة الوسطى بدورها الى الثورة لانها رأت فيها وحدها، عبر اصوات رجال الدين، الطريقة الممكنة للاحتجاج علنا على الفساد الفاضح والتفاوت الاقتصادي فضلا عن التعذيب في ظل نظام الشاه. وليس من قبيل المصادفة ان تكون الجماهير هاجمت، خلال الاضطرابات والتظاهرات التي رافقت الثورة، المحلات الفخمة والمصارف والحانات (البارات).

وقد اثارت المصارف خصوصا، غضب المتظاهرين لان الاسلام يحرم الربا (الدين بالفائدة).

وكانت هاتان المجموعتان - العمال المسلوخون عن واقعهم الاجتماعي في الريف، وابناء الطبقة الوسطى المأخوذون بالنشوة - تؤمّنان جمهورا

متحمسا للنداءات المتصاعدة من رجال الدين المتمسكين باصول الشريعة. وكانت هذه النداءات تدعو الى اسقاط الشاه والقضاء على المظاهر الغربية في المجتمع الايراني وتطالب بحكم مستقيم يطبق الشريعة الاسلامية كما في ايام الرسول قبل ما يزيد على ١٣ قرنا. وفي محاولة لتحطيم سلطتهم، حرم الشاه رجال الدين الاشراف على الاراضي الشاسعة التي كانوا يديرونها كأوقاف، وانهى دورهم المهيمن على شؤون التربية والزواج والطلاق، وتجاهل شرطا دستوريا يمنح الزعماء المسلمين حق النقض في الاشتراع القومي. على ان هذه الجهود، بالاضافة الى القوة العسكرية التي كانت في تصرفه، لم تجد الشاه نفعا.

الايمان المطلق - ان بعض مظاهر الثورة الايرانية، كالتشديد على المبادىء الروحيةوتجديد التأكيد على السلوك الخلقي والعناية بالفقراء، يمكن ان تعود بالنفع على كل المجتمعات. لكن مصلحين مسلمين يقولون ان هناك شرائع وتقاليد اسلامية عدة قد وضعت على نحو يتناسب والمجتمعالذي كان سائدا في القرن السابع، وان هذه الشرائع والتقاليد - كما يقول دعاة الاصلاح - صعبة التنفيذ في عالم اليوم. ويضيف هؤلاء ان الداعين الى تطبيق الشريعة الدينية يطالبون مثلا بالعودة الى تنفيذ العقوبات الجزائية القرآنية كقطع ايدي السارقين ورجم الزناة، كما يريدون الغاء القسم الاكبر من المكاسب الصغيرة التي تحققت للمرأة الاسلامية.

الا ان الاسلام هو اكثر من فقه: انه ينص على طريقة تنظيم المجتمع. فالقرآن والاجتهاد يرسمان اصولا وقواعد للسلوك الفردي من المهد الى اللحد. كما يضعان مفاهيم دقيقة مفصلة لطريقة ادارة شؤون الحكومات. ان مفهوم الفصل بين الدينوالدولة لا وجود له لدى المسلمين المتمسكين باصول الشريعة. فالرسول والخلفاء من بعده لم يكونوا القادة الدينيين الاعلين فحسب، بل كانوا كذلك رؤساء حكومة وقادة جيوش. ولعل اهم ما في الامر ان الاسلام يتطلب الايمان المطلق من معتنقيه، وهو شيء يتحقق له في الواقع.

ان الثورة الدينية في ايران من شأنها تهديد انظمة اخرى في العالم الاسلامي. فالنظام المصري، مثلا، يواجه ضغطا من جماعة اسلامية تدعو للرجوع الى الشريعة الاسلامية بقصد تحويل مصر الى دولة اسلامية تأخذ كليا بالشريعة القرآنية. ولوحظت تحركات في هذا الاتجاه داخل جماعة سرية في مصر تدعى الاخوان المسلمين.

وكان العنف قد انفجر هناك. فحين تظاهر الفقراء في القاهرة قبل سنتين بسبب الارتفاع الفاحش في كلفة المعيشة، اغتنم المتطرفون الدينيون المناسبة لاحراق عدد من النوادي الليلية وافراغ زجاجات المشروبات الروحية في البواليع. واغتالت جماعة اسلامية متطرفة وزيرا سابقا في حكومة السادات لانه تجرأ على انتقادها علنا ووصفها بانها جاهلة لقيم الاسلام الحقيقية. ومع ان السادات نفسه مسلم تقي، الا انه

يفضل ان تبقى مصر، دولة معتدلة في توجهها، وهو عالج قضية الجماعات الدينية المتطرفة بدراية وعناية فائقتين. ولم يتحسن وضعه في هذا المجال بعد توقيع المعاهدة المصرية - الاسرائيلية، لانها في نظر المسلمين الداعين للعودة الى اصول الشريعة لا تعيد فورا الى العرب الاماكن المقدسة في القدس الشرقية.

ان الدعوة الى الحكم بموجب الاصول الشرعية الاسلامية تشكل خطرا على الانظمة الموالية للشرق والغرب على السواء. وهذا الامر ينطبق على اندونيسيا المؤيدة للغرب والغنية بالنفط وعلى ماليزيا المنتجة الاولى في العالم للصفيح والمطاط، كما ينطبق على افغانستان (الموالية للشرق) حيث يشن رجال القبائل الاسلامية في هذه الدولة المتاخمة للاتحاد السوفييتي حرب عصابات تتصف بالعزم والتصميم ضد نظام مؤيد للسوفييت تسلم السلطة على اثر انقلاب جرى قبل سنة. وقد عجزت افغانستان، على رغم مساعدة السوفييت الكبرى، عن القضاء على هذه المقاومة. وفي باكستان خرج دعاة العودة الى الاصول منتصرين. فبعد خلع الرئيس ذو الفقار علي بوتو الغربي الثقافة (ثم اعدامه في وقت لاحق)، اعلن حاكم البلاد الجديد الجنرال ضياء الحق العودة الى تطبيق احكام الشريعة القرآنية.

اكثر المتضررين — وثمة اعتقاد بان الاتحاد السوفييتي قد يكون اكثر المتضررين من هذه الموجة الاسلامية. ذلك ان دعاة تطبيق الشريعة في الحكم معارضون للسوفييت بشدة بسبب طبيعة الشيوعية الالحادية. وهكذا فان النفوذ السوفييتي الذي تراجع كثيرا في الشرق الاوسط يستمر تراجعه هناك الى حده الادنى. ولكن الامر الاكثر ازعاجا لموسكو هو ان ٤٠ مليون نسمة، في روسيا، هم مسلمون. وان الغالبية الساحقة لهؤلاء تقيم في آسيا الوسطى السوفييتية وان نسبة الولادات بينها هي اعلى بكثير مما لدى الروس الاوروبيين. ولذلك يتوقع ان يشكل السوفييت المسلمون في نهاية هذا القرن نحو ٤٠ في المئة من الطاقة البشرية الفتية في الاتحاد السوفييتي. واذا امتدت هذه الموجة الاسلامية الى آسيا الوسطى السوفييتية، فان موسكو ستجد نفسها امام خطر حقيقي.

ولدى تحليل وضع الثورة الدينية في ايران، يتراءى للمراقبين ان اوضاعا صعبة قد تنتظر بلدانا اسلامية عدة. ان آية الله الخميني وغيره من دعاة العودة الى الاصول الشرعية يصرون على انهم يستطيعون تحقيق التصنيع واقامة مجتمع اسلامي في آن.

ماذا يجب ان تفعل الامم غير الاسلامية حيال ما افرزته الثورة الدينية في ايران؟

يجب ان تتكيف معه. والمأمول بعد ذلك ان نتعلم درسا، وهو انه في عصر المركبات الفضائية هذا يمكن لدين ظهر منذ قرون عدة ان يثبت انه قادر على اسقاط اقوى الملوك.

■ **وليم. ا. غريفيث**

الكاتب محرر متجول للريدرز دايجست، ويشغل كرسي فورد للعلوم السياسية في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. وهو استاذ مساعد للتاريخ الديبلوماسي في معهد فلتشر للقانون والديبلوماسية في جامعة تافتس.

لا علاج سحرياً للمشاكل الجنسيّة

ان لكل زوجين حالا فريدة في ذاتها ،
لكن الصعوبات الجنسية التي تلجىءالازواج والزوجات
الى التماس العلاج تتشابه تشابها ملفتا

كان الشائع الى عهد قريب بين الازواج والزوجات الذين يعانون مصاعب جنسية هو أن يتحملوا عناءهم في خجل صامت. أما الآن، فان الكثيرين من الرجال والنساء يحملون متاعبهم الى اختصاصيي العلاج الجنسي، وأن يكن معظمهم لا يزال يعتقد أن متاعبه غير عادية، بل وفريدة في بابها. هذا ما تقوله السيدة باتريشيا شيلر المؤسّسة والمديرة التنفيذية للجمعية الامريكية لاختصاصيي التعليم والاستشارات والعلاج الجنسي وتضيف "ولكن الحقيقة هي انهم يأتون بالانواع نفسها من المشكلات، وأننا نواجه بالاسئلة والاستفسارات عينها مرارا وتكرارا".

فما هي اذا تلك الاسئلة التي تتكرر اكثر من غيرها على لسان الازواج والزوجات ويوجهونها الى اختصاصيي العلاج الجنسي؟

وقد تحدثت في هذا الموضوع مع عدد من اعضاء الجمعية الامريكية لاختصاصيي التعليم والاستشارات والعلاج الجنسي، وهي منظمة مهنية رائدة في ميدانها، كما انها الوحيدة التي تمنح، بموجب برنامج، اجازات لاختصاصيي العلاج النفسي المتلزمين بالقيم الاخلاقية. وهنا موجز لما اجمعت عليه آراء اولئك الخبراء:

○ هل تعني معاناتنا مشكلة جنسية أننا غير متحابين؟

اجابت على هذا السؤال دوروثي ستراوس، المديرة المساعدة للمركز الطبي لولاية نيويورك المعني بالشؤون الجنسية البشرية، في بروكلين: "كلا بالطبع. فان وجود علاقة جنسية جيدة بين طرفين لا يعني بالضرورة انهما متحابان! فهناك اسباب عدة قد تؤدي الى وجود صعوبة تعترض الزوجين في علاقتهما الجنسية، على رغم انهما متحابان بالفعل".

فمن الطبيعي ان تهدأ المشاعر العارمة لأيام الزواج الاولى بعد فترة، ولكن بعض الازواج والزوجات يقلقهم هذا "الهدوء" ويخشون ان يكون اشارة الى فتور الحب. وقد يكون السبب اعمق من ذلك، خصوصا عندما يكون احد الزوجين مثلا قد نشأ في عائلة تنظر الى الجنس كأنه امر "شائن". ولكن عندما يتحدث الزوجان عن جوانب اخرى من حياتهما معا، يبدو واضحا ان كلا منهما يحمل للآخر مشاعر حب عميق.

○ من منا هو المخطىء؟

لقد اظهرت الدراسة التي اجرتها الجمعية الطبية الامريكية عن السلوك الجنسى البشري، ان من المستحيل تقريبا ان تكون المشكلة الجنسية "امرا يخص احد الطرفين وحده، وانما هى امر يمسهما معا".

فقد ترجع مشكلات الفحولة الى خوف الرجل من الاحباط، او الى ما يتعرض له من ضغوط وسخرية من زوجته، او الى مركب من السببين معا. اما المرأة التي لا تبلغ النشوة فقد تكون ضحية حاجز نفسي، ولكن من المحتمل ايضا ان يكون زوجها جاهلا الطريقة الصحيحة لايقاظ رغبتها.

وفي بعض الحالات، تقع مسؤولية "الخطأ" على المعلومات غير الدقيقة المستمدة من مصدر خارجي. ومثال ذلك حال رجل في منتصف العمر شفي من نوبة قلبية، ثم طلب من طبيب الأسرة ان يخبره متى يستطيع ان يستأنف نشاطه الجنسي، فقال له الطبيب: "حاذر الافراط في ذلك والا تعرضت لنوبة اخرى" فخاف الرجل وتجنب النشاط الجنسي تماما تقريبا.

وطبيب الاسرة هو اول من يحمل اليه معظم الرجال والنساء همومهم ولكن معظم الاطباء، وغيرهم من المهنيين في ميدان الصحة، اما انهم يفتقرون الى الدراية الكافية اللازمة واما انهم يعانون هم توترا ازاء امور الجنس الى درجة تحول دونهم وتفهم الصعوبات التي يعانيها مرضاهم. ومن حسن الحظ ان كليات الطب والمنظمات المهنية قد بدأت تبذل مزيدا من الجهد لتدريب الاطباء في مجال الجنس.

○ لماذا اجد نفسي معظم الوقت فاقد الرغبة في ممارسة الجنس؟

ان تضاؤل الرغبة الجنسية هو من اكثر المشكلات الجنسية شيوعا، ومن اقلها نصيبا في الاعتراف به.

واذا كانت تلك الحال ترجع الى ملل روتين جنسي رتيب، فقد ينصح المعالجون بالممارسة في اماكن واوقات مختلفة او بأساليب مختلفة. وقد ينطوي الامر ايضا على عوامل بدنية، مثل المرض المزمن او عدم

التوازن في الهرمونات الجنسية او الآثار الجانبية لبعض الادوية، او الافراط في تعاطي العقاقير المهدئة او الكحول او العقاقير المضادة للاكتئاب او مجرد الارهاق العادي. وتقول الاختصاصية مارشالاسويل: "ان الطاقات الجنسية كثيرا ما تستنزفها الجهود التي يفرضها علينا العمل المنزلي والوظيفة والحمل والولادة من دون ان ندرك نحن حقيقة الامر".

غير ان تضاؤل الرغبة يكون في اكثر الحالات ستارا يخفي صراعات عاطفية، كما تقول الدكتورة دومينا س. رانشو، الاختصاصية في العلاج النفسي ومديرة عيادة الخلل الجنسي الوظيفي في جامعة لويولا في شيكاغو. "وقد تراوح هذه الصراعات من السيطرة الارادية على التعبير الجنسي الى القلق حول الاداء الجنسي نفسه، ابتداء من خوف الرفض الى الغضب والعداء المكبوتين".

○ هل هناك دواء يمكن تعاطيه لتحسين الأداء الجنسي؟

"على رغم ان المشكلات الجنسية ترجع، في جانبها الاكبر، الى اصول نفسية، الا ان معظم الرجال - والنساء ايضا ولكن بدرجة اقل - لا يريدون الاعتراف بأن المشكلة قد تكون كامنة داخل نفوسهم". ويضيف الاختصاصي في العلاج روبرت رايتمان، رئيس المنطقة الغربية لجمعية الدراسات العلمية للجنس: "ولذلك فهم يريدون علاجا سحريا".

وتقول دوروثي ستراوس: "ان المعالج الجنسي الامين يقترح دائما اجراء فحص طبي للتأكد من عدم وجود سبب عضوي (فيزيولوجي) للمشكلة. وافضل العلاج هو ذلك الذي يستهدف معاونة المريض في التغلب على العوائق العاطفية والنفسية التي تحول بينه وبين الاستمتاع الجنسي. وتزداد صعوبة هذا المسعى اذا كان المريض او المريضة يبحث عن الراحة الفورية من متاعبه عن طريق حبة يبتلعها او حقنة يأخذها".

غير ان احد الاستثناءات التي قد تعين فيها العقاقير هو ذلك الذي يتعلق بالنساء اللواتي بلغن سن انقطاع الحيض (سن اليأس). وتقول الاختصاصية ستراوس في هذا الصدد: "ان هبوط مستويات هرمون الاستروجين في هذه الحال قد يجعل انسجة المهبل رقيقة واقرب الى الجفاف بسبب انخفاض رطوبتها، فتصبح المباشرة الجنسية مؤلمة. وقد يصف الطبيب في هذه الحال دهانا يدخل في تركيبه هرمون الاستروجين كي تصبح المباشرة مريحة".

○ هل من الطبيعي ان تطوف في ذهن المرء خيالات عن اشخاص آخرين اثناء ممارسته الحب مع زوجه؟

الجواب هو ان امثال هذه التخيلات امر شائع، على رغم ان بعض الناس ينتابهم الاحساس بالذنب من جرائها لانهم يعتقدون انها تمثل رغبات لا شعورية. غير ان مارشالاسويل توضح الامر فتقول: "ان هناك حدودا حاسمة بين التخيلات والحقيقة. واذا استخدمت التخيلات بالطريقة نفسها التي يستخدم بها الناس الوسائل المساعدة الاخرى، مثل الموسيقى والعطور والانوار الخافتة والاسرة المخملية، فانها عندئذ تكون في نطاق السلوك الطبيعي تماما".

ويقول اختصاصيا العلاج الجنسي لي ودون غريبللو ان تخيل ممارسة الجنس مع شخص اخر يؤدي بالفعل المهمة نفسها التي تؤديها الملاطفات التمهيدية، اما لزيادة قوة الرغبة واما لصرف دواعي القلق التي تشتت الذهن والتي قد تؤدي بذلك الى مشكلات العفة لدى الرجال او القصور عن بلوغ ذروة النشوة لدى النساء.

○ ما القول في الشخص الذي يشبعه الاستمناء بمقدار ما تشبعه المباشرة الجنسية؟ هل يكون غير سوي؟

ان قياسات معدل ضربات القلب وضغط الدم وتقلصات العضلات كلها تبين ان النشوة المستمدة من الاستنماء تميل الى ان تكون اكثر شدة وتركيزا من نشوة المباشرة لدى بعض الافراد من الذكور والاناث. ويقول الاختصاصي آرثر لامفير: "ان من اسباب ذلك ان الاستجلاب الذاتي للذة يكون حرا تماما من كثير من المتطلبات والتوقعات التي تصاحب المباشرة بين طرفين، كما أن رد الفعل يكون فيها سريعا لما يثير احاسيس المتعة وما لا يثير تلك الاحاسيس.

ونتيجة لذلك، فأن الاستمناء كثيرا ما يمهد الطريق لعلاقات جنسية أفضل بين الطرفين، كما يحدث مثلا في حالة المرأة التي تقصر عن بلوغ النشوة بالمباشرة مع الزوج فتتعلم بلوغها بالاستمناء الذاتي ومن ثم تصبح قادرة على ان توجه زوجها الى الطريقة الملائمة لملاطفتها حتى يمكنها ان تبلغ النشوة اثناء المباشرة".

○ أليست فكرة الممارسة المتعمدة لمختلف اساليب المباشرة الجنسية فكرة مرذولة من الناحية الاخلاقية؟

الرد على هذا السؤال يتولاه ألبرت إليس الاختصاصي المخضرم في علاج اضطرابات الجنس في نيويورك، فيقول: "ان من الصواب، من الوجهة الاخلاقية، اتيان كل ما يؤدي الى زيادة المتعة لدى الشريكين، ما دام ذلك لا يلحق ضررا بأحد. والواقع ان الامتناع عن ممارسة مختلف اساليب المباشرة التي تزيد المتعة قد يكون هو العمل غير الاخلاقي".

ويتحدث باري مكارثي الاختصاصي في علم النفس السريري (الاكلينيكي) عن رجل يدعى اليكس كان يعاني القذف المبكر، وقد هددته زوجته بالانفصال عنه ما لم يبذل جهدا لمعالجة الامر. ويقول مكارثي: "كان اليكس يعتقد ان تلقيه دروسا في الجنس امر مرذول، ولكنه ما ان تقبل، من حيث المبدأ، الفكرة القائمة على ان التحكم في القذف ليس سوى قدرة او مهارة يمكنه ان يطورها ويحسنها بالتدريب، حتى استطاع التغلب على مشكلته خلال شهرين فقط".

○ ما هو افضل انواع العلاج الجنسي؟ وكم من الزمن يستغرق؟

تقول دوروثي ستراوس: "ليس هناك اسلوب واحد للعلاج فعال بالنسبة الى جميع الناس. وأفضل انواع العلاج هو ذلك الذي تثبت فعاليته على مستوى الفرد صاحب المشكلة".

ويتبع معظم الاختصاصيين الاسلوب الذي ابتكره الباحثان في شؤون الجنس الدكتور وليم هـ.

ماسترز وفيرجينيا جونسون. ويوجز هذا الاسلوب بالآتي:

يتبادل الزوجان في خلوتهما الملاطفة الجسدية، من دون ان يكونا واقعين تحت ضغط ضرورة القيام بالمباشرة الجنسية، لأن ذلك يكون ممنوعا في هذه المرحلة. ثم يعقد الزوجان جلسات مع الاختصاصي او الاختصاصية في المكتب تتناول احاديث عن وسائل معالجة المشكلات الخاصة بهما من دون غيرهما...

ولما كان العلاج الجنسي يتطلب استثمار مقدار كبير من الوقت والمال، فان هناك سؤالين يجب ان يوجههما كل زوجين يعتزمان تلقي علاج للتغلب على صعوبة جنسية ما، وان يكن الكثيرون يحجمون عن توجيههما. واول هذين السؤالين هو:

○ ما هي مؤهلاتك كأختصاصي في العلاج الجنسي؟

ان الحد الادنى الذي لا يجوز الرضا بأقل منه هو ان يستطيع الاختصاصي في العلاج الجنسي ابراز شهادة بأنه اختصاصي في هذا الميدان او بعضويته في منظمة طبية/ اكلينيكية يمارس اعضاؤها المعالجة المهنية للشؤون الجنسية البشرية.

الى ذلك، هناك وسائل اخرى لتقويم كفاية الاختصاصي في العلاج نشير اليها في ما يأتي:

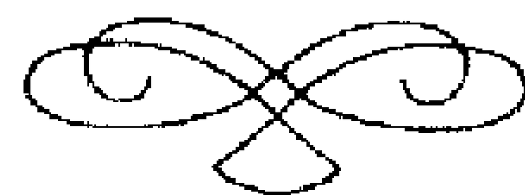
ان يطلب الاختصاصي من مرضاه اجراء فحص طبي لاستبعاد المشكلات العضوية "البدنية" التي قد تكون سببا في الصعوبات الجنسية، وان يسجل بدقة التاريخ الجنسي لمرضاه، وان يكلفهم "واجبات منزلية" وان يضمن لهم الخصوصية الكاملة في جلساته معهم والسرية التامة لكل المعلومات التي يطلع عليها والمعاملات التي يجريها، وان يلتزم بقواعد اخلاقية اثناء جلسات العلاج، وان يمتنع عن فرض قيمه الجنسية الخاصة على مرضاه، سواء اكان المعالج او المريض رجلا او امرأة.

اما السؤال الثاني الذي يجب توجيهه فهو:

○ هل يمكن ان يفيدنا العلاج الجنسي حقا؟

على رغم ان العلاج الجنسي لا يزال احدث من ان يتاح الحكم على آثاره في المدى الطويل، الا ان البيانات المستمدة من بحوث ماسترز وجونسون وغيرهما تبين ان معدل النجاح في التغلب على المشكلات الجنسية يبلغ ثمانين في المئة. وعندما يجري التعامل مع اختصاصي معالج مؤهل تأهيلا سليما، فان الارجح هو ان يسفر العلاج عن تزويد الزوجين بما يلزم من المهارات والثقة التي تكفل لحياتهما الحميمة السعادة والهناء.

■ نورمان لو بسينز



الزواج سعادة؟

لا يتوقع أي أمرىء رؤية شخص أعزب ينعم بالسعادة، لكن الناس يستغربون كثيرا ان لم يروه سعيدا بعد الزواج.

راينر ماريا ريلكه

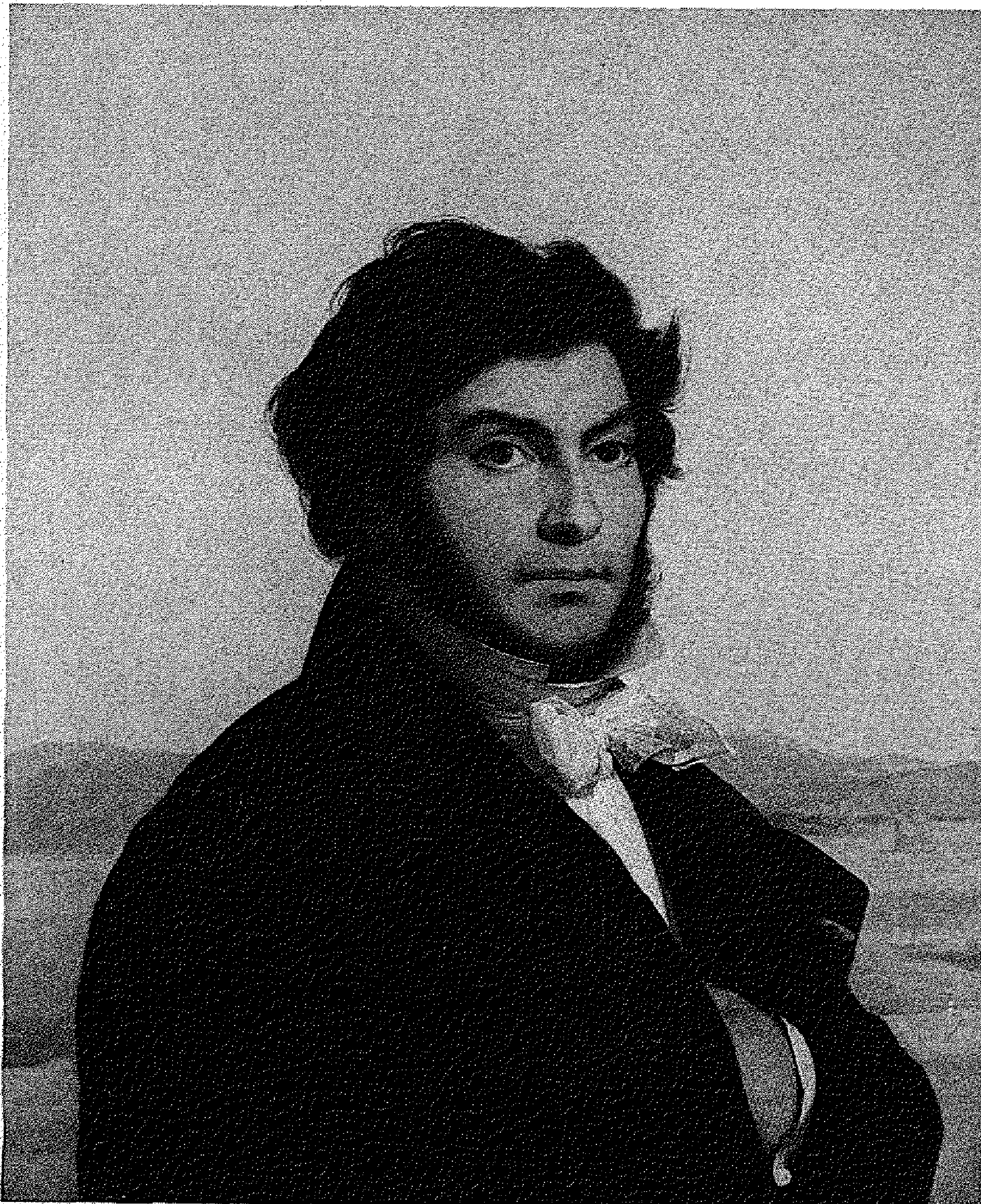
بفضل تكريس هذا العالم العظيم جهوده طوال حياته القصيرة المثمرة، تحقق اخراج ثلاثة آلاف سنة من تاريخ مصر من غياهب الزمن الى النور عن طريق فك رموز اللغة الهيروغليفية

شامبليون: إحياء ٣٠٠٠ سنة من تاريخ مصر


ان الكثرة الغالبة من الزائرين الذين توافدوا الى متحف اللوفر في باريس صباح أحد ايام اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٢، لم يكونوا يستهدفون التعبير عن الاجلال البالغ حد التقديس لابتسامة الموناليزا المبهمة. بل كانوا يقفون في صف، منتظرين ادوارهم بهدوء وصبر لمشاهدة قطعة من حجر البازلت البركاني الادكن ترتفع ١١١ سنتيمترا ويبلغ عرضها ٧٣ سنتيمترا، وهي مغطاة برموز كاد يمحوها الزمن.

هذه البلاطة المعارة من المتحف البريطاني في لندن هي "حجر الرشيد" (على اسم البلدة المصرية التي وجد فيها) الذي كان السبيل لاحد الاكتشافات التاريخية الكبرى. وبواسطته تمكن جان فرنسوا شامبوليون، منذ ١٥٠ سنة، ان يفك رموز الكتابة المقدسة في مصر القديمة، وان يزيل بذلك ظلمات الزمن عن ثلاثة آلاف سنة من التاريخ المنسي.

لقد فتنت روعة الآثار المصرية الضخمة العالم طوال قرون، على رغم ان المعروف عن حضارة تلك الدولة كان ضئيلا جدا ويكاد لا يذكر. ففي تلك الاودية الرملية او في ظلمات المدافن، كان الالهة والملوك والاشراف، بتماثيلهم المنحوتة من



شامبوليون بريشة ليون كونييه (متحف اللوفر).



الحجر تخليدا لهم، يسخرون من اولئك الذين كانوا يحاولون الغوص الى اسرارهم. ويبدو ان كل شيء كان يشارك في مؤامرة دعم النبوة المنسوبة الى الاله المصري توت: "ان هذه البلاد المقدسة جدا، ارض المعابد والهياكل، ستكون مغطاة بالقبور، وستبقى اسرارها دفينة الى الابد". وقد ترك الامر لشامبوليون لتكذيب هذه النبوة.

ترى من ذا الذي كان يستطيع ان يتوقع لشامبوليون هذا المستقبل حين ولد لزوجة طبيب قرية في ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) عام ١٧٩٠، في قرية فيجاك الفرنسية الصغيرة؟ الا انه قبل ولادة الطفل بوقت قصير، وجد من قال للام انها ستلد ابنا يقوم باعمال عظيمة. والحق ان جان فرنسوا كان طفلا عبقريا. وكان نشطا وذكيا، لكنه كان ضعيف البنية وشديد الحساسية. وأكب منذ فجر حياته على مطالعة الكتب، فعلم نفسه القراءة عن طريق فك رموز الاشعار التي كانت والدته تفرض عليه حفظها غيبا. ووضع وهو في السن العاشرة في عناية شقيقه الاكبر جاك جوزيف، استاذ اللغة اليونانية في جامعة غرينوبل. واندفع الطفل، بقدرته العجيبة على العلم، الى دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية، وحقق نتيجة دهش لها مدرسوه.

كان ذلك عام ١٨٠٠، بعد مرور وقت غير طويل على حملة نابوليون المصرية الاسطورية التي الهبت خيال العلماء في فرنسا. وكان اولئك الذين رافقوا الجيش الفرنسي قد عادوا من الشرق بنسخ دقيقة مضبوطة من النقوش على بعض المباني الاثرية. وفتن جان فرنسوا، كمعظم معاصريه، بكل شيء متعلق بمصر. واملا منه بفض اللغز الذي كان يكتنف التاريخ المصري، انصب جان فرنسوا على دراسة العربية والعبرية والكلدانية والسريانية من اللغات الشرقية.

حادثان حاسمان – كان جان فرنسوا في الرابعة عشرة من عمره حين وقع الحادث الاول من حادثين قاداه الى تحقيق اكتشافه. فهو كان ينقب في مكتبة اخيه حين عثر على كتاب وضعه عالم يسوعي في القرن الثامن عشر، مصرا على ان لغة الاقباط (المصريين الذين اعتنقوا المسيحية) مشتقة مباشرة من اللغة المصرية القديمة. ولم يكن جان فرنسوا يحتاج الى اكثر من ذلك ليكب على دراسة اللغة القبطية. وكأنه بذلك وضع لنفسه هدف حل لغز الكتابة الهيروغليفية.

وفي ١٨٠٧، وضع دراسة لجغرافية مصر القديمة، منطلقا من فرضية تم برهانها لاحقا، وهي ان عددا كبيرا من الاسماء العربية المعاصرة يعكس في الواقع اسماء مصرية قديمة. وباستخدام التوراة مرجعا له ومقابلة النصوص العربية والعبرية مع الكتابات القبطية، كتب شامبوليون دراسة عنوانها: "تقرير عن جغرافية مصر القديمة وديانتها ولغتها وكتاباتها وتاريخها". وكانت تلك الدراسة مساهمة رئيسية في دراسة تاريخ مصر. وكان عمره آنذاك ١٧ عاما.

وفي السنة ذاتها وقع الحادث

"حجر الرشيد" (المتحف البريطاني).

الرئيسي الثاني في حياته. وكان محافظ مقاطعة ايزير، وهو احد العلماء الذين صحبوا نابوليون الى مصر، قد صادق الاخوين جاك جوزيف وجان فرنسوا. وذات يوم عرض هذا الموظف الكبير على جان فرنسوا نسخة من الرسوم المنقوشة على لوحة عثر عليها الضابط النقيب ايتيان بوشار عام ١٧٩٩ في اسس قلعة الرشيد في دلتا نهر النيل الشمالية، ثم اخذها البريطانيون بعد انتصارهم على نابوليون في مصر. وكانت اللوحة تحمل ثلاثة نقوش ذات حروف مختلفة: (١) هيروغليفية مصرية، وهي غير معروفة الا من المصريين المتعلمين، واستعمالها محصور بالنصب والمباني، (٢) مصرية عامية مستعملة في المخطوطات، (٣) يونانية. وهنا استولى على شامبوليون اقتناع بأنه يرى امامه ثلاث صور للنص عينه. ورأى بعين بصيرته ان النور لا بد من ان ينبثق من هذا الذي يراه.

حجر الرشيد – منذ تلك اللحظة استحوذ حجر الرشيد على تفكير شامبوليون. فانتقل الى باريس وانتسب الى معهد اللغات الشرقية حيث اتقن اللغة القبطية بمساعدة كاهن من مصر كان مسؤولا عن كنيسة سان روش. وفي هذه الفترة كتب الى شقيقه: "لقد صرت قبطيا الى حد بت معه اخاطب نفسي بالقبطية لمجرد التسلية". وكان نطقه في اللغتين القبطية والعربية جيدا، حتى ان عربيا التقى به في منزل صديق، حسبه شرقيا. ثم ان اصدقاءه كانوا يدعونه "المصري".

وفي عام ١٨٠٨ حصل على نسخة من اللوحة الثمينة. لكن الكتابة الهيروغليفية ظلت تقاوم جهوده للكشف عن اسرارها. وفي ذلك الوقت – وكان في التاسعة عشرة – عين جان فرنسوا استاذا مشاركا للتاريخ القديم في جامعة غرينوبل. وعلى رغم برنامج عمله المرهق، كان يجد الوقت للاختلاط بأوساط المدينة الاجتماعية والثقافية، ولتأليف الشعر الغنائي، وحتى لكتابة الروايات الهزلية. وبعد عشر سنوات رقي الى رتبة "استاذ" في جامعة غرينوبل.

لكن القدر كان يتربص لشامبوليون بالمرصاد. فقد فر نابوليون من جزيرة البا حيث كان منفيا، ودخل فرنسا سرا في مارس (آذار) ١٨١٥، ثم زحف عبر جبال الالب السفلى نحو باريس. ولما بلغ غرينوبل، عيَّن سكرتيرا جديدا له هو جاك جوزيف، النابوليوني المتحمس. واختار الاخوان الوقوف الى جانب الامبراطورية قبل انهيارها بأسابيع معدودة. وما لبثت الملكية، التي اعيدت بعد معركة واترلو، ان جعلتهما يدفعان ثمن ذلك غاليا. فاتهم الاثنان بالاشتراك في مؤامرات عدة ونفيا الى فيجاك. ولم يتمكن جان فرنسوا من ان يستأنف دراسة الوثائق التي جيء بها في الحملة المصرية الا عام ١٨٢٠، في أعقاب عودته الى باريس.

رموز ومعان – واستمرت عملية فك رموز الكتابات الهيروغليفية تستنفد الوقت سنة بعد سنة. وكان العلماء لا يزالون في حيرة مما اذا كانوا يعالجون رموزا تمثل اشياء محددة

بواسطة الصور ام مقاطع صوتية كالتي في لغتنا. وكان انجاز شامبوليون العظيم عام ١٨٢٢ انه اكتشف ان الكتابة الفرعونية مركبة. ويمكن اختصار نظريته على النحو الآتي:

١ - الكتابة الهيروغليفية رمز وفكرة معا. فالشمس، مثلا، تمثل بقرص، والقمر بهلال رقيق، والحمامة بصورتها. وتمكن كتابة الافعال بتلك الطريقة ايضا، باستعمال الصور التي تذكر بالفكرة المراد التعبير عنها. ففعل "يحكم"، مثلا، يعبر عنه بصورة صولجان.

٢ - الكتابة الهيروغليفية صوتية ايضا. فالافكار المجردة لا يمكن التعبير عنها بالصور. والكلمات التي لا يملك المصريون صورا لها يعبر عنها بصور لاشياء ذات صوت واحد. وهكذا، فان فعل "يترك" كان يعبر عنه بصورة بيت، لان لكلمتي "يترك" و"بيت" صوتا مشتركا هو "بر". وبهذه الطريقة، تحولت الرموز الايديوغرافية (الدالة على رسم وفكرة معا) الى رموز صوتية.

٣ - يتم تسهيل قراءة الكتابة الهيروغليفية بوضع رموز محددة بعد الكلمة للدلالة على ما اذا كانت رمزا صوريا او مقطعيا. فمثلا، فعل "يشرب" الذي يلفظ "سور" ويمثل بصورة طائر، يرافقه رمز محدد له هو رجل وضع اصبعه في فمه. وهذا الرمز يدل على ان الطائر رمز مقطعي.

لقد انجز شامبوليون هذه الاكتشافات بفحص النقوش على حجر الرشيد. وكانت نقطة انطلاقه نظرية قدمها العالم الدنماركي جورج زوغا، موحيا بأن مجموعات الرموز الموجودة في اناء بيضوي يدعى "خرطوشة" هي اسماء الملوك. وكانت النقوش اليونانية على حجر الرشيد تعبيرا عن تكريم كهنة مصريين للفرعون بطليموس الخامس ابيفانيوس. وبافتراضه المصيب ان النقوش الهيروغليفية هي ترجمة لذلك، استنتج شامبوليون ان "الخرطوشة" المنقوشة على حجر الرشيد تمثل الكلمة "بطليموس". وكان ذلك مفتاح حل اللغز.

رعمسيس — وتتالت بعد ذلك اكتشافات اخرى. ففي سبتمبر (ايلول) ١٨٢٢، وصلت الى شامبوليون من مصر وثيقة ذات أهمية استثنائية، وجد فيها "خرطوشة" رمزها الاول مستدير على شكل ٥. وكان شامبوليون على حق في تقديره ان هذه الدائرة تعبر عن القرص الشمسي ("رع" في اللغة القبطية). وبذلك سهل تحديد العلامة التالية التي ظهرت في كلمة بطليموس المنقوشة على حجر الرشيد بحرف م. وبالحاقها بعلامة س (التي كانت معروفة من قبل)، تكونت الكملة مس - اس ("يخلق" او "يلد" فى اللغة القبطية). وهكذا تشكل اسم رع- مس- اس، اي رعمسيس، الذي يعني "رع اوجده".

وفي ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٨٢٢، رفع جان فرنسوا اكتشافاته هذه الى اكاديمية العلوم الفرنسية. وبعد ايام قليلة تلقى هدية هي صندوق ذهبي مرصع بالالماس، يحمل النقش الآتي: "من الملك لويس الثامن عشر الى السيد شامبوليون لاكتشافه الابجدية الهيروغليفية".

وهكذا انتهت عزلة شامبوليون الادبية، وصار مكرما وشهيرا. لكن حياته الان باتت مركزة على فك الرموز. وواصل عمله هذا بحماسة شديدة. وكانت نتيجة جهده ٣٠٠ صفحة من نقوش تروي تاريخ مصر القديم مجددا. وعينه الملك شارل العاشر، الذي خلف لويس الثامن عشر، قيما على قسم الاثار المصرية في متحف اللوفر، ومنحه وسام جوقة الشرف.

تتويج الجهود ـ ومع ذلك، فان شامبوليون لم يكن قانعا. فهو لم يكن قد زار مصر بعد. وهكذا، رافق عام ١٨٢٨ مجموعة من ١٤ معماريا ورساما في رحلة الى مصر استغرقت عشرين شهرا. وكان يحب ان يزور كل مكان، وان يطوف في كل مكان. وفي ابو سنبل اصر، على رغم آلام داء المفاصل (النقرس) والارهاق المتزايد، ان يزحف على بطنه للدخول الى الهياكل الدفينة في الرمال. وفي اكثر من مناسبة، ابدى قدرة غريبة على التخمين والتقدير. ففي بني حسن مثلا، حيث كان يستكشف كهفا لم يجد زملاؤه شيئا فيه، بلل اسفنجة بالماء واستعملها لمسح الجدران برفق، الى ان ظهرت تحت يده مشاهد ولوحات من الجص تمثل الحياة اليومية والحيوانات تمثيلا مدهشا.

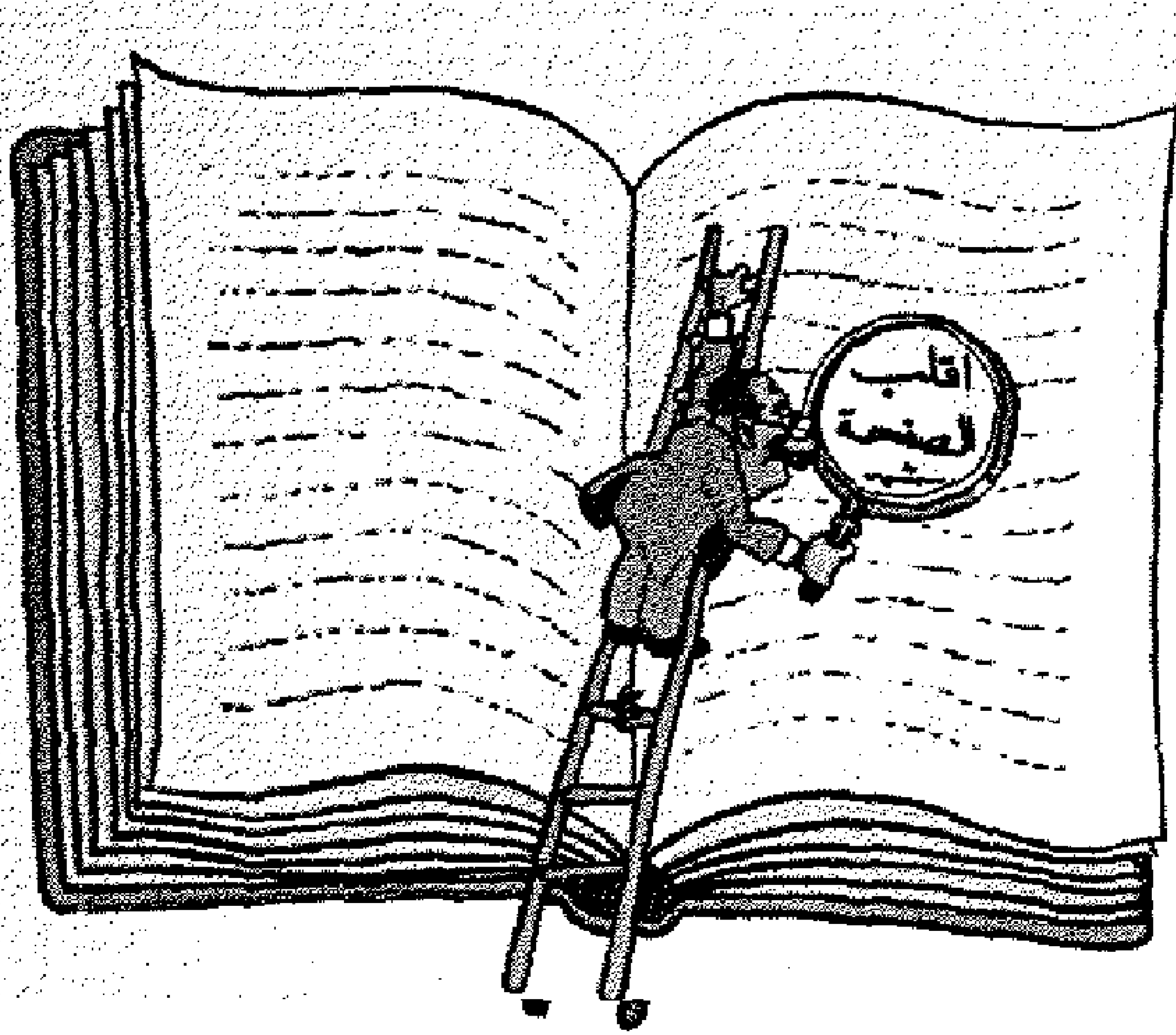
ورجع شامبوليون الى فرنسا ومعه ١٨ صندوقا مملوءا بالمومياءات والتماثيل والاواني واللوحات، مع ناووس حجري، فضلا عن اكداس من الملاحظات والرسوم. غير ان حرارة الصحراء الرهيبة كانت قد اذت صحته الضعيفة. ولدى عودته الى باريس انتخب عضوا في اكاديمية النقوش والاداب. وفي يوليو (تموز) عينه الملك الجديد، لويس فيليب، في منصب رئاسة قسم الاثار في "الكوليج دو فرانس". ولم يتسن له ان يلقي غير ثلاث محاضرات قبل اصابته بسكتة دماغية وفالج جانبي، مما حرمه القدرة على النطق. وبعد مرض دام طويلا، اصيب بسكتتين دماغيتين اضافيتين تلاحقتا بسرعة، فتلاشى جسمه وتوفي في الرابع من مارس اذار) ١٨٣٢ وهو في قمة مجده العلمي، وله من العمر ٤١ سنة.

وفي العام ١٩٤١ نشر جاك جوزيف شامبوليون القاموس المصري للكتابة الهيروغليفية، وهو القاموس الشهير الذي ظل شقيقه الاصغر يعمل عليه حتى وفاته. وفي السنة ذاتها نشرت الاكاديمية ملاحظاته حول "الرموز التي استعملها قدماء المصريين لتسجيل الزمن في انظمتهم الكتابية الثلاثة". وبين ١٨٣٥ و١٨٤٥، ظهرت المجلدات الاربعة المزينة بالرسوم من مؤلفه "نصب مصر والنوبة".

ويرى سيلفيو كورتو، القيم الحالي على متحف تورين للآثار، ان كلمات المديح التي كتبت بالهيروغليفية منذ ثلاثين قرنا، وصارت مقروءة في الوقت الحاضر بفضل جهود شامبوليون طوال حياته، تشكل نقشا مناسبا على ضريحه:

"هؤلاء الكتبة العلماء،
ورثة الآلهة منذ انطلاقة الزمن،
اسماؤهم باقية مع الخلود،
حتى ولو فنيت اجسادهم
ونسيت ذريتهم".

■ **سيرج آرلي**



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد تنتهي كلها بألف وتاء قصيرة.

وقد وضعت امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المرادف أو المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١٠ **صَفاة**: رماد - صخر أملس - نخبة - حجر صلد.

٢٠ **مَرقاة**: درجة - غاية - جَبَل - حمل.

٣٠ **غَداة**: غد - مستقبل - طعام الظهر - أول النهار.

٤٠ **فَلاة**: عراء - ممر - جحش - صحراء.

٥٠ **مَنْجاة**: باعث على النجاة - مكان النجاة - سر - ما ارتفع من الارض.

٦٠ **مَسْعاة**: سعي - مكرمة - شفاعة - وشاية.

٧٠ **مُغَنّاة**: ضد مأساة - حفلة غناء - مسرحية شعرية - اغنية.

٨٠ **أداة**: كلمة - طعام - إناء - آلة.

٩٠ **مَرضاة**: عتاب - مصالحة - رِضا - مرض.

١٠٠ **خَشاة**: خطَر - عقاب - خوف - ذنْب.

١١٠ **نَواة**: قلْب الشيء - تمْر - بُعْد - عذاب.

١٢٠ **مِسْحاة**: سيف - مجرفة - أرض مستوية - علامة ظاهرة.

١٣٠ **أذاة**: ريح - موج - ضرَر شديد - ضرَر يسير.

١٤٠ **شَكاة**: شكوى - رَيْب - خوف - أذى.

١٥٠ **دَواة**: صدى - علاج - محبرة - صوت الرعد.

١٦٠ **مُكافاة**: هدية - وسام - تضحية - مقابلة الاحسان بالمثل.

١٧٠ **مِشْكاة**: شكوى - مصباح - نور عظيم - قمة الجبل.

١٨٠ **مَهاة**: حصى أبيض - بقرة وحشية - فرَس - لؤلؤة.

١٩٠ **لَهاة**: لحمة سقْف الفم - نفَس عميق - دمية - عطية.

٢٠٠ **مَلْهاة**: لهو - مكان اللهو - رواية مضحكة - دمية.

٢١٠ **مَهْواة**: وهدة عميقة - سفْح الجبل - قمة الجبل - نار.

٢٢٠ **قَناة**: طريق ضيقة - واد - رمح - حفرة.

٢٣٠ **مذراة**: تبن الذرة - آلة لجرف الطين - ما يسقط عند التذرية - خشبة تذرى بها الحنطة.

٢٤٠ **مِغْراة**: أداة للبناء - آلة لتذويب الغراء - إغراء - جمال.

٢٥٠ **شَباة**: ضوء - نار - فرَس - شَبَه.

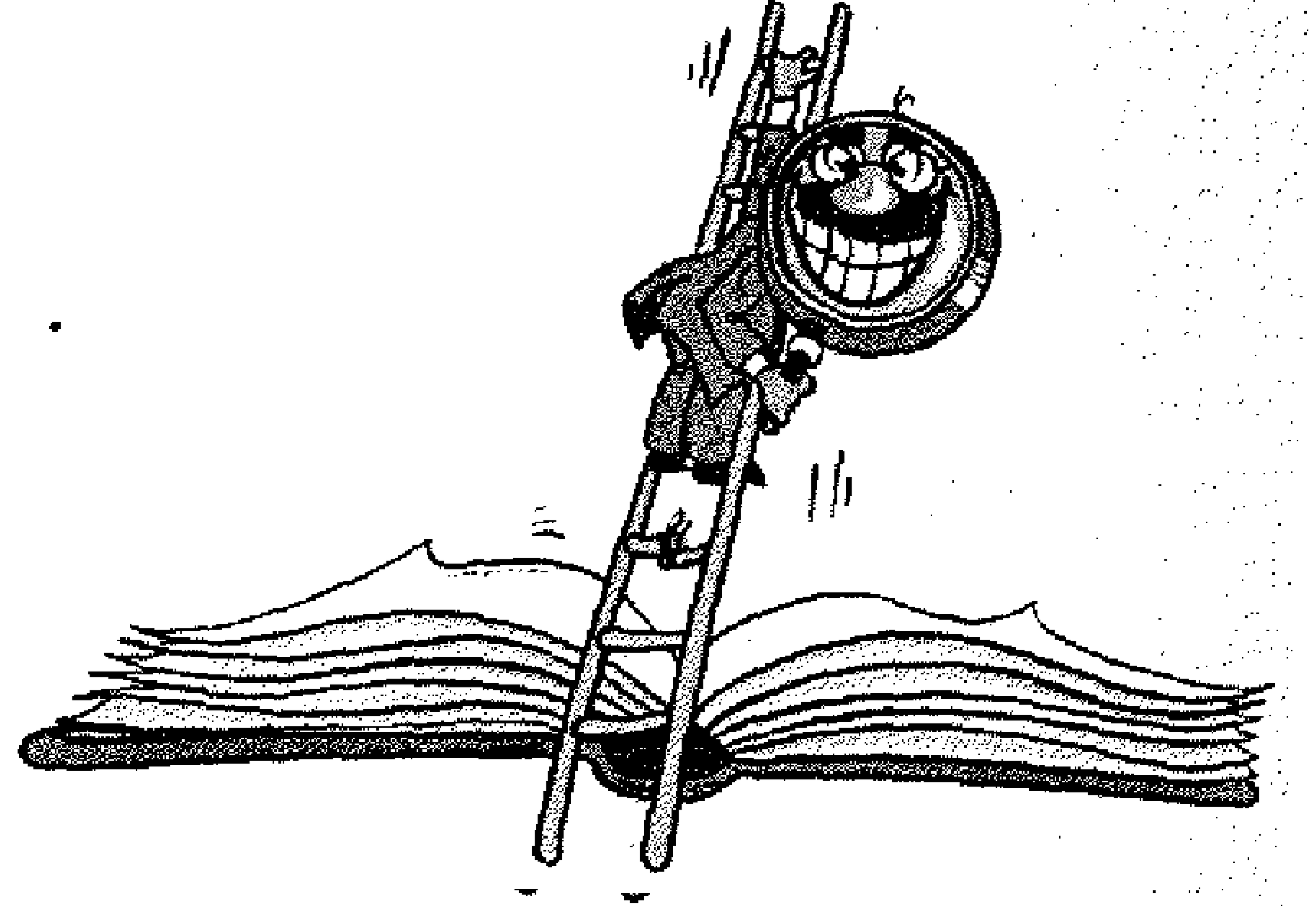
٢٦٠ **زَكاة**: تقدمة من مالك - هدية - نعمة - رِي.

٢٧٠ **مرساة**: مكان وقوف السفينة - شراع - حبْل - مثبت السفينة.

٢٨٠ **مَرثاة**: ثياب بالية - ما يُرثى به الميت - بكاء - موقف السفينة.

٢٩٠ **حَصاة**: حجر صغير - رمل الشاطىء - شعْر ساقط - نصيب.

٣٠٠ **أناة**: صبر - حُب الذات - قُرب المكان - وعاء.



الأجوبة الصحيحة

٠١ صفاة: حجر صلد ضخم.
٠٢ مرقاة: درجة. ايضا، مرقى.
٠٣ غداة: أول النهار. الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس.
٠٤ فلاة: صحراء واسعة.
٠٥ منجاة: باعث على النجاة. منجى: مكان النجاة.
٠٦ مسعاة: مكرمة.
٠٧ مغناة: مسرحية شعرية يغنى فيها. اوبرا.
٠٨ أداة: آلة. "اداة التعبير": اللغة.
٠٩ مرضاة: رضا، ضد سخط.
١٠ خشاة: خوف. اتقاء. (مصدر خشي).

١١ نواة: قلب الشيء. بزر التمر ونحوه.
١٢ مسحاة: مجرفة أو آلة مثلها يجرف بها الطين ونحوه.
١٣ أذاة: ضرر يسير. أيضا، أذية وأذى.
١٤ شكاة: شكوى، تظلم. مرض.
١٥ دواة: أداة يوضع فيها الحبر.
١٦ مكافاة: مقابلة الاحسان بمثله أو زيادة.
١٧ مشكاة: مصباح. ما يوضع فيه أو عليه المصباح. كل كوة غير نافذة.
١٨ مهاة: بقرة وحشية. الشمس.
١٩ لهاة: لحمة مشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.
٢٠ ملهاة: مسرحية تثير الضحك عن طريق الهزل والانتقاد والسخرية.
٢١ مهواة: وهدة عميقة. مكان يهوى فيه.
٢٢ قناة: حفرة. عصا.
٢٣ مذراة: خشبة ذات أطراف كالاصابع تذرى بها الحنطة.
٢٤ مغراة: آلة لتذويب الغراء ومده.
٢٥ شباة: فرس تقوم على رجليها.
٢٦ زكاة: ما تقدمه من مالك. صدقة. طهارة. صفوة الشيء.
٢٧ مرساة: أنجر السفينة الذي به تثبت في مكانها.
٢٨ مرثاة: ما يرثى به الميت من شعر وسواه. أيضا، مرثية.
٢٩ حصاة: حجر صغير. عدد. عقل ورأي.
٣٠ أناة: صبر. انتظار وتمهل. وقار وحلم.

المستوى

٢٥ - ٣٠: ممتاز
١٩ - ٢٤: جيد
١٣ - ١٨: مقبول

أسرار الفضاء الخارجي

المجرّات تولّد النجوم والكبير يأكل الصغير

علماء الفلك لا يزالون ، بين الدهشة والرهبة، يحدقون في المجرات الاكثر بعدا

في المرصد الوطني لـ"كيث بيك" في ولاية اريزونا، كان عالم الفلك آلان سانديج يعرض الصفائح الفوتوغرافية على التلسكوب العملاق، وهو يحدثني عن المجرات (مجموعة من النجوم)· لم تكن الليلة مقمرة، فالظلمة الحالكة هي الوقت المثالي الذى يستطيع فيه العالم رصد الفلك· انه مهتم بضوء النجوم الذي لا يزال مسافرا عبر الفضاء منذ ملايين السنين والذي يصلنا ضعيفا الى درجة اننا لا نستطيع التقاطه، الا في غياب القمر·

كانت السماء فوق كيث بيك مليئة

بالنجوم ولم يكن في استطاعة سانديج رؤيتها، فهو حبس نفسه في قفص الرصد المعلق بقسطل التلسكوب على ارتفاع كبير عن ارض المرصد، فقصر مجال مشاهداته الكونية على بقعة واحدة من الضوء في عدسة التلسكوب وراح يتفحص هذه البقعة، ليتأكد من صحة توجيه المنظار الى النقطة المنشودة من الصفيحة الفوتوغرافية. فالصفائح الفوتوغرافية هي أهم شيء في رصد المجرات. ذلك ان العين البشرية لا تتمتع بالحساسية الكافية لرؤية المجرات بالتفصيل. ونادرا ما يحاول علماء الفلك النظر الى المجرات عبر التلسكوب، لانهم يوجهون اهتمامهم الى تحليل الصفائح الفوتوغرافية، فيعدون ويقيسون الآلاف من صور النجوم فيها، محاولين معرفة تركيب هذه "المدن" النجمية.

وسانديج، كغيره من الناس، قادر على الاستمتاع بمشهد النجوم في سماء اريزونا. لكن نجوم "درب اللبانة" هي جارات لنا. ان علماء الفلك مهتمون باستكشاف ما وراء ذلك من مجرات اخرى.

الواقع ان هؤلاء العلماء يدركون الان ان المجرات هي اغرب مما توقعوا وانها عرضة لتغيرات عجيبة. فالمجرات الكبرى تبتلع الصغرى، تتصادم وينفجر بعضها على ما يبدو. بل تتداخل في ما بينها وتتراقص فيتولد عن ذلك ملايين النجوم. هذه التحولات تفضي بنا الى تصور لكون دائم التطور، يمثل تطورنا الذاتي دوره فيه.

مكتشفو الكون - نبدو الان وكأننا على اتصال وثيق ببيئتنا الكونية. وبعض هذه الصلات يتحكم بامور ارضية كالطقس مثلا. ولعل بداية العصر الجليدي - حسب رأي الكثيرين من علماء الفلك الانكليز - هي اجتياز النظام الشمسي لسحابة من الغبار والغاز رافقت احدى الاذرع اللولبية لمجرتنا.

ولا تزال النجوم تكشف ان بيننا وبين المجرات صلات اعمق فأعمق. فقد تبين لعلماء الفيزياء الفلكية، لدى دراسة التركيب الكيميائي للنجوم، ما تبين لعلماء الحياة لدى دراستهم التركيب الكيميائي لاجسامنا - لقد تبين ان مجرتنا تتألف من العناصر نفسها التي تتألف منها المجرات الاخرى. فالمعادن التي اكتشفت في العناصر النزرة في اجسامنا موجودة على ما يبدو في انفجارات النجوم التي ماتت قبل مولد الشمس ونشرت في الفضاء الغبار والغاز المشبع بالمعادن وهذا ما كون نظامنا الشمسي وما تكوّنا منه نحن، على الارجح.

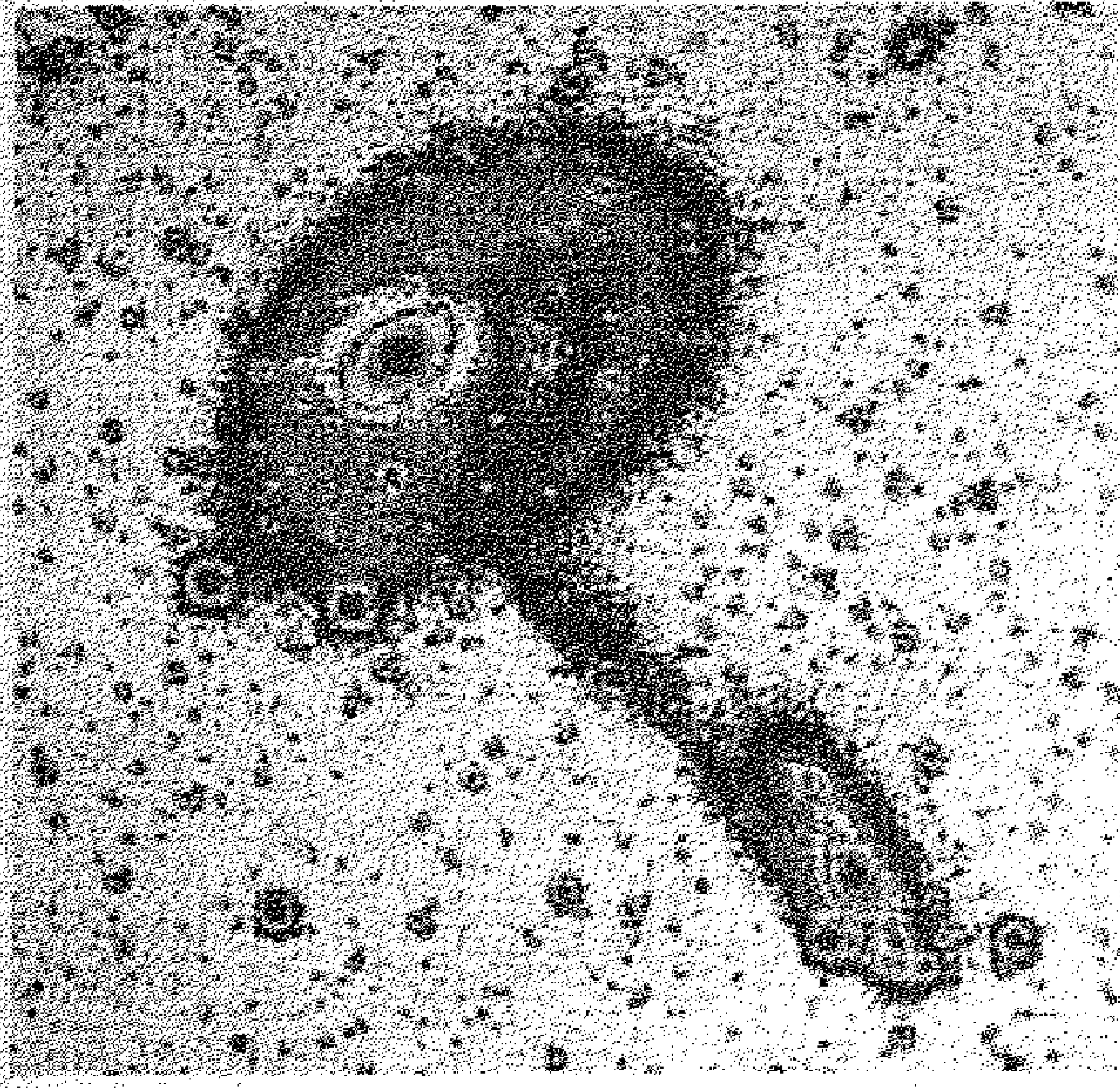
ولا تزال تفاصيل قصة المجرات تتكشف بواسطة "آذان" اجهزة الرصد الحديثة "وعيونها"، من مثل اجرام الاشعة السينية واجهزة تحسس الاشعة الفوق البنفسجية وبواسطة اساليب الادمغة الالكترونية في المحاكاة.

وفي هذا الصدد، حدثني سانديج من برجه العالي بواسطة جهاز الاتصال الداخلي فقال: "اننا ازاء مرحلة حاسمة من قصة تطور المجرات. فالمشكلات التي بدت مستحيلة الفهم بدأت تكشف غوامضها. وثمة صورة عامة في سبيلها الى التشكل الآن".

ويستطيع سانديج الذي يعد في نظر الكثيرين من زملائه اوسع الناس علما بالمجرات، ان يدل على مراكز توالد النجوم الفتية وعلى "مأوى العجزة" للنجوم الهرمة التي نفدت قواها او على النجوم ذات الوميض البطيء المتنوع والتي تساعد على تقدير بعد المجرات. وهو خبير بالمجرات الاهليليجية العملاقة خبرته بالمجرات الضئيلة غير المنتظمة والمجرات اللولبية البديعة الجمال والمجرات الاخرى التي تمزقت وتهرأت لما مر بها من احداث وأهوال. وفي وسعه ايضا ان يدل على مجرتين مالت كل منهما نحو الاخرى فكونتا ما يشبه انفراج ساعة الجيب المفتوحة.

وعن طريق ملاحظة اوجه الشبه بين المجرات، يحاول سانديج ان يحسن تقديراتنا لابعاد الكون ولمعدل توسعه. ومن شأن هذه الارقام ان تمكن بدورها العلماء من التنبؤ بمصير الكون ومعرفة ما اذا كان توسعه سيستمر الى الابد.

هذه الصورة العامة للتقرب من الكون تعارض مثيلتها لدى الباحثين الشباب ممن يعنون بالمجرات، فيتساءلون عن طريقة تكونها واسباب ظهورها هذا المظهر. واخذ كثيرون من علماء الفيزياء الفلكية ينظرون في مسألة توقف بعض المجرات عن توليد نجوم جديدة. ففي مجرة متعافية كمجرتنا تتكون النجوم الجديدة بانتظام، في حين ان بعض المجرات اللولبية توقف في ما يبدو عن "الانتاج" منذ امد بعيد. والواقع ان شمسنا تعد نجمة فتية نسبيا ولو ان مجرتنا توقفت عن تكوين نجوم



صورة الكترونية لتفاعل المجرات.

جديدة منذ ستة مليارات سنة او اكثر لما كنا هنا لنسأل عن السبب.

وفي رأي فلكيين شابين في كيث بيك، هما كارين وستيفن ستروم، ان هناك احتمالا بان تكون المجرات غير السليمة اصطدمت بغيرها من المجرات او بسحب الغاز بين المجرات، وان الاصطدام قد ازال عنها ما تحتاج اليه من الغبار والغاز لتكوين نجوم جديدة. وقد وجد عدد من الفلكيين، ومن بينهم العالمان المذكوران، شواهد تدل على ان المجرات غير السليمة غالبا ما "تقيم" في المناطق الداخلية المزدحمة بتجمعات المجرات، وهي المناطق التي يبلغ فيها احتمال الاصطدام حده الاقصى.

نشأة المجرات - من العقبات التي تزيد في غموض عمليات تطور المجرات، ان ما يقع لها من احداث يستغرق فترات طويلة. فاذا اردت ان تراقب تفاعل مجرتين عند التقائهما سيكون عليك ان تنتظر بضع مئات من ملايين السنين. ولكن من الممكن

الان، بفضل اساليب الدماغ الالكتروني في المحاكاة، الاطلاع على ماضي المجرات ومستقبلها. اذ في المستطاع برمجة الدماغ الالكتروني عن طريق تزويده بمعلومات خاصة بكتل المجرات واحجامها ومواقعها، وعندئذ تصبح ممكنة معرفة مسلسل الاحداث التي استغرقت دهورا.

وقد حققت تحليلات الدماغ الالكتروني التي اجريت في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا وفي كيث بيك، وغير ذلك من الاماكن، مقدارا من النجاح المبدئي في تفسير ظاهرة المجرات الدائرية الغريبة. فقد اكتشفت عشرات من هذه المجرات التي تشبه دوائر من الدخان. ويبدو من دراسات الدماغ الالكتروني ان هذه المجرات تتكون عندما تخترق احدى المجرات مركز مجرة اخرى اكبر منها فتحدث فيها ثقبا. ومن الملاحظ في الواقع انه الى جانب كل مجرة دائرية معروفة ثمة مجرة صغرى تبدو وكأنها في سبيلها الى الهرب من مكان الحادث!

ويكفي ان يصطدم البعض القليل من نجوم مجرة بالبعض الآخر من مجرة اخرى لكي نعد ذلك اصطداما بين المجرتين. ولكن يستثنى من هذه القاعدة نوى المجرات او مراكزها التي ما زلنا نجهل ما يحدث فيها. فبعض المجرات تبث من نواها مقدارا كبيرا من الضوء والضوضاء اللاسلكية الطبيعية. اما الاصوات التي تبثها نواة مجرتنا على الموجات اللاسلكية فهي على شيء من التشوش. واذا حالت سحب الغبار دون رؤيتنا لمركز مجرة "درب اللبانة" فالتلسكوبات اللاسلكية تستطيع رؤيته.

وثمة عدد من الفلكيين والفيزيائيين يهتمون بنوى المجرات لاسباب عدة منها ان ما يحدث فيها قد يساعدنا على فهم موضوعين من أكثر موضوعات الفلك الحديث تحديا واثارة للاهتمام: الثقوب السود (★) ونقاط الاشعاع خارج المجرات.

صفحات من الضوء — لقد امكن التنبؤ على نحو غير مباشر بوجود الثقوب السود عن طريق نظرية النسبية العامة لاينشتاين. فمن النتائج المترتبة على هذه النظرية انه اذا تركزت الكتلة فبلغت درجة عالية من الكثافة - كما هي حال النجوم العملاقة المنهارة - اشتدت جاذبيتها بحيث لا يفلت منها شيء على الاطلاق. وحتى ضوؤها يحتبس. والثقوب السود في المكان - الزمان هي بمثابة حفر عمودية علت جدرانها بحيث لا يمكن اي اشعاع ان يتخطاها الى الخارج.

والواقع ان غالبية النظريين يعتبرون احتمال وجود الثقوب السود مسألة جدية. لكن اكتشاف احد هذه الثقوب امر في غاية الصعوبة، لانها غير مرئية في طبيعتها. الا ان من الممكن ان نكتشف وجود ثقب اسود اذا كان هذا يبتلع الغاز من أحد السحب بين المجرات او ينتزعه عن سطح نجم قريب. وفي امكاننا ان نهتدي الى وجود الثقب لان الغاز المبتلع يطلق من الضوضاء ما يمكن تشبيهه بالصراخ. وتدل الحسابات على ان من الممكن اكتشاف هذا

(★) راجع المختار، آذار (مارس ١٩٧٩ مقال الثقوب السود ص ١٠٧

الصراخ على مستوى الطيف الكهرومغناطيسي المعروف بالاشعة السينية. وقد كشف الرصد الذي اجري عن طريق توابع الاشعة السينية وجود كثير من الاشارات التي تقدم الدليل على وجود ثقوب سود حقيقية.

اما نقاط الاشعاع المكتشفة عام ١٩٦٠ فيبدو انها في غاية البعد وذات توهج قوي يصعب معه على مخيلة علماء الفيزياء الفلكية ادراك الطريقة التي تبث بها مثل تلك المقادير من الطاقة.

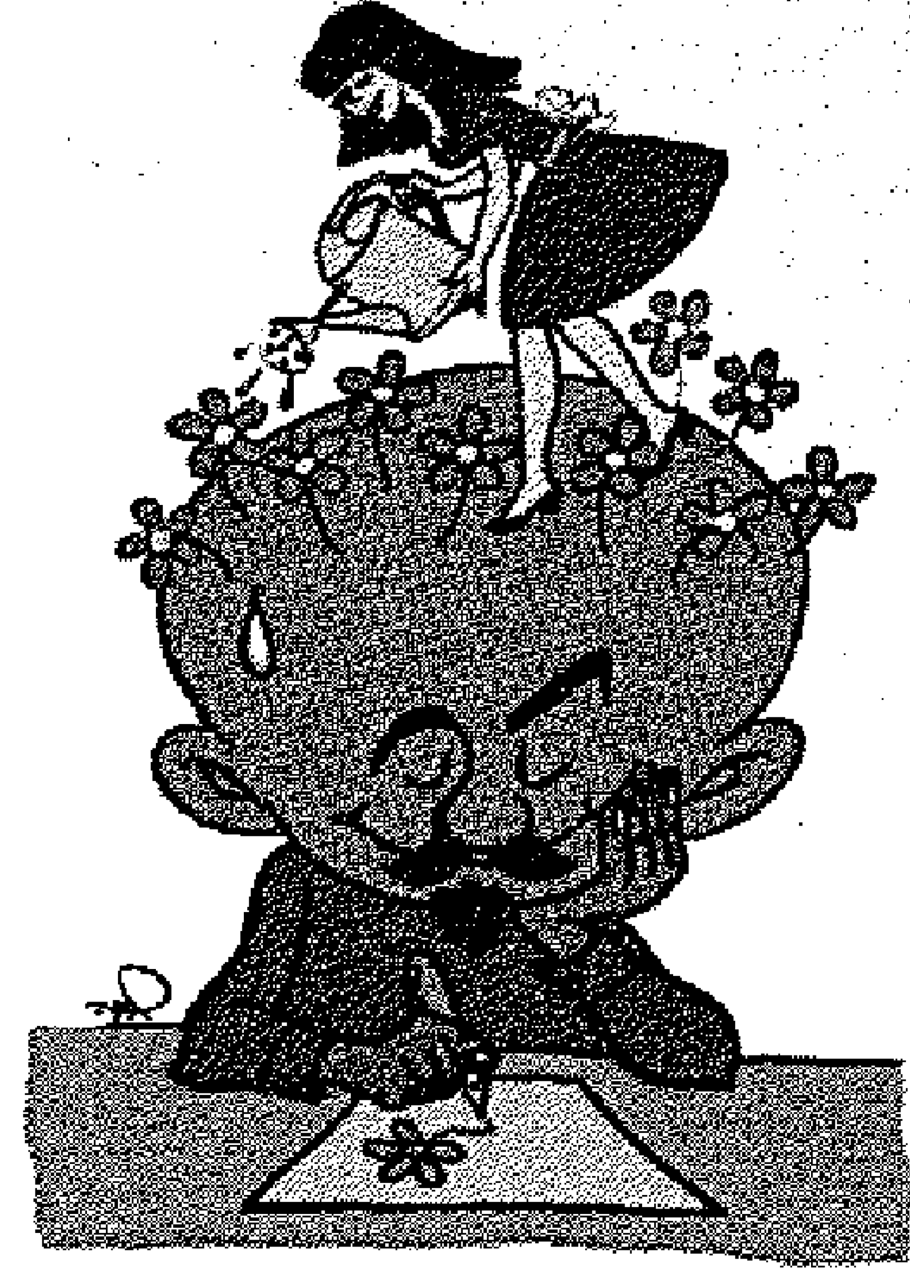
ومن التكهنات الرائجة في هذا الصدد ان نقاط الاشعاع تمثل نوى مجرات ما زالت "ناشئة"، وان انهيار سحب الغاز هنالك قد ادى الى تكون ثقوب سود ضخمة وان الطاقة القوية التي تصدر عنها تنتج من ضغط الغبار والغاز اذ تشتد حرارتهما عند دورانهما داخل الثقب. وترى بعض الافتراضات ان النجوم بدورها لا تنجو من خطر الثقوب السود وان هذه تلتهم النجوم.

ونقاط الاشعاع تبعد عنا قرابة مليار سنة ضوئية او ما يزيد، ومعنى هذا ان ضوءها لم يصلنا الا بعد مليار سنة ضوئية، او ما يزيد، على بثه. ونحن اذا لا نشاهد من الكون الا الصورة التي تشكلت منذ تلك الفترة الطويلة. وليس ثمة، في ما نعرف، نقاط اشعاع تكونت حديثا في الكون الا ان مراكز بعض المجرات القريبة منا نسبيا تشهد بقايا عنف قديم. فاذا افترضنا ان نوى هذه المجرات كانت ذات يوم نقاطا مشعة واذا كانت نسبة النقاط المشعة الى الثقوب السود صحيحة فيصير ممكنا اذ ذاك اكتشاف ثقوب سود في مراكز كثيرة من المجرات. وفي ضوء هذا الافتراض بدأ عدد من علماء الفلك مراقبة عدد من المجرات الضخمة بما فيها المجرة "م - ٨٧"، وقد اكتشفوا ما يدل على وجود ثقوب سود ضخمة في نواة كل مجرة.

نمط البحث – بدلا من البحث عن بقايا العنف الكوني القديم يمكن البحث عن المجرات التي لا تزال في طور الولادة ذلك ان ابرز المجرات، ومن بينها مجرتنا، قد ولدت منذ مليارات السنين وانتهت في ما يبدو الى الاستقرار والهدوء الذي يميز اواسط العمر. لكن ثمة مجرات حديثة العهد لا تزال تتشكل من الغبار والغاز كمادة خام ولم تبلغ بعد عنف المراهقة. والبحث عنها لا بد ان يستغرق وقتا طويلا. فالتلسكوبات المتوافرة قليلة العدد والمجرات مبعثرة هنا وهناك في انحاء الفضاء كانها حبات رمل على شاطىء. والحديثة العهد منها لا بد ان تكون خافتة الضوء ومع ذلك فان احد علماء الفلك قد وصف البحث عن هذه المجرات بانه "اكثر الموضوعات تشويقا واثارة".

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل في مرصد كيث بيك والحديث بيني وبين آلان سانديج لم يتوقف بعد الى ان تنهد وقال: "لا ادري ما الذي سأحققه هنا اذ انني اعرض الصفائح الفوتوغرافية المصنوعة من نيترات الفضة لضوء النجوم كي يترك علاماته عليها. وهذا مستحب. لست اعرف لماذا يجرب الناس اليوم عمل ما عجزوا عن القيام به في السابق. وكل ما اعرفه هو انني اشعر بانني عديم الجدوى اذا توقفت عن العمل".

■ **تيموثي فيريس**



حديقة افكار

■ أشد الناس اثارة للملل هو الملول من كل شخص وكل شيء .

ج.ش.

■ يجب ان تكوّن آراءك بحذر شديد - وتغيرها بحذر أكبر .

جوسن بيلينغز
كاتب فكاهي امريكي (١٨١٨ - ١٨٨٥)

■ آه لو عرف الشباب! وآه لو استطاع المشيب!

هنري اتيين
ناشر فرنسي (١٥٢٨ - ١٥٩٨)

■ من لا يرتكب خطأ ابدا لا يكتشف شيئا ابدا .

ساموبل سمايلز
كاتب اسكوتلندي (١٨١٢ - ١٩٠٤)

■ لا تقل انك تعرف انسانا معرفة تامة قبل ان تقتسم معه ميراثا .

يوهان كاسبر لافاتير
شاعر ومتصوف وكاتب فلسفي ولاهوتي سويسري
(١٧٤١ - ١٨٠١)

■ أب واحد خير من مئة معلم .

جورج هربرت
قسيس وشاعر انكليزي (١٥٩٣ - ١٦٣٣)

■ قد تكون خير معونة تتلقاها دفعة قوية تصدك عن طريق خاطىء .

ج.ب.

■ العاري من الفضيلة لا شيء يستره .

بنيامين فرنكلين

اي شعور يغمر الشخص الذي زرعتفي جسمه كلية كانت في جسم غيره؟ هنا قصة انسان ذهب بعيدا في "ارض النمور"...

زرع الكلى

حياة جديدة

رن جرس الهاتف الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة مساء وعرفت فورا صوت كبير اطباء قسم الكلى. كان الاتصال وحده كافيا لينبئني بما احتاج الى معرفته، فهو لا يخاطب المرضى هاتفيا الا لسبب واحد فقط: قال: "لدينا كلية اخرى لك، وعليك ان تحضر خلال نصف ساعة".

وكانت زوجتي ديانا قد خرجت لحضور حفلة موسيقية، فتركت لها الكلمة الآتية: "ديانا، عودة سعيدة، عملية نقل، اخبري الاسرة والاصدقاء القريبين فقط. اراك غدا. لك حبي. بيل".

وكنت عارفا بالامر. فقبل تسعة اشهر، زرعت في جسدي كلية على اثر انتظار دام ثلاثسنوات للعثور على كلية تتفق وفئة دمي وطبيعة انسجة جسمي. لكن جسدي لفظ الكلية الجديدة بعد عشرة ايام. وامامي الان فرصة ثانية.

وتذكرت حرج الاصدقاء والاسرة آنذاك عندما تحول الاحساس بالنصر الى خيبة امل طاغية. ان الامر سيجري هذه المرة في هدوء بغير افراط في التفاؤل او الحماسة، ومن دون ان يعلم به عدد اكبر مما يلزم من الناس.

وضعت في حقيبتي ثياب النوم وفرشاة اسنان وآلة حلاقة وكتبا ستجتاز جهاز التعقيم قبل ان اراها ثانية وقد اصفرت صفحاتها وغدا ملمسها شبيها بملمس الجلد القديم.

وشغلتني افكاري عن تبادل الحديث مع سائق التكسي اثناء الطريق الى مستشفى بيرث الملكي (رويال بيرث)، فالرحلة طويلة الى لحظة الحقيقة تلك.

قبل سنوات عدة، قيل لي ان كليتي ستتوقفان عن العمل بعد حين، ولكن انهيارهما عام ١٩٧٠، وانا في السادسة والثلاثين من عمري، كان صدمة مفاجئة شبيهة بتدحرج انسان على درج لا نهاية له.

فالسموم التي كانت ترشحها الكليتان من جسمي عادة لم تلبث ان تجمعت فزادت ضغط الدملدي وبدأت تؤثر على القلب والرئتين. وبدأ ينتابني صداع مؤلم يحملني ليلا على النهوض من فراشي والتمشي ساعات عدة في الحديقة العامة. ورحت اعاني على الدوام غثيانًا واحساسا بالتعب. واغمي علي في الشارع مرات عدة حتى صرت غير قادر على السير من دون مساعدة.

لا اخاف الموت - وعندما بلغت السموم خلايا دماغي، اصابتني نوبات متقطعة من "الجنون الكلوي"، وهو مرض بيوكيميائي وليس نفسيا، فاحيط فراشي بقفص يمنعني من ايذاء نفسي، وامضيت ساعات بطولها في هستيريا عالم مختل، ممزق ويثير الفزع.

وخف الى فراشي في المستشفى مدير المصرف، وقد بدا عليه القلق، يطلب منى التوقيع على وثيقة رهن "احتياطى للطوارىء"، كما جاء محامى الاسرة طالبا توقيعي على وصية اعدت على عجل وبدت نهايتي الوشيكة ماثلة في عيون الاصدقاء وافراد الاسرة.

بعدها اكتشفت لدهشتي انني لا اخاف الموت، بل شعرت بالغيظ والغضب لمجيئه هكذا قبل الاوان.

صحيح ان آلات غسل الكلى تستطيع ان تؤدي مهمة الكلى المتلفة، فتنقى الدم من السموم والتلوث. لكن عدد هذه الآلات في اوستراليا لا يفي الحاجة، كما ان هناك نقصا كبيرا في الكلى التي توهب للنقل الجراحي.

وقال لى الطبيب: "انني آسف، ولكن من الضروري ان ننظف جسمك والى ان نتمكن من حجز مكان لك على احدى الآلات، لا مفر من اجراء عمليات غسل للكلى، وهو امر مزعج ومؤلم".

وفتحوا في بطني شقا شبيها بذاك الذى يفتح في بطن خروف انتفخت احشاؤه بالغازات، ثم قضيت ٤٨ ساعة لا تكاد تحتمل، كانت المضخة اثناءها تدفع الى احشائي محلولا ملحيا "ينظف" الجسم من السموم الكيميائية.

وقيل لى ان بعض المرضى تحملوا مثل هذه العمليةالبالغة الايلام مرتين فى الاسبوع على مدى عام وأكثر. وبدا الامر لى فوق طاقة البشر، لان الالم جعلنى اتمنى الموت.

ولحسن حظي، في اليوم التالي لمحنة الغسل العسيرة حصل احد المرضى على كلية مزروعة، وبذلك

بات في امكاني الحلول مكانه على الآلة. واجريت لي عملية سريعة لتركيب "توصيلة" في ذراعي، وبدأت اعيش نظاما جديدا غريبا اقضي فيه ثماني ساعات يومية، لثلاث مرات في الاسبوع، ممددا على سرير المستشفى اقرأ او اتفرج على التلفزيون او اثرثر مع المرضى الآخرين، بينما الدم يسحب من جسمي ليمر في الآلة التي تنقيه ثم يضخ الى عروقي مرة اخرى.

وكانت تلك هي الوسيلة التي ابقتني على قيد الحياة طوال سنوات اربع. كانت نظاما مملا، مرهقا وثقيلا، ولكنه باعث الى الاطمئنان. اما الان وبعد ان سبق لي اجتياز عملية زرع فاشلة، فانني اغامر مرة اخرى في المجهول... اغامر باقتحام "ارض النمور".

المرحلة الحاسمة - بعد الحلاقة وتناول المهدئات، وجدتني انتظر في ممر رطب اخضر خارج غرفة العمليات، بينما الجراحون الذين استدعوا من بيوتهم او قطعوا عن الحفلات الموسيقية او مآدب العشاء يتحركون بنشاط حولي في ارديتهم الخضراء ويتوقفون الى جانب الحمالة لمصافحتي متمنين لي حظا سعيدا. وجاءني اختصاصي في الانسجة وقال في خجل: "اظن اننا قد حصلنا لك على واحدة صالحة هذه المرة".

كنت اريد للعملية النجاح من اعماق قلبي، فالجراحون ايضا يتسحقون ذلك. ان اطباء الكلى لهم في قلبي مكانة خاصة، لانهم يعيشون مشكلات مرضاهم طوال ٢٤ ساعة في اليوم من دون انقطاع على مدى اسابيع واسابيع، وسنوات احيانا.

فوق رأسي الان دائرة ضخمة من الضوء، كأنها صورة اللانهاية. واصوات الجراحين والممرضات الهادئة المنبئة بالكفاية، كأنها كائنات منفصلة عن اصحابها. اسمع طبيبة التخدير، وهي صينية تبدو شابة على نحو غريب، تقول لي: "انك ستنام الان". ثم ساد الظلام.

وصحوت لاجدني في مكان مألوف. لقد اقمت في غرفة العزل هذه من قبل، وهي تشبه كبسولة فضائية وعلى من يريد دخولها ان يستحم ثم يرتدي ثوبا خاصا وقناعا وحذاء واقيا. اما الاشياء الجامدة فتعقم تماما. فمن الضروري ان ابقى في منأى عن اي جراثيم لان عقاقير كبت المناعة التي تحول دون رفض الجسم للكلية الجديدة قد خفضت عدد الكريات البيضاء في دمي ومن ثم فانها اضعفت قدرتي على مقاومة الامراض المعدية.

وسألت بصوت ثمل: "هل حصلت على كلية؟"

وجاءني الرد: "نعم، وهي تعمل بنشاط فائق".

ان الرد لم يتضمن عبارة "حتى الان"، لكن الجهاز الطبي يعرف، كما اعرف انا، ان ذلك ليس سوى بداية الرحلة الى "ارض النمور".

ها هو الصباح. ديانا زوجتي تنظر خلال النافذة الزجاجية المستديرة في باب غرفة العزل. انها تبتسم وترفع ابهامها علامة التوفيق، وتقول من خلال لوحة الاتصال في ما بيننا: "ان الحال جيدة". انها تعرف مثلي مدى الفرحة، فعملية نقل الكلية لا تزيد احتمالات نجاحها على ٦٠ في المئة،

ولم تكن لتسمح لنفسها بحديث التشجيع لو لم يكن هناك ما يبرر ذلك. لا بأس حتى الان!

وخلال النهار، يتوالى العاملون في وحدة غسل الكلى والممرضات لينظروا الي من خلال النافذة ويكرروا عبارات التشجيع. كذلك يفعل زملائي المرضى الذين مر بعضهم بتجربة زرع الكلى بينما البعض الآخر يلازم الآلات منتظرا دوره. ويأتي الاطباء حاملين اوراقا تحوي مخططات ورسوما لنتائج الاختبارات البيوكيميائية التي تدفقت من الدماغ الالكتروني للمستشفى. ويبدو الى الان، ان هذه النتائج تثير في نفوسهم الرضا.

وللمرة الاولى منذ سنوات، تعمل مثانتي طبيعيا ويأتيني التشجيع كي اشرب بكثرة اللبن والشاي والقهوة وعصير الفاكهة،بعد ان عشت سنين عدة خاضعا لقيود صارمة في كمية السوائل التي اتناولها. انني اجد الان الماء القراح نفسه يفوق في لذة طعمه افخر انواع الشراب.

ولان آلة غسل الكلى لا يمكنها ان تتحمل سوى كميات صغيرة من الحوامض الامينية الغنية بالبروتيين ومن الاملاح الكيميائية مثل البوتاسيوم والصوديوم، فقد كان علي ان اخضع لنظام غذائي يندر فيه البروتيين ويخلو من الاملاح. اما الان، فقد قدمت الي شريحة من اللحم، بل وسمح لي بنثر الملح عليها مما جعل طعمها غريبا للوهلة الاولى.

وضعت كليتي الجديدة في مقدم التجويف البطني بدلا من الخلف، حيث توجد الكلى عادة لان اجراء الجراحة وعمليات الوصل اللازمة تسهل اذا كانت الكلية في مقدم التجويف. لقد ابقيت الكلية في وضع مقلوب لانها تستقر على نحو افضل.

في "ارض النمور" — وها انذا الان بعد خمسة ايام، وقد ازيلت انابيب التصفية من الجرح وبات في امكاني النهوض والتجول في غرفتي المعزولة.

ووجدتني احدق في مرآة الحمام. لقد عشت سنوات عدة وجسدي لا يحتوي الا على ثلث العدد الطبيعي من كريات الدم الحمراء، بحيث اصبح الشحوب المصاحب لفقر الدم من صفاتي الملازمة، اما الان فانني ارى اللون يعود الى وجنتي، كما ان يدي قد بدأ يشيع فيهما احمرار ينبىء بالصحة.

هذا هو اليوم الثامن الذي ساءت فيه الامور في المرة الماضية ولكنه يأتي ويذهب بطيئا فاشعر انني قد اجتزت هذا الحاجز على الاقل. وينتهي العزل ويدخل الاصدقاء والاقارب حجرتي فاحذرهم من الافراط في التفاؤل، واراهم يعقدون اصابعهم طلبا للحظ السعيد.

واحصل على اذن بالعودة الى بيتي. ولكنني وديانا زوجتي لا نكاد ندخل البيت حتى يرن جرس الهاتف واسمع صوت الطبيب، وهو يحاول الا يوحي بالقلق: "ان لدينا ملاحظة سلبية صغيرة على تحليل الدم الذي اجري هذا الصباح،فهل يمكنك ان تأتي على الفور؟"

شعرت بالانسحاق. لقد قيل لي انني استطيع ان اجرب عملية اخرى اذا لم تنجح هذه، ولكنني وجدت نفسي اتساءل عما اذا كان الامر

يستحق العناء. وحاولت ان اخفي مشاعري عن زوجتي ولكنها كانت تعرف، فهي رافقتني في عبور "ارض النمور".

وفي المستشفى اجريت اختبارات جديدة اسفرت عن تأكيد الدلائل المشؤومة. لقد بدأ جسمي يلفظ الكلية الجديدة.

واعطاني الاطباء جرعة كبيرة مركزة من عقاقير كبت المناعة. وكنت اعرف ان هذه هي المحاولة الاخيرة، لان الاطباء لا يستطيعون المضي في هذا السبيل فترة طويلة نظرا الى ما لهذه العقاقير من آثار جانبية خطيرة يمكن ان تعادل في سوئها المرض الاصلي، مثل القرحة وتبثر الجلد وتصلب الشرايين وضعف العضلات.

وبينما كنت احاول خلال الساعات الاربع والعشرين التالية ان اتقبل خيبة الامل التي بدت الان محتملة، رن جرس الهاتف وقال الطبيب بلهفة المنتصر: "لقد عادت الامور الى مسار طيب". اذا، ما زالت الفرصة امامي.

ورحت امر بالمستشفى كل صباح لاجراء تحليلات الدم ثم انتظار ورود النتائج من المختبر قرابة الاولى بعد الظهر. كنت اشعر بما يشعر به السائر على حبل مشدود في الضباب اذ هو لا يستطيع رؤية خطوته التالية.

ولكن الاطباء بدوا راضين عن تقدم حالي فخفضوا نسبة العقاقير التي اتناولها.

العش الآمن — ومضت اربعة اسابيع. وفي يوم جمعة قال لي احد الاطباء ان حالي تتقدم على نحو طيب يسمح لي باجازة عطلة نهاية الاسبوع، وانه لن تجرى لي تحليلات دم الا يوم الاثنين. كان انتصارا صغيرا، ولكنني احسست وكأنني فرخ طائر دفع من عشه الآمن ليحلق قبل الاوان.

وجاءت ليلة السبت تحمل معها الجحيم، اذ انتابتني اوجاع وآلام لم اعهدها من قبل.

وفي صباح الاحد اتصلت بالطبيب وقلت له: "انني اشعر بان شيئا ما قد تدهور تدهورا خطيرا".

وحملتني التكسي الى المستشفى حيث جلست في غرفة الانتظار احاول، وانا غائم العينين، قراءة صحف الاحد في انتظار تحليل عينة من دمي. وجاء الطبيب حثيث الخطى يحمل في يده بيان النتائج، وقال ان حالي على ما يرام فاعتذرت له عن توتر اعصابي، ولكنه قال: "لا تزعج نفسك بالاستياء من ذلك. فالواقع ان لديك حاليا امورا كثيرة تستحق ان تتوتر لها اعصابك قلقا".

وبالتدريج، ازدادت فترات الطيران بعيدا عن العش الآمن، اذ لم اعد اذهب الى المستشفى الا ثلاث مرات في الاسبوع، فمرتين فقط. والان، بعد اربعة اشهر بات مروري بالمستشفى مقتصرا على مرة واحدة في الشهر. وما زلت اتناول العقاقير الكابتة للمناعة بجرعات تكفي لمنع الجسم من رفض الكلية ولكنها خفضت الى حد يقلل كثيرا من اخطار آثارها الجانبية.

ويقول لي الطبيب: "ان حالك تتقدم على نحو طيب، ولكنك ستبقى في ارض النمور لبعض الوقت".

ترى متى اخرج تماما من هذه الارض؟ لا احد يعرف على وجه

التحديد. ولكن لقاءاتي للمرضى الاخرين الذين اجريت لهم عمليات الزرع المماثلة تمدني بمقدار كبير من الشجاعة، فنحن جماعة صغيرة ولكنها وثيقة الترابط.

فاحدنا يقول ببشاشة: "لقد تعرضت لبعض المشاكل في البداية، اما الآن فانا في صحة لم اعهدها من قبل،اقود الجرار الى الخلف. وقد انجبت لتوي طفلا آخر".

ويقول رفيق له: "لقد كنت في رحلة عبر المحيط لثلاثة اشهر".

وكلما لمست انتفاخ الانسجة البسيط تحت الجلد في اسفل احشائي وجدتني افكر في صاحب الكلية الذي منحني اياها، وهو شاب توفي بسبب نزف في الدماغ، كذلك افكر في زوجته. فانا مدين لهما بالامتنان العميق، لانهما قدما بتجرد نادر هذه الهبة التي اتاحت لي فرصة حياة جديدة.

انني ارى في كل يوم جديد هدية غير منتظرة، فقد قضيت سنوات اؤدي عملي كشريك في مؤسسة للاعلان وانا اؤجل الوثبة التي اريدها الى عالم الكتابة الذي لا ينطوي على اي ضمانات. ولكنني ادركت في محنتي ان علي ان افعل ذلك وقد فعلته، فنحن لا نعيش سوى مرة واحدة.

انني لا ازال سائرا في "ارض النمور" باعصاب متوترة، ولكنني اشعر برضا عن الحياة كبير، لانني اعرف الان ان اضخم نمر في الوجود لا يمكن ان يخيفني مرة اخرى.

■ **بيل وارنوك**



عصر السرعة

في ولنغتون (انكلترا)، تسلم رجل اعمال رسالة من دائرة البريد مع الملاحظة الآتية على الغلاف: "نأسف لأن الحلزون التهم الطابع البريدي". فعلق قائلا: "كنت اعلم ان خدمات البريد آخذة في التباطؤ، ولكن لم اتخيل أن الحلزون يستطيع اللحاق بها".

(وكالة "يونايتد بريس")

الاقتصاد السيء

توصلت احدى الشركات الكبرى ذات الفروع المنتشرة في انحاء العالم الى ان الاضافة الروتينية لعبارة "مع التقدير" في ختام كل برقية صادرة تكلف الشركة نحو ألف دولار سنويا. فأرسلت مذكرة الى جميع مكاتبها تقول: "الرجاء انهاء البرقيات من دون تقدير في المستقبل". وبعد بضعة اسابيع، لوحظ ان التكاليف ارتفعت عوض ان تنقص، فيما لم تستفد الشركة على صعيد تطوير علاقاتها الودية، وذلك لان خاتمة البرقيات غدت "من دون تقدير".

د.غ. (صحيفة "ميلووكي")

بولونيا: حنين أمّة الى الديموقراطيّة

يشعر البولونيون بغربة في الفلك الذي يعيشون فيه وتشكل حركة المنشقين عندهم مثالا يحتذى

عندما يهبط الليل على وارسو (فرصوفيا) يكون سكانها عادوا الى بيوتهم ليتناولوا عشاءهم ويأووا الى فراشهم· لكن هذه القاعدة لا تسري على عدد من البولونيين ذوي العزم الذين يتوجهون في سيارات الى الريف حيث يساعدون المزارعين المعارضين للنظام في تشكيل منظمة سرية مناهضة له·

والى جانب هؤلاء يتجول في شوارع العاصمة البولونية عشرات الشباب: يتسللون الى مخابىء صحافة المنشقين التي يغزر انتاجها في البلاد·

وفي بعض احياء المدينة يجتمع عشرات آخرون من الطلاب للاستماع الى محاضرة سرية لاستاذ جامعي شهير عن جوانب من التاريخ البولوني المعاصر حذفت من منهج الدراسة في الجامعات·

ان هذه المظاهر تعطي فكرة عن وضع بولونيا الفريد في اوروبا الشرقية التي تدور في الفلك السوفييتي· ففي الدول الاخرى الدائرة في هذا الفلك، ترتفع من حين الى حين اصوات منشقين لكنها لا تلبث ان تخبو او تخنقها السلطات· ولكن في السنوات الاخيرة اكتسبت حركة المعارضة البولونية مظهرا ملفتا اذ هي اخذت على عاتقها مهمة تقديم الحقائق التي لا تدحض والافكار الجديدة لجمهور متعطش الى المعلومات التي تعبث بها الرقابة·

اما الحكومة فانها تواجه مشكلة بالغة الدقة· فبولونيا تنوء بديون خارجية ثقيلة الوطأة وانتاجها الزراعي والصناعي لا يسد حاجاتها المحلية، فضلا عن ان اسواقها تعاني نقصا في الكثير من السلع الضرورية· ونتيجة لضعف الاقتصاد البولوني،

فان حكام البلاد لا يجرؤون على المجازفة بضرب المعارضة خشية ان يؤدي ذلك الى اضطرابات من النوع الذي اسقط الحكومة مرتين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ولكن الاتحاد السوفييتي، جار بولونيا القوي، يدرك تماما ان كل بولوني ينهض للمطالبة بحقوقه ولا يعاقب على ذلك يصبح مثالا يثير الحسد في نفوس ٣٣٣ مليون نسمة يعيشون في نطاق الكتلة السوفييتية كما ان هذا البولوني يعتبر نموذجا يغري تلك الملايين بان تحذو حذوه.

مهارة في العمل السري - وعلى رغم جميع الاخطار فان لصوت المعارضة رنة منعشة في آذان شعب اعتاد تلقي وجهة النظر الشيوعية في التاريخ والسياسة والفن والادب وحيث تحرص الصحف الرسمية على تجنب الاشارة الى الاقتصاد المتداعي، وتمنع الرقابة على هذه الصحف التحدث عن عدد كبير من الموضوعات بينها الحرائق والاوبئة وحالات الغرق وحوادث السيارات، الا اذا حدثت تلك الامور في الغرب. اما نقد الاتحاد السوفييتي فهو محظر اطلاقا.

ان الصحافة السرية في بولونيا تركز على الاخبار السيئة. وهناك ٣٠ صحيفة سرية على الاقل بعضها يصدر اسبوعيا، وبعضها الاخر شهريا والبعض الثالث فصليا، ويقدر اجمالي توزيعها بين ٢٥٠٠٠ و٣٠٠٠٠ نسخة، ويقرأ النسخة الواحدة منها احيانا اكثر من ١٠٠ شخص. وتتولى صحيفتا "النشرة الاعلامية" و"الرأي" نشر تفاصيل اخر الاعتقالات السياسية والتهديدات والاعتداءات التي يتعرض لها مناهضو النظام على ايدي


ميروسلاف تشوجيكي.

الشرطة. ويجد القارىء في صحيفة "العامل" مثلا شرحا لاسباب ازمة اللحوم، وتورد الصحيفة اخبارا عن قصابين معينين لديهم قوائم باسماء ضباط شرطة ومديري مصانع وغيرهم من اصحاب الامتيازات الذين يحصلون من اللحوم على انصبة اكثر من سائر الناس. وتتساءل صحيفة "المزارع" بجرأة: "من ذا الذي يحتاج الى حلف وارسو؟". وترد: "ليست بولونيا بالتأكيد!".

وهناك عدد من هذه الصحف يطبع بـ"الاوفست"، الا ان معظمها يطبع باحبار خشنة تصنع سرا في المنازل (حيث يخلط سناج المصابيح البدائية بزيت بذر الكتان) وينسخ على آلات عتيقة، فيخرج مليئا بالبقع الى درجة تصعب معها قراءته احيانا.

وأكبر الناشرين غير الرسميين في بولونيا هو ميروسلاف تشوجيكي، وهو شاب نحيل شاحب في التاسعة والعشرين من عمره، كان يعمل باحثا كيميائيا ثم فصل من معهد الطاقة النووية البولوني بسبب نشاطه السياسي، فاصبح يكسب عيشه من العمل دهانا في البيوت، ويدير الى ذلك عددا من المطابع السرية. وهو المسؤول عن نشر مجلتين ادبيتين فصليتين تتمتعان باحترام كبير، احداهما تسمى "السجل" والثانية "النبض". وهو يعلم جيدا انه في كل مرة يخرج من مسكنه في وارسو يكون


آدم ميتشنيك٠

عليه ان يتحايل على رجال الشرطة السرية الذين ينتظرونه ليتعقبوه حتى يكتشفوا مقر احدى مطابعه السرية٠ ومنذ اشهر عرض أحد الغرباء سرا على تشوجيكي بيعه آلة طباعة جديدة فارتاب الناشر في الامر وخشي الوقوع ضحية خدعة تستهدف اكتشاف مقر مطبعته، فطلب تسليم الآلة في مكان مقابل لكاتدرائية وارسو٠

وعندما وصلت الآلة الى هذا المكان حملها تشوجيكي مع احد رفاقه، وهي في صندوقها، الى داخل الكاتدرائية حيث لا تجرؤ الشرطة على الدخول٠ ثم اسرع الرجلان فاخرجا الآلة من صندوقها وحملا الصندوق الفارغ علنا الى سيارتهما وانطلقا بها مسرعين٠ واندفع رجال الشرطة في اثرهما في اقصى سرعة لكنهم لم يكتشفوا الخدعة الا عندما انتهت المطاردة بعد مسافة طويلة، وفي تلك الاثناء كان اعوان تشوجيكي قد فككوا الآلة في الكاتدرائية بسرعة وحملوها الى مقرها قطعا٠

التاريخ غير الرسمي – وبينما يخوض الناشرون معركتهم ضد الرقابة بمطابعهم السرية، يبذل عشرات من اساتذة الجامعات نشاطا مماثلا عن طريق محاضرات "الجامعة الطائرة" التي يعقدونها في البيوت حيث يزدحم الناس في الغرف ليستمعوا الى احاديث تتناول الاقتصاد والتاريخ والأدب وعلم الاجتماع، بعيداً عن القيود الايديولوجية٠ وتحل هذه الاحاديث كذلك اعمال الكتاب المغضوب عليهم،


ياشيك كورون٠

واحد هؤلاء الاساتذة فلاديسوف بارتوجيفسكي الذي لا يكف عن دحض الرواية الشيوعية لتاريخ القرن العشرين٠ فتاريخ بولونيا الرسمي لا يتضمن اي اشارة الى النتائج المفجعة للمعاهدة النازية – السوفييتية التي عقدت عام ١٩٣٩ فيسَّرت لهتلر غزو بولونيا٠ كما ان هذا التاريخ لا يتضمن اي معلومات عن المذبحة التي ارتكبها السوفييت وذهب ضحيتها آلاف الضباط البولونيين في غابة كاتين عام ١٩٤٠، ولا يروي حقيقة ما قام به السوفييت عام ١٩٤٤ قبل التمرد الذي حدث في وارسو ضد الالمان وفي اثنائه حيث بقيت القوات الروسية خارج المدينة طوال خمسة اشهر مما اتاح للنازيين فرصة القضاء على البقية الباقية من القوات البولونية وهدم العاصمة على رؤوس اهلها٠ ان كل هذه الحقائق التاريخية تتناولها بالتفصيل محاضرات "الجامعة الطائرة" التي يلقيها بارتوجيفسكي٠

وتلاحق الشرطة "الجامعة الطائرة" وتركز على آدم ميتشنيك (٣٢ عاما) الذي يحاضر عن تاريخ بولونيا بعد الحرب العالمة الثانية متناولا الفترة التي تلت الحكم الشيوعي٠ وذات

مساء دهم رجال الشرطة مكانا يحاضر فيه ميتشنيك الا ان هذا لم يكن بدأ الكلام فصاح احد الضباط: "هذا اجتماع غير قانوني، انصرفوا حالا". فما كان من ميتشنيك الا ان تجاهل الامر وواصل محاضرته، عندئذ اطلق احد رجال الميليشيا في الغرفة غازا مسيلا للدموع مما اضطر الحضور الى الانصراف.

وميتشنيك رجل شاحب الوجه يفضل ارتداء حذاء رياضي "لمساعدتي على الفرار من رجال الشرطة" (قبض عليه أكثر من ٤٠ مرة). وهو قال لي: "ان ما يجب ان يحدث هنا، وما سيحدث بالفعل، هو انتصار الاشتراكية الديموقراطية. اننا نريد انهاء الرقابة والقهر، ولا بد للشعب من ان يكون له صوت مسموع!".

وتستمد كل من صحافة بولونيا غير الرسمية وجامعتها الطائرة كثيرا من الهامها من "لجنة الدفاع الاجتماعي عن النفس"، وهي منظمة اسسها المثقفون المنشقون ومن ابرز قائدها ياشيك كورون، وهو في الخامسة والاربعين من عمره كان استاذا مساعدا في جامعة وارسو. وكورون ماركسي مخلص خاب امله في الشيوعية حين خبر ممارستها مباشرة، واشترك في تأليف كتاب يندد بنظامها. واوصلته معارضته للنظام الى السجن حيث امضى ستة اعوام ونصف عام عززت في نفسه القناعة بان الاشتراكية لا يمكن ان تنجح الا في ظل التعددية السياسة والديموقراطية البرلمانية وضمان حقوق الانسان.

ثم حدثت في بولونيا اضطرابات ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٦ التي حركها اعلان الحكومة مضاعفة اسعار السكر وزيادة اسعار اللحوم والاسماك بنسبة ٧٠ في المئة تقريبا، فتظاهر العمال واصطدم عدد منهم برؤسائهم في اكثر من مدينة. ففي بلدة اورسوس، وهي احدى ضواحي وارسو، انتزع المتظاهرون قضبان السكة الحديد. وفي رادوم، الى الجنوب من وارسو، اشعل المتظاهرون النار في مقر الحزب الشيوعي.

وقد تدخلت الشرطة مستعملة العنف مع المتظاهرين الذين سقط بينهم عدد من الجرحى، وقبض على اكثر من ٢٥٠٠ متظاهر وفصل المئات من وظائفهم استنادا الى تهم غير مثبتة مثل: "اتخاذ موقف اجتماعي سلبي في ٢٥ يونيو".

وكان المتظاهرون في الاضطرابات السابقة لا يجدون جماعات اخرى تؤازرهم، ولكن الخشونة التي عومل بها المضربون هذه المرة اكسبتهم عطف الطلبة. ولدى اقتراب موعد محاكمة العمال الموقوفين نشط الطلاب والمحاضرون، ومن بينهم كورون، لجمع الاموال وتكليف محامين الدفاع عنهم. وخلال اشهر قليلة وزع، مما جمع، قرابة مليون زلوتي (ما يعادل ١٠٠٠٠٠ دولار) على الاسر المحتاجة، وظهرت الى الوجود "لجنة الدفاع الاجتماعية عن النفس".

اسلوب العمل - تركز نضال "لجنة الدفاع الاجتماعي عن النفس" على اصدار عفو كامل عن المتظاهرين المعتقلين واعادة جميع المفصولين الى اعمالهم. ولما كانت الصحافة الرسمية تجاهلت محاكمات العمال على نحو يكاد يكون تاما، فقد اخذت اللجنة على عاتقها امر النشر الاعلامي

الواسع النطاق لتفاصيل التعذيب التي يتعرض له المعتقلون من جانب الشرطة والخرق الفاضح للاجراءات القانونية التي ترافق المحاكمات.

ومن اجل التحصن ضد الاعتقالات ضم معارضو النظام الى صفوفهم عددا من الشخصيات البارزة التي لا تجرؤ السلطات على اعتقالها، ثم اقاموا علاقات خاصة مع وكالات الانباء الغربية. وقد ثبتت اهمية هذه الصلات ذات مساء من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٦ عندما اقتحم رجال الشرطة اجتماعا عقدته "لجنة الدفاع الاجتماعي عن النفس" واعتقلوا المجتمعين فانتشر الخبر بسرعة وبدأت بولونيا كلها تستمع الى انباء الاعتقالات من الاذاعات الاجنبية. فقد نقل الخبر تلفونيا على الفور الى مدن اوروبا الغربية. ولما كانت السلطات البولونية حريصة على صورتها الخارجية فقد سارعت الى اطلاق معظم اعضاء اللجنة المعتقلين.

في بداية الامر، تظاهرت السلطة بتجاهل اللجنة، باستثناء بعض الاعتقالات المتفرقة، لكن موقف السلطة هذا لم يلبث ان تغير فاخذ رجال الشرطة يتحرشون باعضاء اللجنة ويعنفون الذين يعملون لحسابها، كما بدأ هؤلاء يتعرضون لهجمات يشنها عليهم غرباء. وفقد اعضاء اللجنة البارزون اعمالهم، وراح اعضاء اخرون يتلقون تهديدات بالضرب.

وطاف ستانيسلاف بوجاس، وهو طالب جامعي في مدينة كراكوف، بعريضة تندد بتصرفات الشرطة العنيفة. وفي ٧ مايو (ايار) ١٩٧٧ عثر على جثته في مدخل احدى العمارات السكنية، وادعت السلطة انه مات بسبب سقوطه على السلم، مع ان جثته وجدت في مكان يبعد كثيرا عن اسفل السلم. وقد تأكد زملاء ستانيسلاف من انه قتل اثناء استجواب الشرطة له، فنظموا موكبا لذكراه سار مخترقا المدينة في ضوء الشموع واشترك فيه ما يقرب من ٥٠٠٠ طالب يمثلون اكثر من ١٥ في المئة من مجموع طلبة جامعة كراكوف.

ولما كان ادوارد جيريك، رئيس الحزب الشيوعي البولوني، كمن يتأرجح على الدوام فوق حبل مشدود بين السوفييت من ناحية ومواطنيه الساخطين من ناحية اخرى، فانه يتقلب في تصرفاته دائما بين القهر والمصالحة. وهو رأى الآن ان يختار الحل الثاني. فبعد شهرين ونصف شهر على وفاة بوجاس، افرج عن جميع العمال الذين صدرت ضدهم احكام واعيدوا جميعهم تقريبا الى اعمالهم. وكان وراء هذا التصرف - او التنازل - باعث سياسي، لان "لجنة الدفاع الاجتماعي عن النفس" قد انشئت في الاصل من اجل التوصل الى الافراج عن السجناء واعادتهم الى وظائفهم وبعد تحقق هذين الهدفين توقعت الحكومة ان تحل اللجنة نفسها الا ان شهرة اللجنة جعلتها تتجاوز دورها الظرفي اذ هي بدأت تتلقى نداءات الاستغاثة وطلب المشورة من مواطنين آخرين يواجهون متاعب مع السلطة. بل اكثر من ذلك، اصبحت اللجنة تتمتع بـ"بركة" اقوى مؤسسة في البلاد وهي الكنيسة الكاثوليكية، بما في ذلك الدعم المعنوي من كبير الاساقفة كارول

كاردينال فوجتيلا الذي اصبح البابا يوحنا بولس الثاني.

ولما كانت الكنيسة الكاثوليكية هي الحافظة لتقاليد بولونيا وتراثها على مدى الف عام، فانها تتمتع بدعم قرابة ٩٠ في المئة من سكان البلاد. وقد اغاظ النظام قرار اللجنة مواصلة عملها وتوسيع نشاطها بحيث يشمل جميع حالات حقوق الانسان في بولونيا.

حنين امة بكاملها - واذا شئنا التزام الدقة، فان "لجنة الدفاع الاجتماعي عن النفس" لا تضم سوى ٣٣ عضوا فحسب، بينهم عدد من اساتذة الجامعات المعروفين ورجال البحوث المشهود لهم، وهؤلاء تظهر اسماؤهم وعناوينهم على كل اعلان تصدره اللجنة. غير ان هذه القائمة لا تضم مئات البولونيين الذين يحضرون جلسات المحاكم ويجمعون التبرعات المالية ويتولون شؤون الرسائل وتهريب المؤن والمعدات.

اما كورون، اهم شخصية في اللجنة، فانه يذهب الى السجن بضع عشرة مرة كل عام من اجل مبادئه. ولما كان فقد عمله كأستاذ في الجامعة، فانه يعتمد على موارد زوجته الاختصاصية في علم النفس، ويوجه كل نشاطه الى عمله في اللجنة. وحين قابلته في مكتبه في بيته لخص لي المشكلات اليومية التي تواجه البولونيين بالآتي: "ان ندرة الاشياء او اختفاءها هما الطابع المميز لحياتنا اليوم. فنحن نعاني نقصا في اللحوم و... الديموقراطية. واذا لم نحصل على الثانية فلن نحصل على الاولى".

واكثر ما يثير الحكومة هو احتمال اتساع نطاق المعارضة. فالبذرة موجودة. وقد انضمت الى "لجنة الدفاع الاجتماعي عن النفس" حركتان اخريان مهتمتان بالحقوق المدنية وحقوق الانسان. وبدأ الوعي السياسي يتزايد بقوة في صفوف العمال والطلبة والفلاحين. وفي قرية زبروشا دوزا، على بعد ٥٦ كيلومترا جنوب العاصمة وارسو، قابلت عددا من الفلاحين الذين انشأوا لجنة احتجاج يحضر المئات اجتماعاتها التي تعقد في الكنيسة المحلية. وتشمل شكاوى الفلاحين سوء حال الاسمدة والنقص المزمن في الفحم والاقمشة واللحوم.

ولكن ما يطمح اليه الجميع، اكثر من اي شيء اخر، هو ان يكون لهم صوت في حكومتهم.

ويتردد صدى هذا الحنين الى الديموقراطية في انحاء بولونيا، اذ ان اهلها لم يفقدوا ذرة من وطنيتهم العارمة التي جعلت منهم شوكة في جنب القياصرة الروس في القرن التاسع عشر وفي جنب الغزاة النازيين في القرن العشرين. وعلى رغم ان بلادهم تحاصرها الجغرافيا والقوة المسلحة السوفييتية فأن البولونيين يشعرون في اعماق قلوبهم بانهم جزء من العالم الغربي الذي يتوقون الى مشاركته في قيمه ومثله.

ادوارد هيوز



راحة البال

من حق كل شخص أن يفكر، لكن كثيرين يوفرون عناء ذلك عن انفسهم.

ك.غ.

ماذا يدور في رؤوس الرياضيين وهم يلعبون؟

البطولة الرياضية... بالمهارة وحدها ام بالمعنويات؟
كيف يرفع الرياضيون معنوياتهم؟

كثيرا ما تساءلت عما يدور في اذهان الرياضيين تحت وطأة المنافسة. أفيحدث احيانا ان يفكر المشترك في سباق للسيارات مثلا ان يفر بسيارته الى اعماق الريف متخليا عن الطريق المرسومة للسباق؟ وهل يتمتع عداؤو المسافات الطويلة بحصافة متميزة لان لديهم متسعا من الوقت للتأمل في مشكلات العالم؟ فقد اتيح لعداء اعرفه، ان يحفظ غيبا معظم قصائد و.ب. ييتس، خلال عام قضاه في الركض حول خزان الحديقة العامة المركزية لمدينة نيويورك.

ان ما يفكر فيه رياضيو العصر المحترفون مدهش في تنوعه. وقد يبلغ توتر ما قبل المباراة ببعضهم حد المرض. فحارس مرمى الهوكي (★) غلين هول اصيب بالمرض قبل مباريات عدة، في حين كان نجم كرة القدم بيليه يبدي تفاؤل الرضا عن النفس في كل مرة يشترك في مباراة.

وفي قاعة الملابس في ملعب "نيويورك كوزموس" اعتاد بيليه ان يمارس طقسا قائما في ذاته: يستلقي على الارض رافعا قدميه على مقعد، وواضعا منشفة تحت رأسه واخرى فوق عينيه. وبينما نصفه داخل مقصورته ونصفه الآخر خارجها، كان بيليه

(★) لعبة شبيهة بكرة القدم، تلعب على الجليد وتستعمل فيها العصا المقوسة بدلا من الرجل ويستعاض عن الكرة بقرص من المطاط. (تتميز هذه اللعبة بالخشونة).

يستغرق في حلم من احلام اليقظة، يعرض فيه ما يسره من المشاهد، فيتصور نفسه مثلا وهو يلعب الكرة حافي القدمين على شاطىء برازيلي، او يستعيد لحظات النصر المذهلة في حياته كنجم. وبمقدار ما تكون المباراة المقبلة مهمة يكون حلمه اطول. وقد حدث قبل احدى المباريات الشهيرة التي حضرها قرابة ٦٢ الف متفرج ان قضى خمسا وعشرين دقيقة تحت منشفته وعندما حان وقت اللعب سجل عددا من اصاباته الشهيرة. اما توم مات الظهير السابق في نادي "بالتيمور كولت" فقد كان يمارس طقوسا اخرى. فهو كان قبل كل مباراة يأخذ كلبه "وايتي" الى نزهة في غابة.

وكان مات يكره التوتر الذي ينتابه في غرفة الملابس ويسبب له شعورا بالنعاس وثقل الاطراف لذلك كان يتجنب البقاء في الغرفة حتى اللحظة الاخيرة.

ولعل ما يحصل في غرفة ملابس محمد علي كلاي لا يختلف، في تصوري، عما يجري في حفلة استقبال ملك فرنسي. فغرفة كلاي تغص بالناس وهو يؤدي امامهم عروضا شائقة.

ولا يسعني الا ابداء العجب امام التمارين الاعدادية للاعب كرة السلة الشهير بيل رسل. فهو كان يتخيل نفسه اثناءها نائب عمدة في قصة من قصص رعاة البقر، يأتي الى مدينة ملأى بالمغامرين فيقضي عليهم في سلسلة طويلة من المشاهد البطولية. (قد تكون هذه الحيل العقلية سخيفة لكن حرمان بيل رسل الانغماس فيها لا بد ان يؤثر تأثيرا ضارا على مهارته في اللعب).

والسائد ان الكثيرين من لاعبي الغولف يتصورون خريطة لارض الملعب تشبه الخريطة الجوية. فاذا اراد احدهم ضرب الكرة، فكر اولا في الموضع المقرر لها على الخريطة. ويبدو اللاعب كرسام يريد تخطيط القماشة بنقاط لونها من بياض كرة الغولف.

واذكر ما رواه لي في هذا الصدد جاكي ستيوارت، البريطاني بطل سباق السيارات سابقا، اذ قال انه عندما يركب سيارته، قبل ادارة المحرك، يتخيل جسده وقد صار منتفخا كالكرة فاذا نفث الهواء من صدره شعر بجسده يسترخي فيتحول الى قطعة لينة من المطاط تلتصق بهيكل السيارة حتى يغدو هو جزءا منها. ومن مزايا هذا التمرين انه يهيئه عقليا ويساعده بدنيا على الاسترخاء وازالة التوتر.

فاذا بدأت المباراة كان عليه ان يركز على اللعب بكل قواه. وكان من عادته، اذا تحول انتباهه عن السباق، ان يعيد التركيز بدرجة اكبر موحيا لنفسه بان خللا ما سيحدث للسيارة. وكان تعنيفه لنفسه بامور نظرية يساعده على توجيه اهتمامه كاملا الى المشكلة الواقعية التي هو في صددها.

اما ميكي كينغ السباحة التي فازت بالميدالية الذهبية الاولمبية، فهي عندما تؤدي واحدة من حركات الغطس ظهرا تبدو وكأنها "سكين سويسرية" مقلوبة رأسا على عقب. وفي وسع المتفرج ملاحظة التصميم والاهتمام يشعان من عينيها. وليس هذا بمستغرب، فهي تقف على ارتفاع يوازي ارتفاع ثلاث طبقات

وتشق سطح الماء بسرعة ٥٠ كيلومترا في الساعة٠ وهي تدرك ان هفوات كثيرة قد تقع بدءا بتلك الواهية التي تكاد لا تلحظ وانتهاء بفقدان التوازن تماما٠ فاذا حدث هذا، اختلط الامر على اللاعب بحيث لا يعود يميز بين زرقة السماء وزرقة الماء٠ بل قد يحدث ما يشبه التوقف الفجائي، فيتعثر الغاطس في الهواء على نحو مفاجيء بحيث يصبح شبيها باحدى شخصيات الرسوم المتحركة اذ تقفز من الطائرة مرحة لتكتشف انها ما زالت على بعد الف متر عن سطح الارض٠

والعامل غير المساعد في مثل هذه الهواجس المرعبة التركيز الكامل لهذه الرياضية على ما يفترض ان تفعله٠ اذ عليها ان تلاحظ يديها وهما تمتدان الى اصابع قدميها وتمسانها، وان تؤدي سلسلة من الحركات تنتهي بها الى اصطدام اصابعها بسطح الماء على نحو قاطع، فيهلل المتفرجون عندئذ ويفكر الحكام في تقدير النقاط التي احرزت٠ وما زالت ميكي تمارس الغطس منذ سنوات، لكنها لا زالت تعجب كيف يستطيع العقل ان يؤدي كل ذلك في مدة لا تتجاوز جزءا من الثانية٠

التركيز وفقدان الوعي – وغالبا ما يكون التركيز شديدا بحيث يفقد الرياضي وعيه بالجمهور والزحام والضوضاء، بل قد يفقد وعيه بهوية افراد الفريق المنافس٠ وفي هذا يقول ديف كاسبر احد لاعبي فريق "اوكلاند ريدر" انه كثيرا ما يركز تفكيره على اللعب حتى ليغفل عن الاهداف المسجلة٠

اما هنري آرون لاعب البيسبول فقد بلغ تركيز تفكيره حداً انه عندما حطم عام ١٩٧٦ الرقم القياسي، الذي كان سجله بيب روث، لم يتوقف ليشاهد الكرة في طيرانها وليستمتع بما حققته مهارته وانما استدار مباشرة واندفع راكضا نحو قاعدته٠ فذلك، في نظره، ما ينبغي للاعب ان يفعله٠

ولعل اغرب مثال على فقدان الرياضي وعيه، نتيجة التركيز الذهني، هو ما حدث عندما حقق بوب بيمون قفزته المذهلة التي بلغ طولها ٨،٩ امتار في دورة الالعاب الاولمبية التي جرت في مكسيكو عام ١٩٦٨٠ ففي هذا النوع من القفز لا يُحرز التقدم الا نادرا ولا يتجاوز المليمترات، لكن بوب حطم الرقم القياسي السابق بمقدار ٣٠ سنتيمترا، الا انه لم يدرك في اللحظة نفسها انه حقق شيئا يستحق الاهتمام٠ فهو انطلق من نقطة القفز وفي ظنه انه حقق قفزة جيدة لكن ضجيج الجمهور روعه فاستدار ورأى المتفرجين يتركون مقاعدهم ويندفعون نحوه فلم يصدق نفسه في باديء الامر الا انه ما لبث ان ادرك انه هو المقصود، وما ان وصلوا اليه حتى رفعوه على الاكتاف، واعتبر ذلك امرا مخيفا اذ بدا كمدرب لكرة القدم وقد حمله فريقه فجأة على الاكتاف في الجزء الاخير من مباراة تبدو خاسرة٠ وطلب من حامليه ان يشرحوا له ما حدث، فاوضح له جيم بياتي، وهو اول من عدا مسافة ميل في اقل من أربع دقائق، ما عساه يحدث اذا شرد ذهن الرياضي وروى لي انه في احدى المباريات التي جرت في موسكو واشترك فيها هو مع لاعبين سوفييت وامريكيين خطر له ان يفكر في المكان الذي سيتناول فيه عشاءه تلك الليلة، وهو امر غير مستغرب اذا

كان المرء في مدينة اجنبية، الا انه سرعان ما لاحظ انه شرد بفكره ولم يعد يعرف اذا كان الجرس قد رن ايذانا ببدء المرحلة الاخيرة من الشوط. (الواقع ان رنين الجرس مرتفع الى درجة تفوق مستوى ضجيج الجمهور ويصل الى اعالي المدرج).

واضاف جيم بياتي: "التفت نحو زميلي في الفريق جيم غريل الذي كان يجري الى جواري، وسألته اين نحن من الشوط؟ وهل نحن في المرحلة الاخيرة؟" فنظر الي باستغراب وقال: "نعم". عندئذ استجمعت قواي وانطلقت متخطيا اياه بما يقارب الامتار الخمسة، قبل ان تتاح للمسكين فرصة مجاراتي، ولو انه قرر خداعي فأخبرني اننا في المرحلة ما قبل الاخيرة لامكنه تحقيق انطلاقته الحاسمة وتجاوزي بمسافة طويلة".

قوائم المرمى والنسور ـ كثيرة حيل الرياضيين في التركيز الذهني. فقد كان من عادة ادي كولينز لاعب البيسبول الشهير في نادي "فيلادلفيا اتليتيكس" ان يلصق علكته (اللبان) على زر قبعته وهو في طريقة الى المباراة، فاذا حدث وسجل اصابتين قفز خارجا واعاد العلكة الى فمه. وهو كان يفعل ذلك ليخفف من انبهاره. والمعروف ان لاعبي كرة المضرب يجرون مع انفسهم حوارات داخلية لا تقطعها الا صيحة اسف على ضربة ضائعة. وقليلون هم الذين شاهدوا مباراة للاعبة جين بيلي كينغ ولم يسمعوها تعنف نفسها بغضب: "ايتها البلهاء!" ولم يروها عندئذ وهي تضرب الارض بقدمها.

ولقد اخبرني حارس المرمى شيب ميسنغ، ان التركيز الذهني على الكرة ذات اللونين الاسود والابيض لمدة ٩٠ دقيقة، هي مهمة شاقة ومرهقة خصوصا اذا بقيت الكرة لفترات طويلة في النصف الآخر من الملعب. وقال ان عليه حينئذ منح نفسه بعض الراحة، خلال المباراة، والا فقد صوابه. فاذا خرجت الكرة عن خطوط التماس في الطرف الاقصى او كانت هنالك ضربة ركنية (كورنر)، انتهز هو الفرصة "ليتحدث" الى قوائم المرمى، وتمكن بذلك من تخفيف توتره وان لثوان.

وسألته: "ماذا تقول لها؟" فأجاب: "اداعبها مناشدا اياها ان تبقى حيث هي في اللحظة الحرجة".

ولكن يبدو ان آرت لارسن بطل كرة المضرب الامريكي للعام ١٩٥٠ هو صاحب اغرب حوار داخلي. فقد كان يتخيل نسرا يحلق فوق الملعب ويرشده اثناء اللعب. فاذا انقضت مرحلة من المباراة هبط "النسر" وحط على كتفه واخذ يهمس في اذنه نصائح في ضوء ما شاهده اثناء طيرانه فوق الملعب، ويوحي له بما ينبغي ان يضع من خطط. ولقد كان في وسع المتفرجين ان يروا كتف لارسن وقد مالت لدى هبوط النسر الوهمي عليه كما كان في استطاعتهم رؤيته وهو يومىء برأسه لدى "تحليق" الطائر ويستعد للارسال.

ومن الرياضيين من يغنّي ليتحكم بافكاره. فمن عادة جاك نيكلاوس لاعب الغولف ان يردد بينه وبين نفسه اغنية واحدة طوال سلسلة من المباريات. وفي سباق نهري في الارجنتين ظلت السباحة ديانا نياد تنشد اغنية واحدة من اغاني الاطفال

تقول: "ادفع قاربك، ادفع، ادفع مرة بعد مرة بعد مرة".

كذلك تنشد كريس ايفرت اغاني "الديسكو" عندما يقتصر الامر على مباريات سهلة، اما اذا واجهت خصما قويا توقفت عن الغناء واخذت تذكر نفسها بروعة الفوز وبمرارة الهزيمة اذ انها ستخيب عندئذ آمال اسرتها واصدقائها بل ووطنها. وهي اذاً تشحذ قواها عن طريق التفكير في الفرق الشاسع بين النصر والهزيمة.

بماذا يفكر الرياضيون عندما ينتهي اللعب وبماذا يشعرون؟

من الواضح ان التفكير في هذه الحال يتوقف، الى حد بعيد، على نتيجة المباراة، وعلى الفارق في النقاط. وقد يحدث ايضا ان يكون رد الفعل بعد الانتصار محدودا. وعندما سئل متسلق الجبال ناوانغ غومبو عما دار في خلده عندما بلغ قمة جبل ايفرست ووقف على ذروة العالم، ابتسم وقال: "كنت افكر في طريقة النزول!".

■ جورج بلمبتون



الانتظار نقيض الاقدام

ان انتظارنا الحصول على جميع المعطيات قبل اقدامنا على عمل معين يعني ان نحكم على انفسنا بالجمود.

جان روستان

قصة النمل

بعد سنوات طويلة وجهود شاقة وصرف ملايين الروبلات، توصل الروس اخيرا الى ايصال ملاحي فضاء الى القمر. وحين فتحا باب المركبة الفضائية وقفزا الى ارض القمر، فوجئا بمجموعة من الصينيين القصيري القامة ترحب بهما. فصرخ الروسيان المذهولان: "هذا مستحيل. كيف استطعتم ايها الصينيون ان تسبقونا الى القمر وانتم لا تملكون صواريخ بقوة صواريخنا؟".

- بسيطة، صيني قصير يتسلق كتفي صيني قصير، ثم يتسلق صيني قصير، ثم يتسلق صيني قصير...

("صحيفة الاحد"، فرنسا)

ساموئيل كوليردج

روى الكاتب البريطاني تشارلز لامب الحادث الآتي عن الشاعر ساموئيل كوليردج الذي اتسم بصفتين اخريين هما كونه خطيبا مفوها من جهة وشارد الذهن من جهة اخرى.

"جذبني كوليردج ذات مرة عبر بوابة احدى الحدائق الخالية حيث وقفنا على رصيف الطريق، ثم قبض على زر معطفي واغلق عينيه وراح يلقي خطابا بليغا. وكانت الكلمات تتدفق من شفتيه كالموسيقى في فيض لا ينقطع. وادركت انه من العبث ان احاول مقاطعته. لذا انتهزت فرصة استغراقه في موضوعه واخرجت مقصا صغيرا من جيبي وقطعت به الزر عن معطفي وفررت. وبعد خمس ساعات كنت امر بالحديقة في اتجاه منزلي، فسمعت صوت كوليردج. وحدقت اليه فرأيته واقفا في المكان نفسه مغلق العينين وقد امسك بالزر بين اصابعه، فيما استمر يلوح بيده اليمنى، كما تركته بالضبط".

أبرد قرية في العالم

تدنت الحرارة في بلدة سيبيرية الى ٧١ درجة مئوية تحت الصفر، فلم يتجمد اهلها لان البرد كان صديقهم

"كل شخص يستطيع ان يعتاد اي شيء". هذا ما قاله لي ايفان دانيالوفيتش تشيروف بلهجة تنم عن غضب. وتشيروف رئيس بلدية ياكوتسك في سيبيريا السوفيتية، وله من العمر ٣٦ سنة، وقد الف التعامل مع الصحافيين الاجانب. وهو يعلم ان هناك موضوعا واحدا يعودون اليه فيه، هو الطقس، مع انه يفضل الكلام عن النمو الاقتصادي والوحدات السكنية والمدارس الجديدة.

لقد كان رئيس البلدية تشيروف اول موظف رسمي اتصل به في رحلتي السيبيريةالتي أخذت فيها على نفسي ان اصل الى "بوليوس خولودا" كما يقال بالروسية، اي الى قطب الصقيع، وهو الاشد صقيعا بين الامكنة المأهولة في العالم.

وياكوتيا، او جمهورية ياكوت السوفييتية الاشتراكية ذات الاستقلال الذاتي، هي الوحدة الادارية الكبرى في الاتحاد السوفييتي بالاضافة الى الجمهورية الروسية السوفييتية الاشتراكية المتحدة. وهي تقع على مساحة من الارض مترامية الاطراف تضم القسم الاكبر من الجهة الشمالية الشرقية من الاتحاد السوفييتي فوق بحر اوخوتسك. ومعدل حرارتها السنوية ١٠٠ درجة مئوية تحت الصفر.

ان فولاذ الآلات في العراء ينكسر وينقصف كالثلج. كما ان عجلات السيارات تتشقف حين تصطدم بالحفر. والجميع يلبسون احذية جلد او لباد" لان النعال الاصطناعية تتفسخ وتتفتت بعد تعرضها للصقيع مدة عشر

دقائق او ربع ساعة. ولا تزال الذئاب موجودة في ياكوتيا. واشبالها تصاد بالفخاخ وتربى كحيوانات اليفة. ومن المؤكد ان الانسان الحديث لم يذق طعم لحم الماموث -وهو فيل منقرض- الا في ياكوتيا. فهناك، في العام ١٧٣٧، عثر على النماذج الاولى منه سليمة محفوظة منذ نحو ٤٠ الف سنة في اودية جليدية اشد تبريدا من اي ثلاجة تستعمل اليوم للتبريد والتجليد.

والحرارة الدنيا الطبيعية التي سجلت على الارض كانت في القطب الشمالي في محطة فوستوك العلمية السوفييتية في ٢٤ اغسطس (آب) ١٩٦٠. وقد بلغت ٨٨،٣ درجة تحت الصفر. على ان المكان الابرد الذي اختار الناس ان يعيشوا فيه على مدار السنة هو قرية يبلغ عدد سكانها ٦٠٠ نسمة وتقع في واد جبلي يرتفع ٧٠٠ متر عن سطح البحر في الشمال الشرقي من ياكوتيا. اسم هذه القرية اويمياكون. وقد سجلت محطة الاحوال الجوية فيها حرارة بلغت ٧١ درجة تحت الصفر في يناير (كانون الثاني) ١٩٥٩.

ويعود سبب الصقيع الشديد في سيبيريا الى الاعاصير المضادة ذات الضغط المرتفع، التي يبدأ هبوبها في اكتوبر (تشرين الاول) ولا يزول الا في ابريل (نيسان). وتجلب هذه الاعاصير طقسا جافا باردا، ولا تحمل الرياح القادرة على ابعاد الغيوم المنخفضة.

وبسبب التشجيع الحكومي على الاستيطان في سيبيريا، يعمد السوفييت الى التخفيف من قسوة المناخ هناك. وثروات سيبيريا الشهيرة هي ذات اهمية بالغة، فلا يجوز ان تترك دفينة. وفي هذا المجال، نجد رئيس البلدية تشيروف ينتهج الخط الرسمي. لكن سكان سيبيريا ينظرون الى البرد كأنه شيء لا اهمية له، او كأنه صديق لهم.

السباحة في الجليد – غادرت موسكو في يوم معتدل الحرارة في اواسط يناير (كانون الثاني). وبعد توقف في اركوتسك، حطت بنا طائرة "تي يو - ١٥٤" في ياكوتسك نحو الساعة الثانية بعد منتصف الليل. كانت الحرارة ٣٤ درجة تحت الصفر. وكان فيكتور باكوفليف، مصور احدى الوكالات الصحافية، في انتظاري هناك ومعه سيارة تاكسي من طراز فولغا، خضراء اللون، تصر وتئن فوق الطريق المحفرة، فيما تتحرك مفاصلها بمشقة من جراء الشحم البارد الذي يغطيها. وكانت نافذتها الامامية مؤلفة من لوح مزدوج لتأمين الرؤية، اما النوافذ الاخرى فكانت مغطاة بالجليد. وكان على السائق، اذا اراد ان يعرف ما يجري وراءه، ان يفتح الباب عن يساره ويلوي عنقه الى الوراء. وكنت منذ زمن قد الفت النوافذ والابواب المزدوجة التي تشكل عازلا للصقيع في موسكو، اما في ياكوتسك فهي ثلاثية او رباعية في بعض الاحيان.

وفي اليوم التالي قال لي تشيروف في دار البلدية: "ان مشكلتنا الاولى هي الجليد الدائم. والحرارة تتقلب على نحو هائل، من ٦٠ درجة تحت الصفر شتاء الى ٤٠ درجة فوق الصفر صيفا. فاذا كان الربيع باردا كانت

المواسم سيئة، واذا حل الخريف باكرا كان علينا ان نندفع بسرعة لانقاذ ما نستطيع انقاذه. وفي وسعك ان تتدرك مدى اهمية الصيف بالنسة الينا، لانه قصير وجاف جدا. وهو يشمل اشهر يونيو (حزيران) ويوليو (تموز) واغسطس (آب) فقط".

ان الارض الجليدية او الطبقة الجليدية الدائمة، التي تغطي سيبيريا باستمرار تخلق تعقيدات مشوشة وضارة. فالبناء والزرع على الارض الدائمة الجليد امران يتطلبان الدقة والحذر، وقد يكونان خطرين، لان هذه "الطبقة الفعالة" كما تدعى - أو القشرة التي تبلغ سماكتها مترا او مترين، وتذوب في الصيف لتعود فتجمد في الشتاء - تزعزع البناء العادي. وسيبيريا مليئة بمنازل خشبية منحرفة بزوايا كبيرة ومطمورة حتى نصفها بالتراب، اي انها "سابحة" في الطبقة الفعالة. وجميع المباني الجديدة في ياكوتسك تقف على ركائز مغروسة حتى المستويات الدنيا الثابتة، وكذلك على فاصل بين المبنى والارض يبلغ قرابة المتر ووظيفته الحؤول دون تذويب الطبقة الفعالة في الشتاء من جراء دفء البناء.

ثم ان تأمين المياه الجارية يكاد يكون عملا بطوليا. فمعظم الانابيب في ياكوتيا ممدودة فوق الارض لسبب بسيط هو ان التجمد والتمدد وذوبان الطبقة الفعالة امور تؤدي في النهاية الى تحطيم الانابيب الممدودة فيها. والانابيب الممدودة فوق الارض ايسر منالا للترميم، لكنها اكثر تعرضا للهواء البارد المحيط بها. وينتج عن ذلك ان مياه الشرب المجرورة بانابيب من قاع نهر لينا (حيث تراوح سماكة الجليد السطحي بين اربعة امتار وستة امتار) ينبغي تسخينها في مسارها بين فترة واخرى منعا لتجمدها. وكما هي العادة في كثير من المدن السوفييتية، نجد ان المياه الساخنة والتدفئة المركزية البلدية يؤمنهما معا معمل بخاري يعمل على الغاز.

لقد كانت اخطار البيئة الناجمة عن التعرض للجليد الدائم امرا حقيقيا حمل السلطات السوفييتية على انشاء "مؤسسة منطقة الجليد الدائم" قبيل الحرب العالمية الثانية. وهذه المؤسسة فرع من اكاديمية العلوم السيبيرية، ومقرها باكوتسك. وتحت البناء، وبمعزل وراء سلسلة من الابواب، يقوم الشيء الذي يجذب السياح، وهو عمود ينغرس عميقا فيقلب الجليد الدائم، مما يساعد على اجراء الملاحظة والاختبار على نحو مباشر. وهناك مليون بلورة جليدية عالقة في بريق الرواسب الرملية تحت مصابيح التنجستين. والهواء هناك هادىء وساكن تماما... ودافىء! دافىء نسبيا بالطبع. والمنطقة الدائمة الجليد هذه تحافظ على درجة حرارة ثابتة بصرف النظر عن حال الطقس المحلي. وعلى درجة ٣١،٥ تحت الصفر، كان العمود معتدل الحرارة.

والمنطقة الدائمة الجليد منتشرة انتشارا واسعا في نصف الكرة الشمالي. ومساحتها تقل عن ٤٠ في المئة من مساحة اليابسة. وهي تغطي

٨٠ في المئة من الاسكا و٥٠ في المئة من الاتحاد السوفييتي وكندا. والمرجح انها تغطي قارة القطب الشمالي كلها.

الضباب الدائم ـ في الصباح التالي ذهبت بالطائرة الى اوست - نيرا حيث يقوم منجم مهم للذهب على مسافة ٨٠٠ كيلومتر شمال شرق ياكوتسك. ويوجد الموقعان اوست - نيرا واويمياكون في واد طويل معروف باسم "وادي اويمياكون". ويولد الموقعان "غطاء" من هواء ساخن، بينما ينزلق الهواء البارد الاكثر وزنا على جانبي الجبلين ثم يتوقف في قعر الحوض. ويسمي علماء الاحوال الجوية هذا الوضع "توازن الاشعاع السلبي" اذ تكون الطاقة المنبعثة من الشمس اقل من الطاقة المنطلقة من الارض. والارجح ان البلدة مغطاة بالضباب لان حرارتها هي دون العشرين درجة تحت الصفر.

لكن الطبيعة تعوض عمّا تَحْرِمه. ففي يونيو (حزيران) تتمتع اوست - نيرا واويمياكون بنهار يدوم ٢٤ ساعة. ثم ان سياسة الدولة الهادفة الى جعل الحياة في سيبيريا جذابة ومريحة بقدر الامكان تمثلت في القمر الاصطناعي "اوربيتا" الذي يلتقط ثلاث قنوات ملونة من التلفزيون بواسطة نظام الراديو والتلفون، وبالطبع بواسطة الانتاج الجديد الذي تطلقه الشاحنات الجوية "ايروفلوت".

واشار رئيس بلدية اوست - نيرا، ايغور اليكسييف ديمتربيف، الى ان سكان البلدة يقاربون العشرة آلاف نسمة. وهنا خطرت لي فكرة ذات علاقة بالموت "ترى كيف يدفنون موتاهم؟" وبرباطة جأش رد رئيس البلدية ديمتربيف: "باشعال النار ليلا وبالحفر نهارا". ثم تذكرت ان تشيروف رئيس بلدية ياكوتسك، كان قد ذكر ملاحظة عابرة هي ان الاجسام المدفونة في ياكوتيا تبقى سالمة، مثلما تبقى جثث حيوان الماموث تماما.

وفي مستوصف اوست - نيرا سخر فلادلين ماريني، رئيس اطباء المنطقة، من الفكرة القائلة بان البرد يسبب مشاكل صحية. وبجدية، وبدون انقطاع عن التدخين، وبتحفظ بدأ الطبيب الحديث بقول واضح هو انه "لا مشاكل البتة". لكنه اعترف شيئا فشيئا بان انواع الرشح والتهاب اللوزتين والانفلونزا، والتهاب مجرى التنفس، اعراض عامة سائدة. ولما سألته عن التكيف النفسي والنزوع القوي الى الكحول لدى المواطنين السوفييت، رد على بقوله: "ليس ذلك من اختصاصي".

وفي تلك الليلة قدمت لنا في المقهى المحلي اكلة سيبيرية خاصة شهية تدعى "ستروغانينا"، وهي سمك نيء جامد جيء به من نهر انديجيركا مباشرة. والسمك يتجمد ويقسو فور تعرضه للهواء البارد. والطاهي لا يطهوه ابدا، بل يقطع منه بسكينه الحادة شريحات رقيقة وطويلة، ثم يلفها مستديرة مثل قطع الزبدة. بعد ذلك تقدم الشريحات مغطاة بطبقة جليدية بيضاء. وهي تخيب الامل لان طعمها غير لذيذ، لكن قضمها يثير المتعة والتسلية. والاولاد في اوست - نيرا يأكلون شريحات كاملة من الستروغانينا وكأنهم يتناولون قطع الحلوى.

الحليب بالقطعة ـ في صباح اليوم التالي، وصلنا انا وفيكتور الى

اويمياكون والحرارة فيها ٥١،٥ درجة تحت الصفر. واول ما رأيناه كان ذئبا رمادي اللون، ابيض المخالب، يتمشى قلقا بقوائمه العالية عند طرف مقود متين يمسك به موظف في المطار. وعمر الذئب ثمانية اشهر فقط كما قال الموظف، واسمه "دينكا" وقد بقينا على مسافة منه.

ثم اجتزنا الحرج الجليدي الفسيح لنرى محطة الارصاد الجوية. وكان معدل الحرارة المسجلة فيها ٧١ درجة تحت الصفر. وكانت المحطة كوخا صغيرا، انيقا ومريحا مصنوعا من الخشب. وادواتها موضوعة في الخارج في صناديق مغلقة ذات مصاريع، تشبه الاجهزة الكبيرة الخاصة باطعام الطيور.

وانتقلنا بعد ذلك لزيارة مخزن البقالةحيثكان الحليب لا يزال يباع قطعا جامدة صلبة، تزن احداها سبعة كيلوغرامات، او ٦،٨ ليترات، باربعة دولارات للقطعة. والبلدة نفسها مجموعة من الابنية الخشبية ذات الدور الواحد، وهي موزعة في ما يشبه المستطيل. ثم ان البناء الاكبر بينها هو المدرسة حيث يجري تدريس ابناء الصفوف التمهيدية باللغة المحلية، لان اويمياكون ياكوتية في غالبيتها الساحقة. اما اللغة الروسية فتدرس كلغة ثانية، ابتداء من الصف العاشر.

وفي غضون ٢٤ ساعة رجعت الى اركوتسك، وكانت الحرارة فيها ٣٠ درجة تحت الصفر. وهي مقبولة كأنك فى الربيع. وللمرة الاولى، او لعلها الاخيرة في حياتي استطيع ان انظر بعطف الى الروس الذين كانوا يسرعون مرتجفينفي جو يعدّونه باردا. ثم دفعت ثمن جرأتي، وكان ألما حادا في حلقي دام اسبوعا كاملا.

■ رودولف شلمينسكي



سر الحكومات

سر الحكومات العظيمة هي المعرفة الدقيقة لمقدار المستقبل ومقدار الحاضر الواجب مزجهما.

فيكتور هوغو

اصل "الستار الحديدي"

تنسب عبارة "الستار الحديدي" عادة الى السير ونستون تشرشل، لكنها تعود في الواقع الى ملكة بلجيكا الراحلة اليزابيت.

فحين قامت المانيا بغزو بلجيكا عام ١٩١٤، منتهكة بذلك كل تعهداتها وكل حقوق السيادة، أفضت الملكة اليزابيت بافكارها الى الكاتب بيار لوتي الذي نشر مقابلة معها. وفي ذلك الحوار اعلنت صاحبة الجلالة البافارية المولد "ان ستارا حديديا انتصب بيني وبين عائلتي".

(مجلة "مرآة التايخ"، فرنسا)



تأملات معاصرة

طقوس المدنية الحديثة

يبدو لي اننا نصر عن وعي على الخلط بين الرياضة والتمرين. فالتمرين هو ما كان يمارسه كل شخص قبل اختراع السيارة. وكان يشمل المشي وركوب الخيل للتنقل من مكان الى آخر. لذلك كان جزءا اساسيا من حياة الفرد، كالاكل وتقليم الاظافر، ولم تكن ممارسته موضع جدل بين الناس.
ثم ظهرت الالعاب الرياضية المنظمة، وهي تحمل شروطا واخلاقا ونظريات وهواجس جديدة، وبعبارة اخرى، تحمل طقوسا جديدة. ففي كل نهاية اسبوع تجري الاحتفالات في معابد مكشوفة، ويحضر ٣٠ الف او ٤٠ الف "مؤمن" ليتأملوا "كهنتهم" وهم يقضون ساعتين في ركل كرة. وقد يتجمع هؤلاء المؤمنون على جوانب الطرقات ليتابعوا موكب دراجات "الشمامسة".
اما الطقس الاكثر هيبة، ذلك الموصوف بـ"الفن النبيل"، فيتم ليلا حيث يترأس "قسيسان" قداسا يوجه فيه احدهما اللكمات الى وجه الآخر وبطنه وكبده حتى ينهار اضعفهما.

وهذا يعني ان الرياضيين المحترفين ليسوا اناسا ينمون اجسامهم على نحو متناسق يجعلهم اكثر وسامة او صحة. لكنهم ممثلون او مهرجو سيرك يفرطون الى حد البشاعة في تطوير قدرة جسدية معينة لديهم. ولشد ما تحلو لي مقارنتهم بتلك الخضر الضخمة التي يستمتع البستانيون بتربيتها لكسب الجوائز في معارض نباتات الزينة، على رغم انها عديمة الطعم والفائدة تماما.

(مجلة "كانديد"، فرنسا)

مجتمع البطاقات

يطالب عدد من مالكي الاراضي الزراعية في جنوب فرنسا ممن حرموا الحصول على دخول اضافية بسبب شراهة سكان المدن الذين يقطفون نبات الفطر خلال نزهاتهم ايام الاحد، بمنع قطع هذا النبات من دون اجازة يفترض ان تصدر عما سيغدو حتما "مديرية الفطريات العامة". وستضاف هذه الاجازة الى قائمة طويلة من الاجازات المختلفة المفروضة على المواطن، ابتداء من اجازة البناء وانتهاء باجازة الدفن.
وهكذا نتجه يوما بعد يوم، من دون ان نعي، من المجتمع القديم الذي كان كل شيء فيه مباحا ما لم يمنعه القانون الى المجتمع المعاصر الذي يمنع فيه كل شيء منعا باتا ما لم يسمح به القانون صراحة. ان تعريف مونتسكيو للحرية باعتبارها "الحق في عدم اطاعة اي شيء عدا القانون" يمثل صيغة ممتازة لكننا سنواجه عما قريب بعدد هائل من القوانين الى حد ان الحرية نفسها ستحتاج عند ذاك الى اجازة.

(صحيفة "الفيغارو"، باريس)

انواع المعرفة

هناك ثلاثة انواع من المعرفة: المعرفة بالمعنى الصارم، اي النظري، ومعرفة ماذا تفعل، ومعرفة كيف تعيش. لكني لاحظت غالبا ان من يعرف ماذا يفعل وكيف يعيش لا يحتاج الى النوع الاول من المعرفة.

ساشا غيتري

سحر الأيقونة

هذه الرسوم القديمة والرائعة والمقدسة التي يعتبرها الكثيرون من الناس اثمن ما يملكون ومصدرا للقوة والحماية، تثير اهتماما متزايدا في انحاء العالم٠

"القطعة ١٩٠"، نادي الدلال٠

وعلى الاثر دبت الحماسة في قاعة مبيعات محلات "كريستي" في لندن، الشهيرة بالبيع بالمزاد العلني٠ وكانت هذه القطعة قد لفتت التجار والهواة من انحاء اوروبا، وكانت المبالغ المعروضة لشرائها ترتفع بسرعة٠ واخيرا سأل الدلال: "لقد رست القطعة على بارتريدتج بمبلغ ١٧،٣٢٥ جنيها استرلينيا"٠

هذه التحفة التي اشتراها تاجر لندني في الخامس من مارس (آذار) ١٩٧٥ لمتحف المتروبوليتان للفن في نيويورك، هي صورة روسية مقدسة تعود الى القرن السابع عشر٠ وهي مطلية بالجواهر ومعروفة باسم "المخلص غير المصنوع بأيدي البشر"٠ وقد جاء هذا الثمن القياسي الذي دفع للايقونة مصداقا لما يسميه خبير عند كريستي: "الاهتمام الضخم بالصلوات المهيبة المعبر عنها بالصورة واللون على الخشب"٠

واليوم صارت تجارة كريستي بالايقونات تدر عليها مبلغ مليوني دولار سنويا؛ في حين كان الاهتمام العام بشراء الايقونات ضئيلا منذ عشر سنوات٠ وفي عام ١٩٧٧، اعلنت الفروع الاربعة لمحل كبير في المانيا الغربية يتعاطى تجارة الايقونات

ايقونة "عذراء فلاديمير" التي تعود الى القرن الثاني عشر٠ ويبلغ قياسها الاصلي ٧٨×٧٥ سنتيمترا٠ ◀



"المتوسطة النوعية"، التي يراوح ثمن الواحدة منها بين ٣٠٠ و٨٠٠٠ مارك الماني، انها حققت مبيعات بمئات الوف الماركات خلال الاسبوعين اللذين سبقا عيد الميلاد.

ان عددا كبيرا من المسيحيين يزدري هذه التجارة. فهم ينظرون الى الايقونات كأشياء تستوجب اعمق الوقار. وفي رحلة قمت بها حديثا الى روسيا، اخبرني صديق عن امرأة مسنة مريضة تعيش وحدها في كوخ خشبي شمال لينينغراد. وقال ان الهواة كانوا يعرضون عليها باستمرار مبالغ كبيرة ثمنا لايقونة عندها تمثل القديس نيقولاوس ويعود تاريخها الى القرن السادس عشر. لكنها رفضت هذه العروض كلها، على رغم انها كانت تعيش عيشة الكفاف، معتمدة على مساعدة رسمية ضئيلة. ولا تستطيع هذه المؤمنة الصادقة ان تفهم كيف ان احدا يظن انها يمكن ان تبيع هذه الايقونة، وهي مرقاة عبادتها.

وفي الوقت الذي ينظر المؤمنون الارثوذكس الى الايقونات كقطع ثمينة يتوارثونها ابا عن جد، نجد ان عدد غير المؤمنين الذين يتجرون بهذه القطع المقدسة في أزدياد. ولتلبية الطلب الغربي المتزايد بالحاح، تهرّب نحو عشرة آلاف قطعة سنويا من روسيا، مع ان هذه العملية جريمة يعاقب مرتكبها بالسجن او بوضعه في معسكر الاعتقال. ويوجه القسم الاكبر من هذه القطع نحو برلين الغربية حيث ينتظر التجار عادة قطار موسكو، وهم يحملون النقود للشراء الفوري. وقد تُنشر ايقونات كبيرة - ومن بينها روائع لا تقدر بثمن - قطعا صغيرة بقصد الاخفاء او التمويه. ثم يعيد الخبراء تركيبها وتباع الواحدة منها في المعارض الالمانية بعشرة آلاف دولار على الاقل.

كلمة يونانية – ان كلمة "ايقونة" يونانية الاصل، وهي تعني، بكل بساطة، "صورة". والمألوف انها صورة، على لوح خشب، للمسيح او لقديس او لملاك، او لشخصية اخرى مقدسة او مشهد من الكتاب المقدس. ويقول بعض الخبراء ان هذا الذي يباع في الاسواق ليس الايقونات على "حقيقتها"، لان السوق ليس بيئتها الطبيعية. وكما اخبرني احد دارسي الايقونات، "ثمة عامل يميز الايقونة عن الصور الاخرى، وهو عدم انفصال الايقونة عن الحياة الروحية التي لا تتألق الا في جو من الايمان".

وهناك اكثر من ٩٠ مليون ارثوذكسي شرقي لا يزالون يعيشون مع ايقوناتهم في جو من الاحترام والالفة. ففي كنائسهم او في زوايا منازلهم التي خصصوها للايقونات، تراهم يقبّلون ايقوناتهم يوميا ويضيئون لها الشموع ويركعون امامها ويصلون. وأعرف محاميا يونانيا موسرا يصر على ان اثمن ما يملكه هو ايقونة عادية من الناحية الفنية للقديس يوحنا المعمدان، تعود الى القرن التاسع عشر. وهو قال لي: "ان مصير عائلتنا لم يزل رهن هذه الايقونة منذ أجيال. وقد ورثتها عن والدي الذي ورثها عن والده، وانا سأورثها لولدي من بعدي. انها مصدر القوة في كل ازمة تواجه العائلة".

ان احترام الايقونات لا يزال قائما حتى في روسيا السوفييتية الملحدة رسميا. ففي اوائل الستينات كانت مؤسسة روسية تصور شريطا لقصة تولستوي الكلاسيكية "الحرب والسلام"، مستخدمة جنود الجيش الاحمر السوفييتي لبعض المشاهد. ولدى تصوير مشهد أضفاء البركة الدينية على الجنود عشية المعركة الحرجة ضد قوات نابوليون الفرنسية، ظهر الممثل الذي يؤدي دور الكاهن حاملا ايقونة سيدة سمولنسك. وبلغ تأثر الجنود بالايقونة، المعتبرة حامية روسيا من قرون، حدا جعل الكثيرين منهم، كما قيل، يخرون ساجدين امامها على الفور.

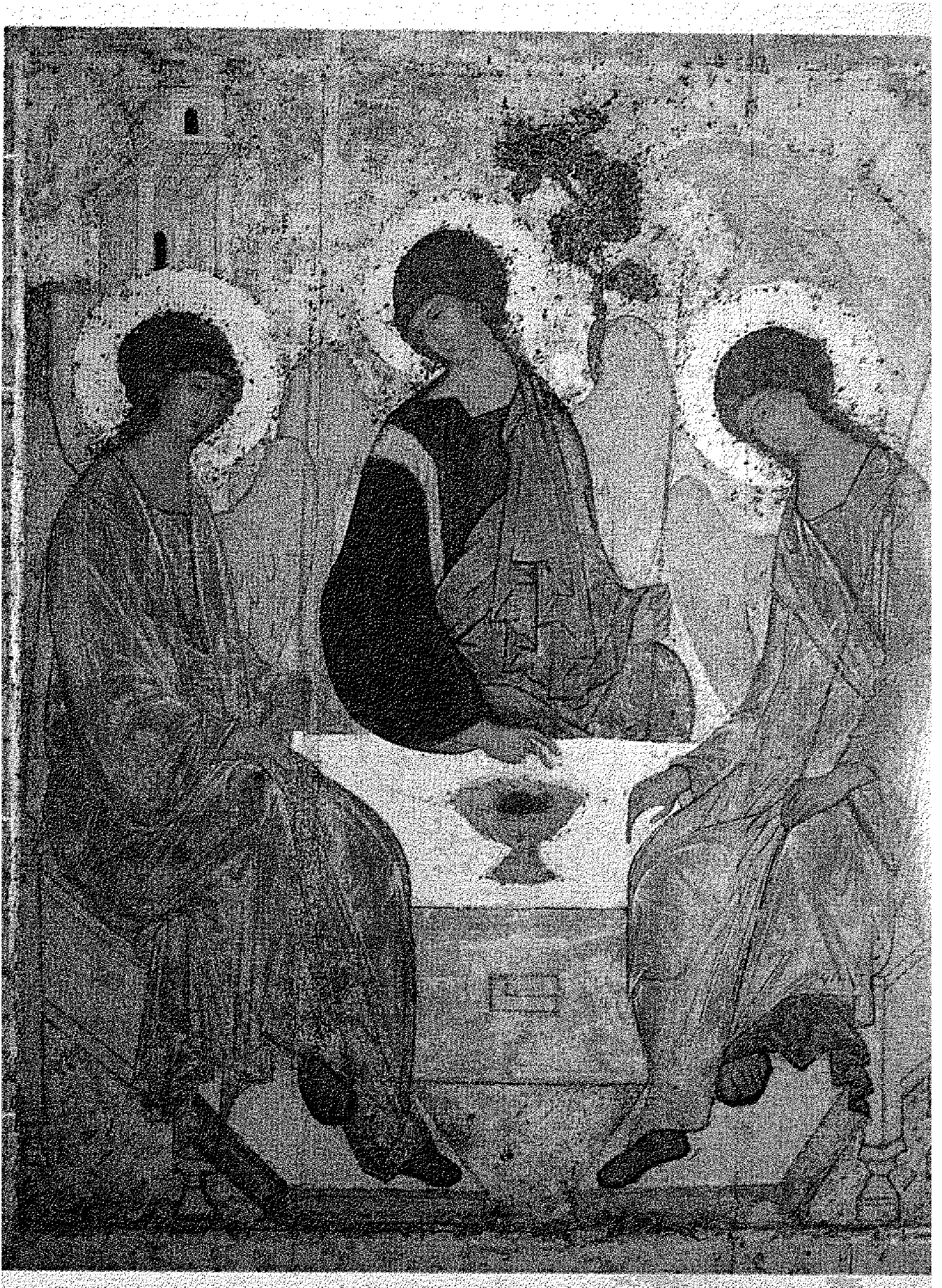
ليس هناك مرجع اكيد لتاريخ صنع الايقونات الاولى. وتقول رواية شعبية روسية ان الصورة الاولى جاءت من قطعة قماش مبللة شدها المسيح الى وجهه فانطبعت عليها ملامحه. ومهما يكن اصل الايقونات، فان ظهورها في الكنائس البيزنطية بدأ مع القرن السادس. ثم وضعت الكنيسة البيزنطية قانونا في القرن الثامن تحصر فيه مواضيع الايقونات بيسوع المسيح ومريم العذراء والملائكة والقديسين والرجال الابرار فقط، بغية التأكيد على ان الصور تعكس الشؤون الروحية والسماوية بانفصال عن العالم المادي.

وفي القرى النائية والاديرة المنفردة، تمكن الحرفيون مع الوقت من اتقان المهارات المعقدة لصنع الايقونات. اولا، يقطع النجار لوحا من خشب منتقى، يكون عادة من الصنوبر او الزيزفون او السرو. ويطوق اللوح باطار منعا للالتواء، ويتركه ليجف خلال مدة قد تبلغ ست سنوات قبل ان يصبح جاهزا لعمل الاختصاصي الثاني. وهذا يطليه نحو اثنتي عشرة مرة بمادة الجبس الخاصة بالرسم والمصنوعة من مادتي المرمر والغراء، على ان يصقله في المرة الاخيرة بحجر النسفة او الخفّاف. وبعد ذلك يضع رسام بعض الخطوط على اللوح، ثم يتولى شخص آخر تغطية وجه اللوح بصفائح رقيقة من الذهب، ويصقل بعد ذلك باداة مصنوعة من سن حيوان او قطعة عقيق لتأتي الخلفية ذات لمعان ذهبي فريد.

وأخيرا يأتي دور الرسام، وهو يستخدم خمسة الوان اساسية فقط، تهيأ من خضابات معدنية طبيعية وتمزج بصفار البيض لتقويتها، او قد تخفف احيانا بعصارة التين او بالعسل او الجعة. والرسامون اليوم لا يزالون قاصرين، على رغم محاولاتهم، عن الحصول على هذه المزائج القديمة.

اصول دقيقة – وفي انجازه للصورة، يتقيد رسام الايقونات بأصول كنسية دقيقة. فاذا شاء ان يمثل الدخول الى القدس، كان عليه ان يرسم المسيح راكبا حمارا وان يمثل المدينة المقدسة بالاشجار والمباني وان يصور الشعب يفرش سعف النخيل تحت اقدام الحمار. الا ان له الحرية في ترتيب هذه العناصر وتلوينها وفق تصوره الخاص، مما يفسر انعدام التشابه التام بين اي ايقونتين من ملايين الايقونات الموجودة.

وليس لرسام الايقونات ان يفاخر بالاصالة او الابداع. حتى ان رسامي



الايقونات الذين وقعوا اسماءهم - وهم قلة ضئيلة - كانوا يستعملون الكلمات الآتية: "تم رسمها عبر فلان"، للدلالة على انهم ليسوا غير ادوات في يد قوة عليا اوحت اليهم بالافكار والمهارة.

وقد حاول رسامو الايقونات ان يرسموا واقعا روحيا، لا واقعا جسديا ملموسا. ومما فعلوه في محاولتهم انهم رسموا الاجسام والاشياء في اوضاع غريبة معلقة في الهواء، من غير ان يكون لها حجم او وزن.

وبلغت الايقونات قمة تطورها في روسيا حيث توصل الناس الى الاتكال على صور مجموعة كاملة من القديسين لمساعدتهم في مواجهة مصاعبهم. فالقديس بونيفانتي، مثلا، كان يعنى بالسكارى، في حين كانت القديسة الشهيدة بربارة شفيعة المصابين بآلام الاسنان، والقديس باسيليوس شافي المصابين بالحمى.

ويعد اندريه روبليف المع رسامي الايقونات الروسية. وهو راهب من موسكو عاش بين ١٣٧٠ و١٤٣٠. والصفاء والرقة اللذان وجدهما الباحثون في عمل روبليف لافتان حقا اذا اخذنا في الاعتبار انه عاش في احدى اعنف فترات التاريخ الروسي حين كانت جحافل التتار المغيرة تعيث باوروبا سلبا ونهبا. واعظم عمل لروبليف - وهو من اهم الايقونات في العالم - ايقونة "الثالوث" التي رسمها لكاتدرائية دير في زاغورسك الواقعة على مسافة ٥٠ كيلومترا شمال موسكو. وهذه الايقونة المعلقة حاليا في صالة عرض "تريتياكوف" في موسكو، التي تضم أكبر مجموعة ايقونات في العالم، لا تزال تحرك الناس وتثيرهم كما كانت في عهد روبليف. ويقف الروس امامها مبللي الاعين، وينضم اليهم في هذا الخشوع والتبجيل سيل لا ينقطع من السياح الاجانب.

عزّ وانحدار - بقي فن الايقونة محافظا على مستواه الرفيع خلال القرن السادس عشر، ثم انحط على نحو ملحوظ. وفي الوقت نفسه، فقد عدد من الايقونات الرائعة. كما ان السواد بفعل الشموع والبخور تسرب عبر العصور الى الطلاء الزيتي الذي يقي الايقونات فأدى الى حجب الصور وازالة بريقها. وقال جيمس راونتري، احد كبار منقذي الايقونات والمحافظين عليها في لندن: "لقد ظُن انه لم تبق للايقونات قيمة كبيرة بعد اسودادها". ولما كان اتلافها خطيئة، فقد صار البديل ان تدهن من جديد. لكن ذلك لم يحافظ على مستوى المهارة والابداع والاسلوب الذي كان يتحلى به الاصل.

وهناك مواد كيميائية جديدة مذيبة عرفت في مطلع القرن العشرين، ادت الى كشف روائع كانت مفقودة. وكان عدد من العاملين في انقاذ الايقونات يتساءل عما تخبئه مجموعات من اللوحات القديمة الملطخة بالسواد. وعمد هؤلاء الى تنظيف اجزاء صغيرة منها على سبيل التجربة، فكانت النتائج مذهلة معظم الاحيان. وتبين ان ثلاث لوحات وجدت تحت كومة من حطب النار هي ايقونات رائعة منسوبة الى اندريه روبليف عينه.

ايقونة "الثالوث" لأندريه روبليف، ويبلغ قياسها ١٤٢×١١٤ سنتيمترا.

الأيقونة قبل الاسلام وبعده

عرف العرب الايقونات في جاهليتهم. فقد روى الأزرقي (آخر القرن الحادي عشر ومطلع الثاني عشر) في كتابه "أخبار مكة" أن سادة قريش، لما هموا باعادة بناء الكعبة، استعانوا بنجار قبطي اسمه باخوم، وانهم زوّقوا سقوفها وجدرانها وجعلوا في دعائمها صور الأنبياء والملائكة. وكان من بين هذه الصور صورة ابرهيم عليه السلام.

كذلك حكى الازرقي ان رسول الله (صلعم) لما دخل الكعبة بعد فتح مكة، قال لشيبه بن عثمان، حارس الكعبة الذي أسلم: "يا شيبه، امحُ كلّ صورة فيه إلاّ ما تحت يدي". ثم رفع يده عن صورة عيسى ابن مريم وأمه وبقيت هذه الصورة في مكة حتى عام ٦٨٣ للميلاد.

ويبقى العالم العربي حاوياً أقدم الأيقونات الخشبية في العالم، وذلك في دير القديسة كاترينا في جبل سيناء. كذلك يظل أوّل منظّر للأيقونة في النصرانية رجل عاش في ظل الامويين هو يوحنا الدمشقي. ولا شك ان استمرار الايقونة في سيناء منذ القرنين السادس والسابع مرجعه الى ان سيناء، لقيامها في الامبراطورية الاسلامية، لم يستطع أباطرة الروم اتلاف صورها عندما شنوا في مملكتهم حربا على الأيقونات امتدت من ٧٢٦ حتى ٨٤٣. ومن أهم أيقونات سيناء من ذلك الزمان أيقونة للضابط الكل واخرى لوالدة الأله جالسة على عرش ويحيط بها القديسان ثيودوروس وجاورجيوس.

فلسطين ام سيناء

فلسطين خصبة في تلك المرحلة. وفلسطين، روحياً واداريا، أم سيناء. ويبقى دير القديسة كاترينا مبدعاً بأصالة بيزنطية حتى القرن الثاني عشر. وأهم ما انتج آنذاك أيقونة "سلم الفضائل".

في القرن الثاني عشر عرفت سورية ازدهارا عظيما في التصوير الجداري (الفريسكو). وتزداد اكتشافاتنا له في كنائس الارثوذكس وديورتهم، مثل النبك ومار اليان الحمصي ومار

وحين نظفت ايقونة "عذراء فلاديمير"، التي تعود الى القرن السادس عشر، من الاوساخ العالقة فيها، تبين ان أجزاء من الوجهين ومن احدى ذراعي الطفل تعود الى الايقونة الاصلية المصنوعة في القرن الثاني عشر. وفي عام ١٩٧٧، كشف النقاب عن احدى اقدم الايقونات المعروفة، وهي صورة للمسيح تعود الى القرن الحادي عشر، تحت صورة أخرى من القرن التاسع عشر.

وفي العام ١٩١٣، كان عدد الايقونات الرائعة التي اكتشفت واعيدت الى حالها السابقة قد اصبح كافيا لاقامة معرض كبير لها في موسكو. ولم تكن حمّى الايقونات اصابت هواتها فحسب، بل امتدت ايضا الى عدد كبير من فناني ذلك العهد المغامر الذين بهرهم الجمال والنوعية "العصرية" المدهشة في هذه الاعمال القديمة. ومن كبار الرسامين الذين اعترفوا بما هم مدينون به للايقونات في تطورهم الابداعي - وهم كثيرون - الرسام الفرنسي هنري ماتيس.

ان الارباح الطائلة التي تجنى من بيع الايقونات تغري بالتزوير. وقد يبلغ هذا التزوير حدا من الاتقان يصبح معه ممكنا ان تنضم الايقونات المزورة الى المجموعات الخاصة.

متر في جوار بلدة كوسبا (الكورة، لبنان الشمالي). في هذا المناخ أُلّفت ايقونة سيدة كفتون (الكورة، لبنان) في القرن الثاني عشر. وهذه، في العالم العربي، أقدم ما نعرف بعد الانتاج السينائي الأول. وهي الآن مفقودة.

ثم يعبرنا فراغ شبه كامل على صعيد الانتاج الاقليمي في عصر المماليك.

وتخرج الايقونة الى النور في القرن السابع عشر مع الحلبيين. كبيرهم نعمة الله يوسف المصور، تنتشر آثاره في سورية، ومنها "الديتونة" في دير البلمند (الكورة، لبنان).

وهناك ايقونات اخرى مهمة في أديرة وكنائس ارثوذكسية في معلولا وصيدنايا (سورية) وبيروت والبترون وأنفه وطرابلس (لبنان).

الى جانب الاماكن التي ذكرنا والمجموعات الخاصة (السادة هنري فرعون، جورج ابو عضل، روبير عرقتنجي، المطران ايليا كرم)، تحوي كاتدرائية حماه السابقة وكنيسة القديس نيقولاوس في اللاذقية أيقونات من الطراز الأول.

واليوم يعود فن الايقونة الى اصالته من حيث التقنية والتأليف مع نقولا مجدلاني، بيروت. واضافة الى محترفه، هناك محترفان آخران: دير مار يعقوب في بلدة دده (الكورة، لبنان) حيث يسود النمط اليوناني ودير كرمل الوحدة في حريصا (لبنان) حيث يسود النمط الروسي. غير ان الرسام الأكثر ابداعا وحرية والآتي من مشرقية مسيحية اصيلة ومن مناخ دمشق هو الياس زيات الذي اخذت اعماله تنتشر في الشام.

على الصعيد الشعبي برزت ظاهرتان جديدتان. اولاهما ان الايقونة التي كانت رمزا وتعبيرا عن الملكوت تصبح تحفة صالونات. وثانيهما ان التي لا يُنظر اليها الا في بهائها الالهي وسط العبادة ينقلونها الى المتاحف متعة للعين وحديثا جماليا.

اما في عمقها فللخاشعين. وهم، عبرها، الى الله على النهج الذي يعرفه التراث في الدنيا الارثوذكسية، قائمة على جدران البيعة.

المتروبوليت جورج خضر

مطران جبل لبنان للروم الارثوذكس

ويلجأ المزورون البارعون الى "تعتيق" اللوحات اصطناعيا، محدثين فيها شقوقا دقيقة لكي تشبه دهانا جف عبر القرون، ثم يلطخون الدهون لتبدو وكأنها اتسخت على مر الزمن او امحت بفعل تقبيل الوف المتبركين لها. وفي روسيا اخذ ولع جديد للايقونات كرموز ثمينة للتراث القومي، يعمل على تعزيز الشعور الديني. وفي الخامس من يوليو (تموز) من كل سنة، توضع صورة القديس سرجيوس في باحة الدير المسمى على اسمه في زاغورسك. وقد وقفت في تلك الباحة منذ زمن غير بعيد، حيث بدت الايقونة الضخمة المزينة بالشرائط والازهار البرية كأنها تجذب اليها اشعة الشمس من وراء الغيوم. والى جانب الجدات الروسيات اللواتي وقفن في مناديلهن التقليدية، اندفع الشبان والشابات الى تقبيل الايقونة. كان ذلك مؤثراً ومهيباً في آن وبمراقبة هذا المشهد، عرفت لماذا يكون سحر الايقونات حيا الى هذا الحد النابض، ليس في قاعات البيع فحسب. ان كل شخص له عينان وقلب، يستطيع ان يشعر فعلا بارتباط الايقونات باعلى الملكات الروحية وابهجها لدى الانسان.

■ **جورج فايفر**

محرقة لوس الفاكيس

صهريج غاز ضخم انفجر على طريق عامة في اسبانيا قرب مخيم صيفي عام ١٩٧٨، وتسبب في اسوأ كارثة

الحادي عشر من يوليو (تموز) عام ١٩٧٨، والشمس تسطع على مخيم لوس الفاكيس السياحي في جوار مرفأ سان كارلوس دي لا رابيكا لصيد الاسماك، على كوستا دورادا او شاطىء اسبانيا الذهبي، حيث كان مئات السياح، ومعظمهم من هولندا وبلجيكا والمانيا الغربية وفرنسا، يتمتعون بشمس الشاطىء. وكان بعضهم متمددا على الرمال والبعض مندفعا نحو المياه الزرقاء في البحر المتوسط. وكان معظمهم قد أقام بيوتا من قاطرات او نصب خياما بين اشجار الصنوبر والنخيل في المخيم. اما نغمة النشاز الوحيدة في هذه الانشودة الدافئة للسياح - والكثيرون منهم كانوا يقصدون لوس الفاكيس (التلال الرملية) سنة بعد سنة - فهو هدير الشاحنات الثقيلة التي تمر على الطريق الواسعة ذات الرقم ٣٤٠، اذ لم يكن يفصل المخيم عن الطريق سوى جدار من طوب وصفين من الاشجار.

ولم تكن الشمس شيئا يرغبه الجميع. ففي مصفاة في تاراغونه على مسافة ٨٠ كيلومترا شمال سان كارلوس، كانت ناقلة بيضاء اللون، تابعة لشركة فرنسيسكو باكو امبرنون، تُعبأ بغاز بروبيلين السائل لنقله لحساب مؤسسة سيشرناس ريو نيداس الكبيرة للنقل. والبروبيلين مادة بتروكيميائية سريعة التبخر



وسريعة الالتهاب، وهي تستخدم في صناعة المطاط الاصطناعي والنايلون والفينيل واللدائن. وكان باكو، وهو رجل وسيم، مديد القامة، في بداية الخمسينات من عمره، قد راح يرمق الفضاء بطرف عينه، وهو يعلم ان عليه ان يقطع مسافة ٥٠٠ كيلومتر في الحر" قبل ان يصل الى برتولانو. وعند الساعة الثانية عشرة والنصف جلس وراء مقود سيارته، ثم انطلق بحمولته الضخمة في الطريق الواسعة ذات الرقم ٣٤٠.

وهذه الطريق هي احدى اكثر الطرق الاسبانية ازدحاما، وهي تربط بين برشلونه وتاراغونه وفالنسيا، المناطق الصناعية الكثيفة، كما انها ممر لقسم كبير من الحركة السياحية في اتجاه الجنوب. وكان السير بطيئا. وقد استطاع باكو ان يجتاز بحمله بضعة منعطفات جنوب سان كارلوس. ثم اصطدم بقطعة ارض كبيرة ممتدة على الشاطىء الى جانب المخيم.

بعد ذلك حلت الكارثة. فقد حدث انفجار ادى الى تناثر الناقلة، فيما اندلع غاز البروبيلين على هيئة كرة نارية بلغ ارتفاعها ٦٠ مترا ووصلت

حرارتها الى ١٥٠٠ درجة مئوية على الفور. وحطمت محلا للآلات الموسيقية والاسطوانات الى جانب الطريق، ثم اتجهت صوب الشاطىء. وأدت قوة الانفجار الى قذف نصف خزان الناقلة الفولاذي الثقيل، كعلبة صغيرة من تنك، مسافةتزيد على ٣٠٠ متر نحو الداخل، بينما تطايرت الاجزاء الاخرى في جميع الجهات. وكان باكو امبرنون قد سحق منذ البداية حين انقلبت قاطرته على ظهرها ثم احترق باللهيب الذي اعقب ذلك.

نار جهنم - الساعة الثانية والنصف بعد الظهر. كانت ليفين موريه،وهي مربية رياضية بلجيكية عمرها ٤٣ سنة وأم لستة اولاد، تتناول القهوة مع اصدقاء لها وراء مسكنها. ولما سمعت الضجة العالية على الطريق، نظرت الى اعلى ورأت كرة النار. وفي وقت لاحق قالت وكأنها تتذكر: "الشيء التالي الذي رأيته كان رجلا قادما نحوي وهو يصرخ. وكان الشعر قد سقط عن رأسه وحاجبيه. وكانت عيناه شديدتي الاحمرار وجلده يتساقط نتفا. وتوسل الي لكي انزع عنه لباس السباحة، وهو من النايلون، وكان يشتعل. وشددت به، لكنه كان ملتصقا بجلده".

وحين تطلعت ليفين حولها، رأت نار جهنم. انها لم تصب بأذى، ولكنها كانت تواجه احدى اسوأ الكوارث التي سببها الانسان في تاريخ اوروبا. وبدلا من ان يكون هناك نحو ٨٠٠ شخص يستمتعون بالعطلة، فيتناولون الطعام او يستلقون للاستراحة، كانت هناك مشاعل بشرية تركض هائجة وسط الدخان الكثيف، بحثا عن البحر لتطفىء اللهب الذي كان يغطي اجسامها. وكانت هناك جثث محترقة ممددة في كل مكان، والكثير منها مرتفع الاذرع الى الامام، كأنما هي تتوسل. ثم ان المعدن الخفيف الذي صنعت منه القطارات كان قد تأجج باللهيب واحرق الذين في الداخل محولا إياهم الى رماد. كذلك اشتعلت الخيام على الفور ولم يبق منها غير اطارات معدنية معوجة، وتحولت عشرات السيارات الى هياكل، ثم اخذ زجاج النوافذ الذائب يسيل على واجهاتها. وفي وسط هذا الركام برزت صفيحة فولاذ شبه اسطوانية، وقد ظهر على معدنها الممزق اسم "خزان" الذي احرقت بقيته.

واندفعت ليفين الى العمل على الفور. واول ما فعلته هو ان لفّت الرجل الذي يشتعل امامها بمنشفة بحر كبيرة، ثم اندفعت به الى الطريق. ولوحت بيدها لسيارة مارة ودفعت الرجل اليها، ثم صرخت بالسائق المذهول لكي يتوجه الى اقرب عيادة. وعادت مسرعة بعد ذلك يصحبها ابنها فرنسيس البالغ ١٨ سنة لحمل ضحايا اخرى. وكان الكثيرون من المصابين قد التصقت اجسامهم باللدائن الذائبة في كراسيهم. فنظّمت ليفين وابنها، بمعاونة الاخرين الذين لم يصابوا، فرقا من اربعة اشخاص لحمل الضحايا، بما في ذلك الكراسي، الى الطريق، ونقل المصابين في سيارات خاصة. وكان معظم الضحايا يجهل ما اصابه، والكثيرون تورمت عيونهم وباتت مغمضة. وكانت احدى النساء ممن حملتهن ليفين بمعاونة ابنها فرنسيس تشد رُبط لباسها السباحي الملتصقة بكتفها، وتردد بهدوء:

الكارثة التي حدثت في لوس الفاكيس تثير السؤال الآتي: هل التدابير المعمول بها في اوروبا، حول نقل نحو ٧٠٠ مادة خطرة، وافية بالحاجة؟ ان المسؤولين على المستويين القومي والدولي يجيبون بالنفي القاطع.

ان الدولة تضع حدودا للسرعة وتفرض كشفا على سلامة شاحنات النقل وتقر اصولا اخرى للسلامة لنقل المواد الخطرة. لكن هذه القوانين تختلف اختلافا محيّرا بين دولة واخرى، كما انها لا تطبّق في كثير من الاحيان. وفي معظم الدول لا يطلب اي تدريب خاص من السائقين الذين ينقلون احمالا قد تتسبب في خطر الموت.

ثم ان التنظيمات الدولية الوحيدة المقبولة عموما نجدها مجموعة في اتفاق الدول الاوروبية الاعضاء في هيئة الامم المتحدة في شأن النقل الدولي البري للمواد الخطرة، وهو معروف باسم "الاتفاق حول المواد الخطرة". وقد وضع هذا الاتفاق في المقام الاول لتسهيل النقل الدولي للمواد الخطرة. وهو عبارة عن حد ادنى مشترك من السلامة، ويمكن تنفيذه حتى من قبل اكثر الدول الاوروبية تخلفا في المجال التقني.

ان القسم الاكبر من النقل البري بالشاحنات يجري عبر حدود الدول التسع الاعضاء في الاسرة الاوروبية الاقتصادية. ومع ذلك، فان هذه الاسرة لا قوانين لديها البتة حول نقل المواد الخطرة.

ونظرا الى استمرار شحن هذه المواد وازدياده، فقد بات من الضروري ان يوضع تشريع اقوى وان ينفذ بدقة على الصعيدين القومي والدولي. ويوصي الخبراء باجراء كشف دقيق على جميع حوادث خزانات النقل، ومراقبة الطرقات على نحو ادق وأشمل، وانشاء تدريب موحد للسائقين، ووضع قوانين سوْق موحدة. على ان الاهم من هذا كله ان الاحمال الخطرة يجب ان تنقل على طرقات بعيدة عن سكن الناس الى اقصى حد ممكن.

"الشمس شديدة الحرارة اليوم. انني ساخنة الى درجة لا تطاق".

وكان هورست هيمشتيت، وهو خياط في الرابعة والاربعين من العمر، من فوبرتال في المانيا الغربية، قد جلس منذ لحظات لتناول الغداء مع ابن شقيقه حين حدث الانفجار. وصاح هورست: "الارهابيون يحرقون المخيم"، ثم قفز الاثنان واتجها صوب البحر. وبعد لحظات ادرك هورست انه وابن اخيه لم يصابا باذى، لكن الآخرين في حاجة ماسة الى مساعدتهما. وقال متذكرا: "كمن في حلم، وجدت نفسي اجرّ خمسة اشخاص معا الى الطريق". وتوجه بعد ذلك الى غرف الحمامات حيث وجد الكثيرين من المصابين قد ذهبوا لاطفاء اللهب في اجسامهم. فقادهم الى الخارج وسط الدخان. ومر هورست بصديق فرنسي كان قد اخذ كلبه في نزهة قبل الانفجار بدقائق، ولكن حين رجع وجد انه فقد زوجته وابناءه الثلاثة جميعا، ولم يعثر لهم على اثر.

تماثيل من كلس — في هذا الوقت كانت حرارة الشمس قد انخفضت. وهنا اصيبت ليفين ميريه، وهي التي عملت وسط ركام المخيم، بالدهشة للطريقة الرهيبة، والساخرة احيانا، التي ميزت بها النار بين شيء وآخر. فالى جانب احدى الموائد ثلاثة اشخاص تحولوا الى كلس فيما كانوا يأكلون، بينما كانت مائدة اخرى مجاورة لا تزال مرتبة بما عليها من زهور وغطاء قماش نظيف. والى جانب قاطرة احترقت حتى اكرة

العجلة، كان قفص يضم كنارا اصفر ساطع اللون، على ساقه اليسرى حلقة زرقاء، وقد اصيب ريشه بحروق سطحية بسيطة.

وكان لوسيان توريغروزا، وهو فرنسي من ديجون في الرابعة والاربعين من عمره، على علم بأن ابنيه قصدا وسط المخيم قبيل حدوث الانفجار. وكان قلبه ينبض بقوة لفرط قلقه وتخوفه. وظل يتلمس طريقه بين الدخان بضع دقائق، ويناديهما باسميهما، الى ان لمح الصبيين يركضان نحوه وقد سلما باعجوبة من كل اذى.

واتجه الثلاثة نحو الشاطىء المغطى بالحصى. وهنا تراجع لوسيان مرعوبا لرؤية الآثار الدامية لاولئك الذين كانوا يستحمون بالشمس عندما دهمتهم النار. ثم تماسك بسرعة، واخذ يحمل المصابين الى مدخل المخيم، متوقفا قليلا بعد كل رحلة ليمسح نتف جلودهم عن يديه. وحين تم هذا العمل، لاحظ لوسيان ان سلسلة من الانفجارات اللاحقة من خزانات نفط السيارات ومن قوارير غاز الطباخات، راحت تتوالى امامه كأنها سلسلة من مفرقعات نارية رهيبة. وعند ذاك اخذ يرمي قوارير غاز البوتان الثقيلة الى البحر للحؤول دون انفجارها.

ولم يكن الناجون من سكان المخيم وحدهم في هذا الصراع للانقاذ، اذ ان جوزيه مانويل سيبرا، وهو مهندس كيميائي في الواحدة والثلاثين من عمره يعمل في مكان مجاور، اندفع بسيارته الى لوس الفاكيس فور سماع الانفجار. وعند مدخل المخيم رأى رجلا تلتهمه النار وهو يركض نحوه، ثم يسقط ميتا على بعد متر منه.

ولاحظ سيبرا ان الحاجة الاساسية هي الى أجهزة الاطفاء. فهرع الى المعمل بسرعة، واتى بستة عشر جهازا للاطفاء في شاحنة الشركة، واستنفر خمسة من زملائه لمساعدته.

وكان الواجب الاول هو التصدي للنار لحماية مكتب المخيم ووقاية الثلث الباقي الذي لم تكن النار قد أتت عليه بعد. وكان في امكان سيبرا ان يتحسس حرارة الارض المحروقة على رغم نعل المطاط السميك في حذاء العمل. وأقام هو والمتطوعون الآخرون باكمام قمصانهم الطويلة حاجزا من اجهزة الاطفاء لصد اللهيب. وبينما كان يتنقل من مكان الى آخر قرب المكتب، وهو يتقيأ لرائحة اللدائن والمطاط واللحم عند الاحتراق، اصطدم بشيء صلب كان يبدو جسما شديد الاحمرار، كالنماذج التي توضع في المحلات لعرض الازياء عليها. ولاحظ رجل بجانبه تعجبه وحيرته، فقال له بعبوس: "اجل، هذا جسم بشري".

حجم الكارثة – حين وصلت سيارات الاسعاف والطوافات لنقل المصابين، كانت هذه المهمة قد تمت تقريبا بواسطة السيارات الخاصة. وعند منتصف الليل، كان معظم المصابين بحروق خطرة – وهم اكثر من ١٣٠ مصابا – قد نقلوا من العيادات المحلية الى مستشفيات المدينة حيث توجد وحدات حديثة لمعالجة الحروق. وكانت غالبية هذه الحالات حروقا من الدرجة الثالثة في اكثر من نصف مساحة الجسم. وبذلك كان الامل في الشفاء ضئيلا، وكان متوقعا ان يزيد عدد الموتى على المئتين ولا يزال بعض المصابين حتى اليوم غير متيقنين من الشفاء. وكان اصطدام طائرتي

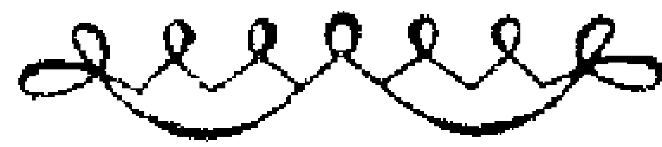
الجمبو في تينيريف في مارس (آذار) ١٩٧٧، حين قتل ٥٨٢ شخصا، هو الحادث الوحيد الذي تمكن مقارنته بمحرقة لوس الفاكيس.

وكان حادث لوس الفاكيس، كحادث تينيريف، كارثة ذات أهمية عالمية. فأكثر من ثمانين عائلة من ست دول قد اصيبت بها: ٣٦ عائلة فرنسية، ١٩ عائلةالمانية غربية، ١٣ عائلة بلجيكية، ٩ عائلات اسبانية، ٤ عائلات هولندية، ٣ عائلات سويسرية. وبعض هذه العائلات ابيد بكامله.

واقيمت للموتى جنازة جماعية أليمة عند مدفن تورتوزا القائم على قمة تلة مجاورة. وكان هناك صف طويل من النعوش القاتمة اللامعة بالمقارنة المحزنة مع النعوش البيضاء والصغيرة التي تضم بقايا الاطفال. اما النعوش التي تضم الجثث التي لا يزال امام الاطباء الشرعيين ان يحددوا هويات اصحابها، فقد وضعت في مدافن موقتة تحت نقش مشؤوم هو: "ضحايا كارثة لوس الفاكيس".

ان بعض الذين نجوا من الكارثة واجهوا مشكلة النوم طوال اسابيع لاحقة، وظلوا يرون مشاعل بشرية تركض في احلامهم. لكن الكثيرين، امثال ليفين ميريه وعائلتها، ينوون الرجوع الى لوس الفاكيس في الاجازة المقبلة. ولا تزال ليفين تحتفظ بتذكار فريد في غرفة نومها، وهو كنار اصفر بهي اللون، تطوّق ساقه اليسرى حلقة زرقاء. ان احدا لم يطالب بهذا الطائر حتى الان. وتدعوه ليفين "ال فويغو". وهي الكلمة المرادفة للنار باللغة الاسبانية.

■ جوزيف هاريس



اخبار سارة وسيئة

دار الحديث الآتي بين طبيب ومريضه. قال الطبيب:

- لدي اخبار سارة واخبار سيئة. اما الاخبار السيئة فهي ان وزنك اكثر مما يجب بخمسة كيلوغرامات، وضغط دمك مرتفع اكثر من اللازم، واستجاباتك بطيئة جدا، ولا بد من استئصال الزائدة الدودية.
- وما هي الاخبار السارة؟
- لقد تمكنت اخيرا من الحصول على اكثر من مئة نقطة في مباريات "الغولف".

ب.ب.

كبرياء فنان

يعد الفرنسي كابييلو واحدا من اشهر مصممي الملصق الاعلاني (البوستر). وقد تسلم ذات يوم الرسالة الآتية من أحد اشهر صانعي المشروبات الكحولية:

"اننا ننظم مباراة لاختيار أفضل ملصق للاعلان عن منتجاتنا. ويسعدنا أن نطلع على بعض تصاميمك الصالحة للاستخدام على لوحات الاعلان. وسيمنح الملصق الفائز جائزة مقدارها عشرون الف فرنك. ونعتذر عن عدم اعادة الملصقات الخاسرة الى اصحابها".

فاستشاط كابييلو غيظا، ورد برسالة نارية تقول:

"انظم مباراة لاختيار افضل مشروب كحولي في فرنسا، ويسعدني أن اجرب بعض منتجات شركتكم. واعتذر عن عدم اعادة النماذج الخاسرة الى اصحابها".

(مجلة "قراءات للجميع"، فرنسا)

ارتفاع ضغط الدم ضبطه يعني حياة أطول وأسلم

ان ارتفاع ضغط الدم هو من الامراض الشائعة في انحاء العالم، وهناك احصاءات تشير الى ان في الولايات المتحدة وحدها خمسة عشر مليونا على الاقل اثبت التشخيص اصابتهم بارتفاع في ضغط الدم وان هؤلاء لا يحصلون على العلاج الكافي، على رغم ان عدد الامريكيين الذين ينتظمون على مراجعة الطبيب في شأن هذا الاعتلال قد تزايد الان اكثر منه في اي وقت مضى، ذلك ان الكثيرين يبدأون العلاج ثم يكفون عنه.

ومن شأن هذا الاهمال ان يتسبب في عواقب مأسوية يمكن الان تجنبها. فمنذ ما لا يزيد كثيرا على عشرين عاما قلما كان من السهل كبح ارتفاع ضغط الدم والافضاء بالمريض الى النهاية المحتومة. اما اليوم، فقد بات في وسع الطب الحديث السيطرة على اكثر من ٨٠٪ من حالات الضغط بفضل التقدم الذي تحقق في هذا المجال. ولا بد اذا من التساؤل: لماذا يختار الكثير من الناس اهمال العلاج ويؤثرون على ما يبدو التعرض للسكتة الدماغية او النوبة القلبية او امراض الكلى المستفحلة، والموت المبكر؟

ان الاجابة الوحيدة المهمة عن ذلك هي: الافتقار الى الاتصال المنتظم بين المريض والطبيب. وهذا النقص هو العقبة الرئيسية في سبيل معالجة ضغط الدم على نحو ملائم.

وقد اتضح من دراسة اجريت في الولايات المتحدة الامريكية، عن طريق الحديث مع المرضى بارتفاع ضغط الدم ممن توقفوا عن العلاج، ان ثلث هؤلاء قد استجابوا لاشارة الطبيب بالتوقف. ولكن الواقع هو ان ارتفاع ضغط الدم، باستثناء حالات قليلة، يتطلب الاستمرار في المداواة.

وكثيرا ما تقتصر هذه على قرص واحد يوميا ولكنها تستمر طوال الحياة، في غالب الاحيان، حرصا على كبح جماح المرض. وقلما ينصح الطبيب المريض بالتوقف عن تناول الدواء.

وثمة اطباء لا يخصصون الوقت الكافي لتثقيف مرضاهم في شأن خطورة ضغط الدم وضرورة استمرار معالجته على مدى الحياة.

واذا ما افادك طبيبك بأنك مصاب بارتفاع في ضغط الدم، فربما ساعدتك قراءة نبذة عن هذه الحال الخطرة على مراجعة طبيبك على نحو افضل. وهناك عدد كبير من المنظمات المهنية ومؤسسات المستحضرات الصيدلية تصدر نشرات بلغة مبسطة عن ارتفاع ضغط الدم.

ولا تتردد في توجيه الاسئلة الى طبيبك. سله عن الغرض من الدواء الذي يجب ان تتناوله. واذا لم تكن متأكدا من التعليمات الخاصة بتناوله فأطلب مزيدا من الايضاح. واسأل عما اذا كان عليك ان تكرر الدواء وعن السبب في ضرورة هذا الاستمرار. واسأل عما اذا كان ينبغي ان تعود الى الطبيب للمتابعة، (قد يكون شهريا في بادىء الامر، ثم في فترات اكثر تباعدا، ربما مرتين او ثلاث مرات سنويا). اتصل بطبيبك بين مواعيد الزيارة العادية اذا كانت لديك اسئلة تطرحها عليه. ولدى كل زيارة للطبيب سله عن معنى الارقام التي تظهر في الفحص الخاص بل واحتفظ بسجل لكل فحص.

ان معظم الاطباء يبدأون العلاج باعطاء مدد للبول، وهو عامل يساعد على افراز الاملاح والسوائل الزائدة في الجسم عن طريق البول. ويمكن السيطرة على نصف حالات ارتفاع ضغط الدم، تقريبا، بواسطة قرص او قرصين يوميا.

الا ان الاطباء يقولون ان ليس هناك حالان تتشابهان تماما. وقد يضيف طبيبك الى العلاج دواء آخر او يعدل مقدار الجرعة او يغير الدواء كلياً تأمينا لافضل النتائج لحالك الخاصة.

وابلغ الطبيب اذا كنت تشعر بآثار جانبية، مع العلم ان عددا كبيرا من المصابين بارتفاع ضغط الدم لا يشعرون بأي من تلك الآثار، وهي عادة آثار موقتة. والى جانب هذا، فان العقاقير الجديدة اخذت تتوافر باستمرار وتعدّل القديمة بحيث تحقق السيطرة الفعالة بمقادير اقل وبأقل مقدار من الآثار الجانبية.

راجع طبيبك حالما يساورك القلق من جراء ارتفاع ضغط الدم، ومدى اثره على حياتك وعملك، فالحقائق كفيلة بطمأنتك. وقد اقتصر عدد الامريكيين الذين اضطروا الى ترك عملهم ممن عرف انهم مصابون بارتفاع ضغط الدم، والذين اجري بينهم استقصاء في عام ١٩٧٣، على نسبة ٥٪ فقط (وحتى ربابنة الطائرات المصابون بارتفاع ضغط الدم، مما يمكن السيطرة عليه بمدر خفيف للبول، لا يفصلون عن عملهم). ونقيض ذلك، فان ضغط الدم الذي يمكن ضبطه، يعد واحدا من الاسباب الرئيسية للعجز في القوى العاملة الامريكية.

وهناك اربعة مفاهيم خاطئة واسعة الانتشار وقد تحمل الاشخاص

● **على من تتوجب المراقبة؟**

تبلغ نسبة المصابين بارتفاع ضغط الدم في الولايات المتحدة الامريكية ١٦٪ من البالغين البيض وقرابة ٢٥٪ من البالغين السود، وأكثر ما تظهر حالات ارتفاع ضغط الدم بين الاشخاص الذين تراوح اعمارهم بين ثلاثين وخمسة واربعين عاما. فاذا كنت قد تجاوزت الاربعين، يتوجب عليك ان تخضع للمراقبة مرة في السنة. الا ان الصغار في حداثتهم قد يصابون ايضا بارتفاع ضغط الدم وبالتالي ينبغي ان يخضع الجميع للمعاينة مرة على الاقل كل بضع سنوات منذ الطفولة الباكرة، خصوصا اذا كان ارتفاع ضغط الدم "وراثيا في العائلة" (اذا كان احد والديك او اخوتك مصابا به فاحتمال اصابتك به يتضاعف).

● **ما الذي يعتبر مرتفعا؟**

يرتفع الضغط عادة بسبب الاجهاد وينخفض عن طريق الراحة. وتراوح درجة الضغط العادي دون السن الثامنة عشرة بين ٩٠/ ٧٠ و١٢٠/ ٨٠ فاذا كنت قد تجاوزت الثامنة عشرة يصبح المستوى ١٤٠/ ٩٠ حدا اعلى اذا تجاوزته تعرضت لخطر المضاعفات التي تصيب القلب والاوعية الدموية واذا استمر الضغط فوق هذا الحد فيجب السيطرة عليه.

● **ماذا يسبب ارتفاع الضغط؟**

اكثر من ٩٠٪ من الاشخاص الذين يعانون ارتفاع ضغط الدم مصابون بما يسميه الاطباء ارتفاع ضغط الدم "الاساسي" او "البدائي" بمعنى ان السبب لا يزال مجهولا. وقد تلعب زيادة الملح في التغذية دورا في بعض الحالات. (يعتقد كثير من الباحثين ان الملح يزيد من ضغط الدم اذ ينفذ في جدران الاوعية الدموية فيزيدها سمكا وضيقا. كما ان الملح باحتفاظه بالماء في سوائل الجسم قد يزيد كمية الدم الجاري في الاوعية ويحدث ضغطا اضافيا عليها).

ومن المعروف ان هناك عددا من العوامل يتفاقم معها التعرض للمضاعفات الخطيرة بالنسبة الى المريض بارتفاع ضغط الدم. والبدانة هي احدى هذه العوامل، اذ ان الزيادة في الوزن تثقل العبء الذي يلقيه ارتفاع ضغط الدم على القلب والاوعية الدموية. والعامل الآخر هو التدخين، اذ يؤذي الاوعية الدموية ويستعجل تصلب الشرايين ويزيد عمل القلب.

● **ما هي فوائد المراقبة الطبية؟**

تعمل العقاقير المضادة لارتفاع ضغط الدم كمنظمات للضغط. فمدرات البول تغسل الاملاح والسوائل الزائدة. وموسعات الاوعية الدموية تساعد في استرخاء جدران الاوعية الدموية الصغيرة التي يتسبب ضيقها في ارتفاع ضغط الدم. ومخدرات الاعصاب تخفض عدد نبضات الاعصاب التي تسبب في انقباض الاوعية الدموية وتقلل آثار الادرينالين (وهو هرمون يرفع ضغط الدم) الجاري في الجسم. فاذا فكرت في العقاقير باعتبارها منظمات لمجرى الدم، سهل عليك ان تدرك لماذا يتعذر عليك ان تضبط ضغط دمك ما لم تتناولها يوميا وبانتظام.

المصابين بارتفاع ضغط الدم على اهمال العلاج، فتجنب الوقوع في شراك تلك المغالطات الخطيرة:

□ **مغالطة "المزاج العصبي"**

ان ارتفاع ضغط الدم لا يعني ان الشخص المصاب شديد الحساسية وعصبي. وبسبب هذه الفكرة الخاطئة فان كثيرا من المصابين بارتفاع ضغط الدم لا يتناولون دواءهم الا عندما يشعرون بالتوتر والعصبية، فهم يتصرفون بدوائهم وكأنه قرص من الاسبيرين يؤخذ من أجل صداع.

والحقيقة هي ان ارتفاع ضغط الدم لا يرتبط عادة بالعصبية. فكثير من المصابين بارتفاع ضغط الدم يتسمون بالسكينة والهدوء. وتشير كلمة "ارتفاع" هنا الى "الشدة" و"الافراط"، كما تشير كلمة "ضغط" الى "وطأة" الدم على جدران الاوعية الدموية. واذا لم ينضبط الضغط المفرط فانه يؤدي الى قصر الحياة.

☐ **مغالطة الاعراض**

كثيرا ما يعتقد المرضى خطأ ان لارتفاع ضغط الدم اعراضا، فاذا هم لم يشعروا بأي اعراض امتنعوا عن تناول دوائهم. غير ان آثار الاهمال في ارتفاع ضغط الدم ليست لها اعراض ظاهرة الى ان يؤدي تراكمها الى تضخم القلب او غير ذلك من المضاعفات الخطيرة المميتة.

☐ **مغالطة "اختيار علاجك بنفسك"**

عندما ينصح الطبيب بانقاص الوزن او ممارسة المزيد من الحركة او عدم اضافة ملح الى الطعام على المائدة، بالاضافة الى الاقراص اليومية الخاصة بضغط الدم، يفترض الكثيرون خطأ ان في وسعهم تجاهل الدواء واختيار بديل من التدابير الاخرى. ولكن مثل تلك التدابير ليست، في معظم الحالات، الا مساعدة للعلاج الطبي وليست بديلا عنه.

☐ **مغالطة الشفاء**

كثيرا ما يتوقف المرضى عن تناول الاقراص اليومية عندما ينخفض ضغطهم الدموي المرتفع الى الحد "الطبيعي" الذي عينه لهم الطبيب، لانهم يفترضون انهم قد ابلوا من المرض مما يغنيهم عن الدواء. والواقع ان ارتفاع ضغط الدم غير قابل للشفاء باستثناء حالات قليلة. فهو حال فيزيولوجية تستوجب الرقابة المستديمة تفاديا للامراض التي تتسبب فيها.

وليس من الصعب اتباع الاجراءات الروتينية التي يضعها الطبيب للسيطرة على ارتفاع الضغط والتي لا تقدر فوائدها: حياة اطول واسلم. وربما اعتقدت ان الحياة مع الادوية اليومية قاسية شاقة، خصوصا عندما لا تشعر بأنك مريض. واذا كان الامر كذلك، فتذكر ان ١٥٪ من الاشخاص اضطروا الى استخدام اجهزة "الديلزة" قد بدأوا عادة بارتفاع متوسط في ضغط الدم لكنهم لم يسهروا على ضبطه، شأن معظم الذين يتحملون العواقب الناجمة عن السكتة الدماغية واكثرية الذين تنطفىء حياتهم مبكرا بسبب توقف القلب.

■ سوزان طومسون



حكمة الشيوخ

قدم اقتراح الى مجلس مدينة رامسغيت الانكليزية لابقاء مدينة الالعاب مفتوحة في المساء، فاعترض عضو كبير السن، قائلا ان ذلك يتطلب دفع اجور اضافية الى العاملين فيها، وأكمل دفاعه عن حجته بالآتي: "وعلى اي حال، فان ابقاءها مغلقة سيمثل اغراء اكبر للاطفال لدخولها، علما بأن الثقوب الموجودة حاليا في السور الخارجي تمكنهم من التسلل اليها".

وهكذا وافق المجلس على ابقائها مغلقة.

ا.ك.



اصداء من عالم الطب

حكم تاريخي لمصلحة الذين لم يولدوا بعد

اصدر القضاء الامريكي في ولاية انديانا حكما يعتبر حدثا خارقا في ابراز اهمية التغذية السليمة في اثناء الحمل، مما لم يسبق له مثيل في اجتهادات المحاكم.

القضية ان امرأة في الثالثة والعشرين من العمر تعاني تخلفاً عقلياً طفيفاً قد ادعت على طبيب الامراض النسائية في ولاية انديانا بانه ارتكب خطأ في تغذية والدتها الحامل مما تسبّب في تخلفها العقلي. وقد قضت المحكمة لهذه السيدة بتعويض مقداره ٥٠٠٠٠ دولار لان الطبيب حرمها من البروتيين الكافي خلال حياتها الجنينية.

واتهمت ام الشابة ايضا هذا الطبيب بانه، خلال الشهرين الاخيرين من حملها بابنتها، قرر لها نظاما غذائيا يتألف من كوب من الرز المجروش ونصفي اجاصة او فاكهة اخرى ثلاث مرات يوميا، ولا شيء غير ذلك سوى جرعات يومية من دواء مدر للبول وجرعة مسائية من املاح "ابسوم" الملينّة، وحظر عليها الحليب والفيتامينات. وقال محاميها ان الطبيب استوحى ذلك النظام الغذائي من النظام التجريبي الذي كان يختبر آنئذ في احدى الجامعات الكبرى لمعالجة حالات الارتفاع الشديد في ضغط الدم. وصرحت السيدة ان ضغط دمها كان عاديا تماما قبل ان يقرر لها الطبيب ذلك النظام الغذائي الخالي من البروتيينات والفيتامينات.

وقد علق على هذه القضية الدكتور ميرون وينيك، من معهد التغذية البشرية في مركز كولومبيا - المشيخي الطبي في مدينة نيويورك، فقال: "ان الاطباء بدأوا حديثا ادراك الاهمية البالغة لتغذية الام في اثناء الحمل". وهو يعتقد ان المرأة العادية ينبغي ان يزيد وزنها بمقدار يراوح بين ١٠ كيلوغرامات و١٤ كيلوغراما في اثناء الحمل، على ان تتناول دائما غذاء متوازنا يزيد بمقدار ٣٠٠ سعرة حرارية يوميا على ما اعتادت ان تتناوله في غير اوقات الحمل. واضاف الدكتور وينيك ان نقص البروتيين والسعرات في غذاء الحامل امر يلحق الضرر الاكيد بالنمو الطبيعي للجنين.

اليوت ريتشمان ("ميديكال تريبيون")

جبر العظام المكسورة

درج جراحو التجبير في مستشفى جونز هوبكنز في بالتيمور على اتباع طريقة "الصمولة والمسمار" في حالات الكسر الخطيرة. فهم يلجأون في جبر العظام الى استعمال "مثبت خارجي" طوله خمسة عشر سنتيمترا بالاضافة الى مسامير تشبه الصمولات والى اطار فولاذي بدلا من الجبيرة الجصية التي يكسى بها العظم المكسور.

تدفع المسامير المتصلة بالاطار الفولاذي عبر الجلد نحو العظم بل وتخترقه في بعض الاحيان في المنطقة الواقعة فوق الكسر وتحته. ويعلق الدكتور اندرو ف. بروكر من مستشفى جونز هوبكنز على ذلك قائلا: "بهذه الطريقة لا يقتصر الامر على تثبيت العظام فحسب بل يمكن كذلك كبس الاجزاء بعضها على بعض بما يساعد على التئام الكسور".

ويرى الدكتور بروكر ان المثبت الجديد يمكن الاطباء من القيام بمهمات كثيرة لا يتسنى لهم القيام بها في حال الجبيرة الجصية "فاذا كان العظم المكسور اخترق الجلد الخارجي مثلا يمكن تنظيف الجرح المفتوح او تغيير الضمادات. واما في حال الجبيرة الجصية فيضطر الاطباء الى أحداث ثغرة واسعة فيالغطاء الجصي مما يهدد ثبات الكسر". ويضيف "ان هذه الطريقة توافق خصوصا المرضى المصابين بحروق شديدة الى جانب الكسر، حيث يمكن زراعة جلد اصطناعي في اثناء وجود المثبت".

أ.ل.

أقراص السكر العلاجية ليست مجرد وهم

تؤدي بعض الاقراص الحلوة المذاق ذات المفعول العلاجي الى نتائج مذهلة في تخفيف الآلام بين ثلث المرضى الذين يستعملونها تقريبا. وكثيرا ما كانت هذه النتائج تعزى الى ردود الفعل النفسية في ذهن المريض، ولكن قد تبين خلاف هذا الامر من الدراسة التي قدمها اخيراً الدكتور جون ليفنمن جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو الى مؤتمر مونريال الدولي الثاني حول الآلام.

فمن شأن هذه الاقراص حفز المخ، لدى كثير من المرضى، على اطلاق مواد كيميائية تكافح الآلام تسمى "الاندورفين"، وهذه اكتشفت حديثا وتبين انها تزيل الألم في شكل طبيعي على غرار "المورفين". ولا شك في ان الانفراج يتوقف كثيرا على أمل المريض وتوقعه الشفاء، وبهذا المعنى يمكن القول ان العلاج يتسم بمفعول نفسي الى حد ما، لكن ازالة الألم امر واقعي.

وقد اجريت هذه الدراسة على خمسين مريضا على اثر اقتلاع سن من اسنانهم، وقد خفت آلام ثلثهم تقريبا بعد ان حقنوا بـ"البلاسبو". لكن مزايا هذا العلاج اختفت كليا بعد حقنهم بمادة الـ"نالكوسون" (وهي مادة مضادة لتأثيرات المورفين والعقاقير المماثلة)، دلالة على أن البلاسبو قد حفز المخ على افراز الاندورفين. وأما الذين لم يحقنوا بالبلاسبو، فقد ظلوا من دون اي تأثير بعد حقنهم بالنالوكسون.

انقاذ الاطفال من الاختناق

ان "خطة هايملش" هي واحد من اساليب الاسعاف الاولي الفعالة المتبعة في انعاش الكبار من ضحايا الاختناق. ويمكن تكييف هذه الخطة واتباعها في انقاذ الاطفال ايضا على النحو الآتي:

ضع الطفل على حجرك ووجهه يواجه الارض واحطه بذراعيك بحيث تلصق السبابة والاصبع الوسطى من كلتا اليدين على بطنه تحت القفص الصدري مباشرة، واذ ذاك توجه الاصابع دفعة ضاغطة سريعة نحو الاعلى تؤدي الى تنظيف حنجرة الطفل.

س.ش.

ذوو المعاطف البيضاء

فرع جديد من الطب وعلم الجريمة، يروي فيه الاموات الحكايات، ولكن للذين يعرفون كيف يصغون

كان الجار اول من شاهد النار تنبعث من كوخ مرتا. ولما وصل رجال الاطفاء،كان انقاذ المرأة المتوسطة العمر القابعة على ارض غرفة الجلوس قد اصبح امرا مستحيلا.

وكانت هناك زجاجة شراب وبقايا علبة سجاير مفتوحة محترقة على الطاولة امام مقعد تتآكله النار، شاهدة على مأساة مألوفة:

لا بد من ان تكون مرتا استسلمت للنعاس واشتعلت النار في المقعد وهز رجال الشرطة اكتافهم، ثم اغلقوا المحاضر.

لكن جثة المرأة الممددة على مائدة معدنية في قاعدة خاصة بحفظ الجثث في منطقتها، كانت على وشك ان تقص رواية اخرى على شرطي من نوع اخر، هو الطبيب المحقق او الطبيب الشرعي.

وبعد فحص جثة مرتا فحصا دقيقا، تولى الطبيب تشريحها، وشقها من كتف الى كتف، هابطا في وسط الصدر حتى البطن، على شكل حرف Y. ثم ادخل ابرة في وريد مجاور لقلب مرتا، وسحب ٤٠ سنتيمترا مكعبا من الدم للتحليل. وتبين له بعد ذلك ان حلقوم مرتا واعضاء التنفس المكشوفة كليا لا تحمل اي تلوث بسواد الدخان.

هنا قطب الطبيب جبينه، اذ لا بد من ان يكون حلق الضحية قد طلى من جراء هذا الحريق برواسب الدخان الذي تنشقته قبل الموت. ثم قشر اللحم عن عنق مرتا ليتفحص العظم اللامى السهل الانكسار في اسفل لسانها، فوجد كسرا دقيقا جدا في حجم شعرة، محاطا بنزيف ضئيل. وفتح اجفانها فوقع على النزف الذي

كان يتوقعه. ان بقع الدم الدقيقة، اذا، تشهد على ان الوفاة حدثت خنقا.

وانتقل بعد ذلك الى فحص قلبها وامعائها وكبدها واعضائها الاخرى. وعمد مساعد له الى فتح جمجمة مرتا بمنشار كهربائي صغير. وفحص الطبيب الدماغ، باحثا عن نزيف او تورم او ظواهر اخرى غير عادية. ولما لم يجد اي دليل على مرض او اصابات اخرى، طلب من المساعد ان يعيد اعضاء الجثة الى مكانها ثم يخيط الجثة.

ودلت الفحوص المخبرية على ان نسبة الكحول في دم المرأة الميتة كانت ٠،٠٢ في المئة. ولعلها كانت قد تناولت شيئا من الشراب، ولكنها لم تكن سكرى ابدا. ووجد ان نسبة اوكسيد الكربون في دمها هي ٢ في المئة، وهذا مستوى قليل جدا، لا ينجم عنه الموت في حال تنشق الدخان. وكان تحت اظافرها شيء من جلد بشري - من انسان دمه من فئة "أ" بينما كان دمها هي من فئة "أو".

بعدئذ نظر الطبيب في تقرير المحقق الذي تبين له من عائلة مرتا واصدقائها انها كانت تعمل مراقبة في مستودع كبير، وانها كانت قبل ايام من وفاتها قد صرفت من العمل شابا معروفا بحدة طبعه، وهو يدخن نوع السجائر نفسه الذي وجد على طاولة مرتا. وصرح الاهل والاصدقاء بأن مرتا لم تكن تدخن على الاطلاق.

عند ذلك ملأ الطبيب البطاقة الخاصة بوفاة مرتا: "سبب الوفاة: خنق باليد. طريقة الوفاة: القتل".

واعتقل الموظف الشاب. ولما ووجه بافادة الطبيب، اعترف بأنه خنق مرتا ثم اشعل النار في مقعدها، آملا ان تخفي السنة النار الحقيقة الى الابد. ولم يكن اخفاء الحقيقة بالامر المستحيل. لكن الفضل في كشفها يعود الى الطبيب، وهو نوع فريد من الشرطة، يحل الالغاز بواسطة مبضع وانبوب، وبعين حادة ثاقبة وعقل محقق.

"ماذا"، ليس "مَن" - هذا الطبيب المدقق هو في الواقع طبيب مختص بعلم الامراض وتشخيص تطوراتها (اي الآثار الطبيعية التي تحدثها هذه الامراض في الجسم)، وبعلم الامراض الشرعي الذي يسمى احيانا بالطب القضائي، وهو ذو علاقة بالعنف والقتل والموت في احوال غير طبيعية.

وفي الولايات المتحدة في الوقت الحاضر ما يقرب من مئة طبيب قضائي يكرسون اوقاتهم لهذا العمل. ومعظمهم يعمل في المدن الكبيرة. اما في المناطق الريفية والمناطق المجاورة للمدن، فكثيرا ما يؤدي اطباء المستشفيات هذا العمل في قسم من اوقاتهم. اما الاطباء القضائيون فيدققون في كل وفاة عنيفة او مريبة او غير طبيعية. ويعمل الطبيب الشرعي او المحقق في الوفيات مع عدد كبير من العلماء القانونيين، من محققين وخبراء في السموم، وعلماء بيولوجيا وخبراء في السلاح والقذائف ومجهريين واطباء اسنان وعلماء آثار، وحتى علماء نفسيين، من اجل تحديد سبب الوفاة وطريقتها لاكثر من نصف مليون شخص في السنة، وهذا يشكل نسبة وفاة

واحدة بين كل اربع وفيات. وبناء على تحقيقاتهم، تتم الاعتقالات او تصدر الاحكام، ويطلق سراح المتهمين الابرياء، وتؤخذ الاجراءات الصارمة لدرء الاخطار، وتسن القوانين الجديدة للحؤول دون وفيات لا داعي لها.

"نحن لا يعنينا من ارتكب الجريمة".

ويقول الدكتور مايكل بادين، رئيس الاطباء الشرعيين في مدينة نيويورك: "نحن لا يعنينا من ارتكب الجريمة. ان مهمتنا هي ان نكشف كيف جرت الجريمة وبأي وسيلة".

هذه المهمة هي التي حملت الدكتور ليسلي موتو، كبير اطباء غويانا، على الذهاب الى مكان كارثة الموت الجماعي العنيفة في مستوطنة "هيكل الشعب" في جونستاون في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨. وكان الدكتور موتو اول طبيب وصل الى مكان القتلى، حيث تولى تشريح سبعين جثة، كما فحص جثثا اخرى كثيرة. وكانت النتيجة المدهشة التي توصل اليها، كما جاء في مقابلة صحافية معه، ان بين موتى جونستاون الذين بلغ عددهم ٩١١ شخصا، الكثر من ٧٠٠ شخص لم ينتحروا بل قتلوا اغتيالا.

وكان السم الذي استعمل في تلك المقتلة هو السيانيد، وهو سم قد يؤدي الى تشنجات وموت أليم. ويشك الدكتور موتو في ان من يرى متجرعي السم الاولين يتلوون ويصرخون، يقدم بعد ذلك على تناول هذا السم طوعا. ثم انه وجد علامات ابر محقونة تحت الجلد في الاقسام العليا من اذرع كثيرين من الاطفال والكبار الذين فحص اجسامهم. وقال انه يستحيل فعلا على الشاب ان يحقن نفسه في ذلك الجزء من الذراع.

الصلة الحيوية ـ ولئن كانت الجرائم التي تؤدي الى الموت تشكل اقل من ١٠ في المئة من عمل الطبيب الشرعي في الولايات المتحدة، (اذ ان حوادث الانتحار والوفيات المفاجئة والوفيات الطبيعية التي لا يشهدها طبيب، تشكل القسم الباقي)، الا ان الطبيب الشرعي حلقة حيوية في سلسلة عمليات تطبيق القانون. وكثيرا ما تكون معارف الاطباء الشرعيين وحدها التي تكشف عن جريمة قتل.

لنأخذ قصة هوارد مثلا. ففي الوقت الذي رأى المهندس جثة هوارد على السكة الحديد، كان يستحيل عليه وقف القطار. وتناثرت اشلاء من جسم هوارد الى مسافات بعيدة. لكن الطبيب الشرعي كان معنيا بكدمة حول عين الضحية اليسرى وبكشط على الجهة اليسرى من الانف. وانطلاقا من التورم وتغير اللون، استطاع الطبيب الشرعي ان يعرف ان هاتين الاصابتين حدثتا للرجل قبل وفاته. وبعد مضي بضع ساعات من التدقيق المضني، ظهرت الطعنات التي قتلت الرجل قبل ان رمي على الخط الحديدي.

ومن ناحية اخرى، كثيرا ما يجد الاطباء الشرعيون ان ما قد يبدو جريمة هو في الواقع انتحار او حادث عارض او وفاة طبيعية. كانت ليندا، مثلا، تعبث مع رجل بعد اخر في حفلة، فتلاسنت مع صديقها بوب الذي صفعها، فترنحت ثم سقطت ارضا ولم تنهض. وفي غرفة الطوارئ في المستشفى، اعلن ان ليندا ميتة فور

ادخالها ولم يكن هناك مجال للشك.

واتهم بوب بالقتل. ولكن هل ينتهي الامر عند ذلك؟ كلا، ابدا. ففي عملية تشريح جثة ليندا، وجد الطبيب الشرعي في مؤخر دماغها انفجارا في وعاء دموي متمدد اشبه بالحبة، وهو خلل نادر ولا يعطي اي تحذير قبل انفجاره، مما يسبب الموت الفجائي احيانا كثيرة. ومن المرجح ان صفعة بوب لم تسبب الانفجار، والاكثر احتمالا هو ان ما حدث كان مصادفة طبيعية وقعت تلك اللحظة. وعند ذاك اسقطت التهمة عن بوب.

وكثيرا ما تكون المسألة القانونية التي يطلب من الطبيب الشرعي حلها تتناول التعويض. فالتأمينات والضمانات الاجتماعية وعائدات العمال يتوقف دفعها او حجبها احيانا على سبب الوفاة وطريقتها.

توفي ادوارد اثر سقوطه وارتطام رأسه بحوض الحمام. لكن شركة التأمين ترددت في الدفع. فقد كانت بوليصة التأمين كبيرة المبلغ، لكنها، بسبب ضعف قلب ادوارد، كانت تنص على عدم الدفع في حال الوفاة بالسكتة القلبية، بينما تدفع البوليصة مضاعفة في حال الوفاة بحادث. فكانت المسألة التي واجهت شركة التأمين تقرير سبب الوفاة.

وجاء الجواب ان ادوارد توفي بسبب نزيف دماغي اصابه عندما ارتطم رأسه بالحوض. والنزيف لا يحدث لو ان الرجل كان قد مات، او كان في طور النزاع، قبل السقوط. النزيف يصيب الاحياء فقط.

مكافآت كبيرة ــ هناك ناحية اخرى لعمل الطبيب الشرعي، وهي تحديد هويات اصحاب الجثث، خصوصا بعد الاهتراء، او بعد تحولها الى هيكل عظمي. وهنا قد تكون سجلات الاسنان والصور بالاشعة، وحتى حجم العظام وشكلها، ذات فائدة في هذه العملية الشاقة.

ويستطيع الخبير في بقايا الهيكل العظمي ان يحدد الجنس والسن وطول القامة والوزن، وان كان كل ما لديه من الضحية عظمة واحدة صغيرة. وان اضلاع الصدر والجيوب الانفية، وحتى محاجر الاعين، قد تكون -كبصمات الاصابع - خاصة بأصحابها.

لكن مسؤوليات الاطباء الشرعيين تتجاوز تحديد هويات اصحاب الجثث والكشف عن اسرار الجرائم. انهم يقومون ايضا بدور المراقب لطبيعة العنايةالصحيةفي مجتمعاتهم. وفي بعض الاحيان تكون افادة الطبيب الشرعي سببا في اقامة دعوى قضائية على الطبيب. والاهم من ذلك ان الطبيب الشرعي يلاحق بعض الممارسات السيئة في المجتمع التي قد تؤدي الى وفيات كان يمكن الا تقع.

ويقول الدكتور توماس نوغوشي، كبير الاطباء الشرعيين في لوس انجيليس (ولاية كاليفورنيا): "اننا مراقبون لنوعية الحياة في هذا المجتمع". وان الكثير من مسائل البيئة والصحة والسلامة الذي يهدد سكان لوس انجيليس، يتم عرضه للمرة الاولى في مكتب الدكتور نوغوشي.

فمثلا، في عام ١٩٧٢ بدأ المحققون التابعون لمكتب نوغوشي يرتابون في طرق وفاة المسنين في بيوت خاصة محلية للعناية الطبية. فقدكان هؤلاء

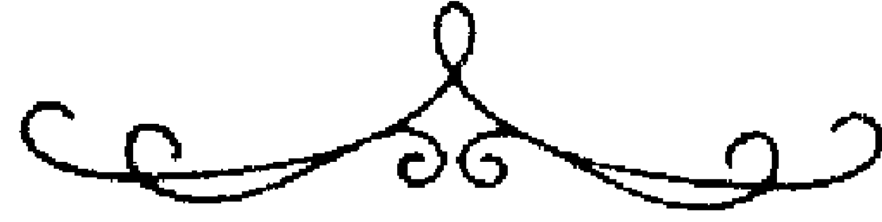
يموتون اختناقا في احواض الحمامات او خلال الاكل، او يموتون احتراقا بالماء الساخن الى حد الغليان. وكان يقع كل اسبوع حادثا وفاة او ثلاث حوادث من هذا القبيل.

وبدأ الطبيب الشرعي تحقيقاته. وكان على العاملين في هذه البيوت ان يعلنوا عن ممارساتهم. وسرعان ما كشفت حقائق رهيبة: ممرضة حشت بالطعام حلقوم امرأة مريضة كان يجب اطعامها بواسطة انبوب ممتد الى المعدة، فماتت المرأة اختناقا... مساعدة اعطت طعاما جافا صلبا لمريضة كان يفترض ان تغذى بالاطعمة السائلة فقط، فعجزت عن انقاذها من الاختناق.

ونتيجة لذلك، جردت بيوت كثيرة للعناية الطبية من اجازات العمل، ولوحق عدد من القيمين عليها امام القضاء بدعاوى جنائية، بينما اخذت دور اخرى تهتم بتأمين شرطة حماية. وقد تدنى حاليا عدد الوفيات التي تدعو الى الريبة وترفع الى الطبيب الشرعي الى وفاتين او ثلاث وفيات فقط في الشهر.

وهكذا، فان مكافآت جهود الطبيب الشرعي كبيرة، حتى ولو كانت هذه الجهود قاسية. ويقول الدكتور تشارلز بيتي، كبير الاطباء الشرعيين في دالاس (ولاية تكساس): "لا شيء يعادل الشعور بالرضا الذي تفضي اليه المساهمة في اسعاد المجتمع. ان عملنا هو للاحياء، لا للاموات".

■ جينيفر بولتش



الذكاء الخام

نفع الذكاء غير المصقول لا يزيد عن نفع قنينة من دون مفتاح.

دوق أدنبره (صحيفة "صنداي تايمس"، لندن)

جواب فطن

حصل شاب هولندي على جائزة من برنامج اختبار للسلوك لاجابته عن السؤال الآتي: "اين يمكن المرأة ان تذهب من غير رجل؟" وكانت اجابته الفطنة: "حيثما شاءت، ما عدا قاضي الزواج".

ر.ب.

الموسيقى والرسام

بعد انتهاء قطعة الافتتاح في حفلة لاحدى الفرق السيمفونية الامريكية، وقف قائد الفرقة ليوبولد ستوكوفسكي وقد هيأ عصاه ليعلن بدء عزف القطعة التالية من البرنامج. لكن كثيرا من الحاضرين لم يكونوا قد اهتدوا الى مقاعدهم بعد، وظلوا يتنقلون بين صفوف الكراسي وهم يلقون اللوم على حجّاب القاعة ويدمدمون.

وانتظر ستوكوفسكي من دون جدوى. وبعد ما يقارب الخمس دقائق، وجه كلامه الى الجمهور: "يعتمد الرسام في رسم لوحاته على القماش. اما الموسيقيون فيعتمدون على الصمت في رسم لوحاتهم. ونحن سنعطيكم الموسيقى، فنرجو ان تعطونا الصمت".

(صحيفة "النيويورك تايمس")

أدب الأهانات!

منذ غابر الازمنة شغف الناس بالحروب الكلامية. ومن مفارقات عصرنا الذي يتميز بالعجز عن الافصاح أنه يقدّر الاهانة البارعة أكثر من أي عصر سابق. فبعدما فقدنا الاهتمام بتطعيم اللغة بعناصر من الدقّة والخيال، بتنا نخبىء أفكارنا الحقيقية وراء قناع من الألفاظ الغامضة. لكننا في السريرة نعشق اولئك الذين لديهم الشجاعة لينطقوا علانية بما لا نجرؤ نحن حتّى على التفكير فيه.

في كل عصر من العصور كان هناك العديد من الاشخاص الذين سموا الاشياء بأسمائها واستعملوا اللغة بخيال وبراعة واسلوب مسبوك.

فالرومان القدماء لم يخشوا التهكم اطلاقا. وشاعرهم مارشال اتخذ من التهكم مهنة. وخاطب امرأة اسمها كلووي بالآتي: "يمكنني الاستغناء عن وجهك وعنقك ويديك واطرافك وصدرك، وعن مفاتن اخرى مما لك. وحتى لا ارهق نفسي في تعدادها جميعا، اكتفي بالقول انه يمكنني الاستغناء عنك كلك".

***

وفي ميدان الفنون، غالبا ما اصاب التهكم والذم الرسامين والكتاب والشعراء والموسيقيين. وللكاتب الساخر جيواكينو روسيني القول الآتي: "ان دقائق الموسيقي فاغنر ساحرة، لكن ارباع ساعاته رهيبة".

وكتب المعلق الكاريكاتوري آل كاب عن الفن التجريدي انه "فن ينتجه غير الموهوبين ويبيعه اناس بلا مبادىء لجمهور ملك الذهول عليه عقله".

واذا انتقلنا الى عالم الادب، وقعنا على تعابير تحمل مقدارا اكبر من التهكم. ومن هذا القبيل ما كتبه ماكولي عن سقراط: "كلما كثرت قراءتي له، قلت دهشتي لقتله".

وقد كان توماس ماكولي نفسه - وهو كاتب ومؤرخ وسياسي انكليزي (١٨٠٠ - ١٨٥٩) - يتكلم دونما انقطاع حتى غدا هدفا لنقد انصاره وخصومه معا· وقالت عنه معاصرته فلورنس نايتنغيل (مصلحة اجتماعية): "كان كلامه بمثابة مسيرة يمشي فيها وحده"·

ويؤثر عن رجل الدين الانكليزي سيدني سميث (١٧٧١ - ١٨٤٥) قوله: "عندما اكون على منصة الوعظ، يسعدني ان ارى الحاضرين يهزون رؤوسهم بالموافقة وهم نائمون"·

وكان الكاتب والمؤرخ الاسكوتلندي توماس كارلايل (١٧٩٥ - ١٨٨١) لاذعا في نقده· ومن الطبيعي ان يناله قسط من نقد الآخرين، كما في قول معاصره ساموبل بطلر: "لقد كان امرا عظيما ان يجمع الله كارلايل وزوجته فيجلب الشقاء على شخصين عوضا عن اربعة"·

ومن الثنائي الامريكي الساخر مارك توين هاتان الجملتان: "يمكن تعليم البراغيث معظم الامور التي يتعلمها رجال الكونغرس"·

"لماذا انت جالس هناك كغلاف رسالة بلا عنوان؟"

وفي ما يأتي نموذجان من الاجوبة المفحمة:

"مخطوطتك مليئة بالجيد والجديد· لكن جيدها ليس جديدا وجديدها ليس جيدا" (ساموبل جونسون)·

"منذ ما حملت كتابك رحت اهتز ضحكا الى ان تركته· اني مزمع على قراءته يوما" (غروشو ماركس)·

***

اما النساء فقد كن، من ناحيتي الحقوق والزواج وسواهما، موضوعا لتعليقات معادية على مر القرون· ومما قيل فيهن:

"لقد ابدع الله آدم سيدا على مخلوقاته جميعا· اما حواء فأفسدت كل شيء" (مارتن لوثر)·

"لم اتخل يوما عن قناعتي بانه على جميع النساء ان يتزوجن وعلى جميع الرجال الا يتزوجوا" (بنجامين دزرايبلي)·

"لقد وقفت ٣٠ مليون امرأة وصرخن بصوت واحد: لن نسمح لاحد بان يملي علينا امرا··· وما لبثن ان اصبحن سكرتيرات" (ج· ك· تشيسترتون)·

وربما كانت المواجهة المباشرة بين الناس تفسح مجالا للاقوال اللاذعة لا يقل عما تنطوي عليه المواقف الاخرى· ومن هذه الامثلة ما يأتي:

الليدي آستور: "لو كنت زوجي يا ونستون لوضعت لك السم مع القهوة"·

ونستون تشرشل: "لو كنت زوجك يا سيدتي لشربتها"·

النائبة بيسي برادوك: "انت سكران يا ونستون"·

ونستون تشرشل: "انت قبيحة يا بيسي· وانا سأصحو من سكري صباح غد"·

***

ان التهكم لم يقتصر على الافراد، بل شمل البلدان والدول ايضا· ومن هذا القبيل ما يأتي:

"اني اعرف لماذا لا تغيب الشمس عن الامبراطورية البريطانية: ان الله لا يثق بالانكليز في الظلام" (دنكان سبات)·

أتحف مائدتك بأواني نوريتكه

هذه الاواني الانيقة من الخزف الصيني الاصيل هي الاكثر مبيعا في العالم · وهي تتيح لك مجالا كبيرا للاختيار من مجموعتها الرائعة ·



Noritake

NORITAKE CO., LIMITED

1-1, Noritake-shinmachi, Nishiku, Nagoya451, Japan

للمزيد من المعلومات عن نوريتاكه، يرجى الاتصال بـ :

دبي : اشرف واخوانه هاتف ٢١٩٧٥
دبي : شركة المشاريع التضامنة المحدودة " ٢٣٢٦٥
الدوحة : ستوديو ومحلات السلام " ٢٢٥٤٠
جدة : عبد الباسط باجنيد واولاده " ٣٤٨١٤
الرياض : محلات الطرف للتجارة " ٢٨٠٤٤
الخبر : شمس الدين اشرف ٤١١٠٤

الكويت : اشرف وشركاه هاتف ٤١٢١٨٠
الكويت : محلات معتاصس " ٦١٠١٣٢
البحرين : اشرف واخوانه " ٥٣٤٥٧
البحرين : متجر المحمود " ٥٤٧٥٤

مسقط : كيمجي رامداس هاتف ٧٢٢٢٢٥
مسقط : شاه تاجارداس مكنجي " ٧٢٢٣٠١
بيروت : فوشتانا " ٣٤١٧٥٨
عمان : حنا زنانيري واولاده " ٢٣٢٢٢
طرابلس : محلات لبنة " ٤١٧٢٥
بنغازي : محمد محمد الكوافي واخوته " ٩٢٢٠٤

ابوظبي : ستوديو ومحلات السلام " ٤٤٦٤٣
ابوظبي : جنرال انتربرايزس كومباني " ٤٢٥٤٦
صنعاء : [illegible] : ٥١٥٨

"يحرق الانكليزي فراشه ليقتل برغوثا" (مثل تركي)٠

***

وعلى رغم ان امريكا - كونها امة حديثة العهد نسبيا - لم تكن عرضة للتهكم على نطاق واسع، الا انها لم تنج من بعضه٠ فقد قال الكاتب الانكليزي اوسكار وايلد: "ان امريكا اكتشفت اكثر من مرة قبل كولمبوس٠ لكنها كانت تطمس كل مرة"٠

وقال الكاتب الساخر برنارد شو: "ان الامريكي مئة في المئة هو ابله بمقدار ٩٩ في المئة"٠

وكتب توماس ريد، رئيس مجلس النواب الامريكي، عن زميلين له في مجلس النواب: "لا يمكن ان يفتح احدهما فاه من دون ان يغلق بابا من ابواب المعرفة"٠

وربما كانت سيدة واشنطن الشهيرة اليس روزفلت لونغوورث، ابنة الرئيس الامريكي السابق تيودور روزفلت، اضافت الى هذه الطرائف عندما غلفت مسندا في غرفة الجلوس في منزلها يحمل الجملة المطرزة الآتية: "اذا كنت عاجزا عن قول اي شيء حسن في احد من الناس، فاجلس هنا واتكيء علي"٠

■ **نانسي ماكفي**

كاتبة وباحثة واذاعية كندية



تقليد أصلي

في كرّاس اعلاني لمعرض لبيع اللوحات الفنية، صمم الكاتب على أن يبرهن لزبائنه أن الرسوم المقلدة التي يبيعها لا تقل جودة عن التحف الفنية الاصلية، فكتب يصفها: "انها غير قابلة للتمييز عن اللوحات الاصلية، شرط ان تقف على بعد ثلاثة امتار منها"٠

(صحيفة "دايلي تلغراف"، لندن)

غفوة سياسية

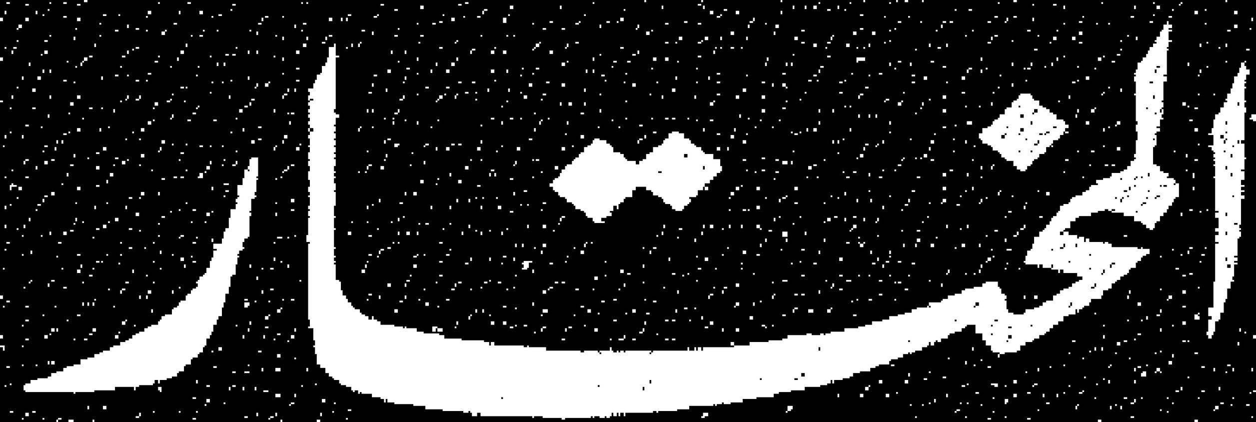
اضطرت الكاتبة البريطانية ريبيكا ويست الى سماع خطاب سياسي ممل للغاية٠ وحين طلب اليها صديق قديم كان مكلفا بتغطية الحدث من قبل الصحيفة التي يعمل فيها ان تعلق عليه، اجابت: "اشعر بأن في امكاني القول من دون ان أجانب الصواب اطلاقا اننا نمنا معا"٠

(مجلة "الشمس"، لندن)

القبعة لا تصنع ملكا

حين قدم وليم بين، أحد المؤمنين الراسخين بحركة "الكويكرز" الدينية، الى الملك تشارلز الثاني ومثل أمامه، لم يرفع القبعة عن رأسه٠ فقال له الملك: "ايها الصديق بين، من تقاليد هذا البلاط الا يعتمر اكثر من شخص قبعته في آن واحد"٠ ثم خلع الملك قبعته٠

(كتاب "حكايات بيرسي")



AL MUKHTAR

FROM READER'S DIGEST





80,000

CIRCULATION THROUGHOUT THE ARAB WORLD (O.J.D.)

[illegible]

IN JUNE 1979, THIS FIGURE
H AS SKYROCKETED TO 80,000 COPIES. WITH THIS 60% INCREASE OVER A 6 MONTH
ERIOD AL MUKHTAR IS FAST BECOMING THE ARAB WORLD'S MOST POPULAR QUALITY MAGAZINE.

CATCH IT NOW AND CONTACT FOR ADVERTISING INFORMATION



TAMAM Co. ... Paris, FRANCE, Tel. 7206 ... or :

LEBANON	FRANCE	USA	JAPAN	U.K	GERMANY
Nahim Tabet	Y Montet Jourdran	William Browning	Robert Klaverkamp	Jeffrey Galvin Wright	Titus Miller
TAMAM sal	READER'S DIGEST	READER'S DIGEST	READER'S DIGEST	READER'S DIGEST	READER'S DIGEST
P.O.Box 11-688	5 Rue du Cirque	200 Park Avenue	I.P.O. Box 5205	25, Berkeley Square	[illegible]
Beirut	75008 Paris	New York N.Y. 10017	Tokyo 100-31	London W1X6 AB	4000 Dusseldorf
Tel. 340044	Tel. 2250810	Tel. 9726126	Tel. 2844131	Tel. 6290144	Tel. 357288

Licencee: An Nahar International Publications s.a. Paris

مأساة واقعية

أنقذها الأمل

كان الامل ضئيلا في صحوة الشابة من الغيبوبة، ولم يبق لها معين سوى ايمان أحبائها الذي فجر المعجزة

كان ذلك اليوم عيد الميلاد عام ١٩٧٥، وكانت جودي ستوك في الثانية والعشرين من العمر غارقة في غيبوبتها على السرير المخصص لها في وحدة "العناية الفائقة" في مستشفى بلوات التذكاري، في ولاية ويسكونسين. وكان السرير الدولابي الشكل يتيح للممرضات ان يغيرن وضع المريضة من آن الى آخر تفاديا لاصابتها بقروح تنشأ عن ملازمتها الفراش.

وقال صديقها جيم وهو ينحني قليلا نحوها: "نهارك سعيد يا حبيبتي. كيف حالك"؟ وقد تذكرت جودي في ما بعد، انها اجابت آنذاك في قرارة نفسها ما لم تنبس به شفتاها: "أوه! يا له من سؤال سخيف، يا جيم. الا ترى بنفسك كيف انا!"

بالطبع، لم يلحظ جيم، ولا جانين والدة جودي التي كانت في جواره، اي استجابة صادرة عن المريضة السابحة في الغيبوبة. وكانت هالتان سوداوان تحيطان بعينيها الغائرتين اللتين لا تبصران شيئا، كما كان فمها مفتوحا، وذراعاها ويداها متقلصة وقد ضمت بشدة الى صدرها.

كذلك كانت هناك انابيب تخترق

اذا تزايدت شهيـّة سيارتك فجرب مجموعة جديدة من شمعات الاشعال "شامبيون"

هل يتسنى لشمعات الاشعال (البوجيات) وحدها ان تحسّن فعا استهلاك الوقود؟

بكل تأكيد، فقد اثبتت التجارب على مئات السيارات ذات المحركات ان ابدال الشمعات المرهقة بشمعات "شامبيون" الجديدة يفضي الى تحسين استهلاك الوقود وفعالية المحرك، فيجب تغيير الشمعات المرهقة مرة على الاقل كلما قطعت السيارة مسافة تراوح بين ١٢،٠٠٠ و ١٦،٠٠٠ كيلومتر،

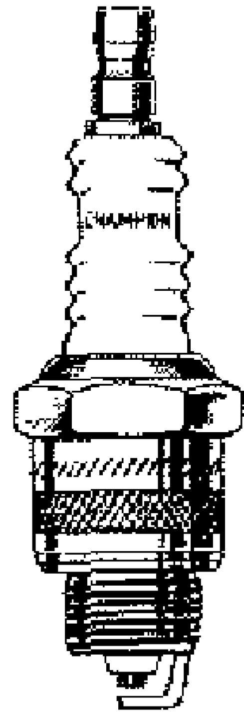
ما هو الدافع الى تغيير الشمعات المرهقة والاستعاضة عنها بشمعات "شامبيون"؟

هناك أكثر من دافع واحد:

- ان "شامبيون" هو الاختصاصي في صنع شمعات الاشعال،
- انه يصنع شمعات ملائمة تماماً لسيارتك،
- ان شمعات "شامبيون" يستخدمها معظم ابطال سباق السيارات في العالم،

وبناء على ذلك، فاذا بدا لك ان سيارتك تسرف في استهلاك الوقود، وانها اصبحت تتباطأ، فجرب مجموعة "شامبيون" الجديدة، لان من شأنها ان تكبح شهية سيارتك، وان تنشط محركها، وان تقوّي سرعتها،





البائع العالمي
رقم ١

انفها واحدى ذراعيها وجهازها البولى، كما ثقبت قصبتها الهوائية كيما يتاح لها التنفس. وقد اشارت مرسمة (الكترو سيفالوغراف) موجات الدماغ الى ان مخها مصاب بتلف بالغ.

وقد تملك جودي احساس بالانزلاق من الحياة والطفو المتنائي عن الاحباء والاعزاء.

وحملقت جانين في ابنتها المسجاة، وقالت بلهجة الوعد القاطع: "انك لن تموتي وستعودين الفتاة التى يعرفها الجميع كسابق عهدك".

الحادث المفجع ـ بعد ان تخرجت جودى فى جامعة ويسكونسين بدرجة تخصص فى علاج عيوب النطق التحقت بالدراسة العليا نصف السنوية فى اوروبا. ومساء يوم ١٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥، ذهبت الى دار الاوبرا فى مدريد ثم عادت الى غرفتها في نزل للشباب. وكان الجو باردا، فطلبت مدفأة من ربة الدار. وكان فى الجهاز خلل فأخذت تنبعث منه ابخرة اول أوكسيد الكربون السامة اثناء نوم جودي . وفي ساعة متقدمة من صباح اليوم التالي عثرت ربة البيت على جودي غائبة عن الوعى. وكان نبضها بالغ الضعف وجسدها شديد البرودة. وجاء الطبيب فحقهنا بدواء منشط للقلب، ثم بادر الى رفع حرارة جسمها فوضع عليه قارورة من الماء الساخن تقرب من الغليان، فاذا بجلدها يستجيب لذلك كما تستجيب شريحة اللحم المتجمدة اذا ما وضعت فجأة في المقلاة وقد احدثت القارورة الساخنة على الفور حروقا عميقة على بطنها وذراعيها.

وفى المستشفى حقنها الاطباء بجرعة كبيرة من الكورتيزون لخفض ورم المخ (بسبب استنشاق أول اوكسيد الكربون لمدة طويلة) مع العلم، ان هذا الورم لا يلبث ان يفضى الى وفاة المصاب. وقال في ما بعد احد الاطباء الذين اشتركوا في اسعافها: "لقد اشارت مرسمة موجات الدماغ الى حدوث تلف بالغ في مخها. وكانت الدلالة الوحيدة على بقائها حية هى التنفس".

وما ان علمت امها جانين ستوك وخالها هارولد كول بالحادث عن طريق التلفون، حتى انتقلا بالطائرة الى مدريد واتخذا الترتيبات اللازمة لاعادة جودي الى ويسكونسين من اجل معالجتها هناك. وبعد اربعة ايام اشرف الدكتور روبرت شفايغلر وفريق من المساعدين الطبيين في مدينة بلوات على نقل جودي من مطار "اوهير" فى شيكاغو الى سيارة اسعاف مزودة بتجهيزات خاصة. ويقول الدكتور شفايغلر متذكرا: "كانت جودى في غيبوبة تامة لا تبدى اى استجابة وكل علامات الحياة لديها بالغة الضعف، وكانت مصابة بحمى شديدة لعلها نتيجة التهاب رئوى، واثناء نقلها في سيارة الاسعاف الى المستشفى كنت اعجز احيانا عن قياس ضغط دمها، وكان المخاط المتجمع في حلقها يجعل تنفسها بالغ الصعوبة. وكانت حروق الدرجة الثالثة التي اصابت جسدها قد التهبت وبدأت تفوح منها تلك الرائحة الفريدة التي تشي بالمرض وكثيرا ما تقترن باقتراب الوفاة".

والحق ان الوقت كان يتقلص

واوشك ان ينفد. وقد اثبت الفحص بالاشعة اصابة جودي بالتهاب رئوي، كما ان التهاب جروحها قد بلغ درجة الخطورة. واعطاها الاطباء مضادا حيويا من نوع جديد قوي الفعالية ضد الالتهاب. وفي اليوم التالي، اجرى الدكتور الن تويمان وهو والد احدى صديقات جودي، جراحة للفتاة محدثا فتحة في قصبتها الهوائية تيسيرا للتنفس.

وطاف في ذهن جودي: "انني موجودة في المستشفى! لا بد ان شيئا بالغ السوء قد حدث لي، ولكن ماذا؟ واين؟ ربما في اسوج..."

وثبتت فائدة المضاد الحيوي لكن الطب ظل عاجزا عن الاتيان بأي شيء لاخراج جودي من غيبوبتها. وكان الامل يزداد تضاؤلا كل يوم في نفوس افراد الفريق الطبي الذي يتولى علاجها، طالما ان الغيبوبة مستمرة وان في ذلك ما يدل على فداحة التلف في مخها اشد مما ظنوا في البداية. واصبح بقاء جودي على قيد الحياة مرهونا بالعناية التامة الدقيقة للحؤول دون تكرار الالتهاب وتجنب القروح الناتجة من التزام الفتاة الفراش، وبالتحريك والتدليك على يد اختصاصي في العلاج الطبيعي لاتقاء تصلب المفاصل وضمور العضلات.

وتتذكر الممرضة بربارا هاف تلك الفترة: "لقد اسعدنا ان نعتني بجودي ولو ان الامر كان شديد الصعوبة من الناحية العاطفية، فكنا نتمنى لها الشفاء ونعمل من اجله، ولكننا كنا نعرف ايضا ان ذلك امر بعيد الاحتمال".

غير ان والدة جودي لم تشاطر احدا وجهة النظر تلك، فكانت مقتنعة بان الصلاة والمحبة والايمان ستوصل ابنتها الى شاطىء الامان والسلامة.

وثابرت الام مرتين كل يوم على زيارة جودي والتحدث اليها كما لو كانت في وعيها الكامل. وكانت تنبئها بان اناسا كثيرين يصلون من اجل شفائها، وتقرأ لها بطاقات التمنيات الطيبة الصادرة عن الاقارب والاصدقاء والغرباء، وظلت تطمئنها بقولها: "انك تتحسنين يا جودي، وحالك تتقدم كل يوم".

وكانت جودي ترد في اعماقها: "نعم يا اماه، اني اصدقك".

وحذا كل من جيم، صديق جودي، ووالدها جين وشقيقها البكر جيري وشقيقتها المراهقة جانيت، حذو الوالدة وراحوا جميعا يحاولون مخاطبة جودي بواسطة الكلمات ومظاهر الحنان. وعندما كانت جودي تشعر، احيانا، بوجود جيم وجانين الى جوارها يسري في جسدها تيار يوحي بقوة تنساب منهما اليها.

انحسار الغيبوبة - وفي اليوم السابع عشر من غيبوبتها، حدثها جيم بكلام يتدفق منه الحب، فلمحت جانين دمعة تنحدر على خد جودي فايقنت بان ابنتها تدرك الكلمات الموجهة اليها.

وكانت جودي تفكر في طوية نفسها: "لقد غبت عن جيم فترة طويلة جدا، وانا الان معه مرة اخرى يا الله! لماذا لا استطيع ان ألمسه؟"

وكانت جودي تحس بالارتباك واختلال الامور. وكانت تظن احيانا انها تتحدث مع زائريها، ولا تستطيع احيانا اخرى ان تفهم سبب عجزها

عن الاتصال بهم.
غير ان افراد الاسرة الآخرين لم يلحظوا على جودي اي تغيير. وكان ابوها جين، وهو رئيس مكتب بريد في بلدة صغيرة قريبة، يحرص في زيارتيه اليوميتين لابنته على ان يقرصها في ساقها ويحدثها ويمر بيده على جبهتها. وكان انعدام رد الفعل من جانبها يثبط عزمه ويحدث له بعض الانقباض. وهبطت عزيمة اخيها جيرى كذلك وبدأ يتساءل عما اذا كان لتلك الزيارات اي جدوى.

ولكن جانين كانت واثقة من حدوث تغير في حال ابنتها ومتأكدة من ان عيني جودى تتركزان عليها في بعض الاحيان، بل انهما قد تابعتا حركتها بالفعل ذات مرة. وكانت فتحة القصبة الهوائية تمنع جودي من اصدار اي اصوات، الا ان جانين كانت مقتنعة بان الفتاة تعبر عن مشاعرها ببريق عينيها.

وذات مساء عرض الوالدان على جودى صورة فوتوغرافية للاسرة التقطت في الكنيسة قبل سفر جودي الى اوروبا. وكان المصور استخدم خلفية بلونين، ازرق وابيض باهت، تشبه السحب. ورأى جين عيني ابنته تتركزان ويشع فيهما الضياء.

كانت جودي تفكر: "هذا امر غريب. لقد تجمعت كل تلك السحب خلف اعضاء الاسرة! لا بد انهم جميعا في السماء، ولا بد انني في السماء انا ايضا. كلا، هذا غير ممكن. انني اتذكر الان: لقد التقطت تلك الصورة في الكنيسة".

وبعد ذلك بقليل كان الدكتور تويمان ينظف الفتحة في قصبة جودي الهوائية عندما رأى الدموع تتجمع في عينيها، فافترض ان الامر ليس سوى عرض شديد من اعراض الغيبوبة.

كانت جودي تفكر: "اننا نعرف بعضنا البعض يا دكتور تويمان، ولكنك لا تحييني ابدا. لماذا تتصرف وكأنني غير موجودة؟"

كان تويمان يظن ان حال جودي "ميئوس منها"، خصوصا ان سجلها الطبى خال من اي مبرر للامل.

وفي اليوم التاسع عشر، انبأت جانين الدكتور شفايغلر بما يبدو على جودى من دلائل الوعي، وسألته عن توقعاته. ولم يشأ الطبيب القضاء على كل أمل للام، وانما منعته الامانة من الافراط في تشجيعها على الذهاب بعيدا فقال لجانين: "انني آسف، ولكن لم يحدث ان رأى اي شخص ممن يعتنون بجودي اي تحسن في حالها".

واوشك الشك ان يتملك جانين للمرة الاولى، ولم تستطع ان تبقى مع ابنتها اكثر من بضع دقائق في عصر ذلك اليوم. ولكن ايمانها عاودها بعد ضعف ذلك اليوم، وايقنت ان جودي تعلم ان الاشخاص الذين يحبونها يحاولون ان يتحدثوا اليها.

وقرابة اليوم الخامس والثلاثين، قالت جانين للممرضة ان عيني جودي قد اصبحتا اكثر تعبيرا وانها ترد على الضغطات على يدها بضغطات مماثلة، ولكن الممرضات جميعهن ظللن يجدن ان جودي لا تبدي أي رد فعل، وان كنّ قد لاحظن ظهور دموع في عينيها ولكنهن لم يجدن في ذلك اى مغزى يُعتدّ به.

وكانت جودي تفكر: "لا تفعل ذلك، انه شيء مؤلم".

وبعد عشرة ايام، تقرر اغلاق الفتحة في قصبة جودي الهوائية، فجاءت جانين وجاء جيري شقيق جودي الاكبر الذي كان انقطع عن زيارة شقيقته في المستشفى طوال اسابيع. وعندما نظر جيري الى جودي، احس بان شيئا ما يحدث في داخل نفسها، ولكنه لم يستطع تحديده.

وعاد لزيارتها في اليوم التالي، وضغط على يدها فأحس بما لا يدع مجالا للشك بانها ترد الضغطة. وأحس بانها تريد الكلام لكن فمها لا يطاوعها، فراح خلال الايام التالية يقرأ ما يجده في مؤلفات المكتبة عن امراض النطق، محاولا ان يتعلم طريقة لمعاونة شخص مصاب بتلف في الدماغ على استعادة القدرة على التكلم.

وفي اليوم السابع والاربعين اجري لجودي فحص جديد بمرسمة موجات الدماغ من دون ان تتكشف عنه اي نتيجة مشجعة لاختصاصي الاعصاب الذي اجرى الفحص. وقد نقلت السكرتيرة الطبية بعد ذلك الى جانين ما قاله لها الطبيب: "لم يبق هناك سوى شيء واحد يشفع بجودي، هو ايمان اسرتها".

وفي اليوم التالي جاء جيري واقترب من سرير جودي وفي يده كتاب عن علاج الصوت، وقال لها: "لقد درست ما في هذا الكتاب، فعليك ان تباشري تدريب اوتارك الصوتية. وسنتناول بعض حروف اللين، واولها "الواو". راقبي شفتي، ثم ازفري حرف "و".

وفكرت جودي، متوهمة انها تتكلم: "أوه يا جيري، انني استطيع نطق حروف لين، فلماذا تريدني ان الفظها، انني قادرة على الكلام".

ولكنها حين وجدت ان اخاها يكرر لفظ الحرف بدأت تتساءل عن سبب الحاحه، كما لو انها قد اعادت اللفظ بعده بالفعل.

وخلال الايام القليلة التالية، رأى جيري فم جودي يتحرك بجهد يبدو متعمدا. وكان واثقا من انها تخرج من فمها اصوات لين لا تكاد تسمع.

واصبح كل من جانين وجيم مقتنعا كذلك بان الغيبوبة قد بدأت تنحسر.

وفي اليوم التاسع والاربعين، سأل جيم جودي: "هل تريدين قليلا من الماء؟" فلم يلق جوابا، وعاد يقول: "اغمضي عينيك مرة واحدة اذا كنت لا تريدين ماء، وارمشي بهما مرتين اذا كنت تريدين". فرمشت جودي بعينيها مرتين.

وفي اليوم الثاني والخمسين زار جيم ابنته اثناء وقت الغداء، وقرصها في ساقها كالمعتاد.

وفكرت متوهمة انها تتكلم ايضا: "بالله يا ابي لا تفعل ذلك، فقد مللته".

وحياها جيم قائلا: "مرحبا يا جودي، كيف حالك؟"، فحاولت ان ترفع رأسها. فتغير شكل فمها، وسمع ابوها منها شيئا يشبه: "آي ها." واقتنع الرجل بانها تحاول ان تقول له: "مرحبا يا ابي"، فانتشى بالابتهاج.

وخفض جيم وجهه وقال: "جودي، المسي وجه ابيك"، فرأى يدها

ترتعش، وانها تريد تنفيذ رغبته.

انها تتكلم ـ وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، دخلت الممرضة بربارا هاف غرفة جودي، وقالت كعادتها: "صباح الخير يا جودي، لقد جئت لاقيس ضغطك".

وبينما كانت الممرضة تلف شريط جهاز قياس الضغط حول ذراع جودي، نظرت الفتاة في عينيها وقالت: "صباح الخير".

وفوجئت الممرضة هاف، فوقع الجهاز من يدها، وخرجت مسرعة الى الممر تعلن صائحة: "انها تتكلم! انها تتكلم"!

وتجمعت الممرضات حول جودي يقدمن اليها انفسهن وهن يتطلعن اليها فى رهبة. ورأينها للمرة الاولى تركز عينيها وتتحدث. كان صوتها ضعيفا وكلماتها غير واضحة متسمة بالرداغ (الادغام) ولكن ذلك لا يهم فقد افاقت جودي من غيبوبتها.

ولم تستعد جودي صحتها على نحو مباشر وتام، فكانت تتعب بسرعة وتغرق فى فترات من الصمت والحملقة فى الفراغ. وكانت ضعيفة، هزيلة، اذ انخفض وزنها الى ٣٦ كيلوغراما، كما كانت الامور تختلط عليها في كثير من الاحيان، وظل انسب الاوضاع لها واكثرها راحة هو الوضع الذى تكون فيه ذراعاها ويداها مضمومة الى صدرها.

وفى منتصف شهر فبراير (شباط) نقلت جودي الى مركز قريب لعلاج الاعصاب واعادة التأهيل حيث شخصت حالتها على انها "تعاني تقلصات وشللا رباعيا"، وان درجة

الذكاء لديها لا تزيد على ٨٥ وهو دون مستوى ذكائها الطبيعي بـ٣٥ درجة تقريبا٠

ثم بدأ الكفاح كي تستعيد جودي قدراتها السابقة٠ وابدت الفتاة طاقة مدهشة على التعافي٠ ففي زهاء شهرين خرجت من المركز سيرا على قدميها باعتبارها مريضة قد شفيت تماما٠ بيد انها كانت لا تزال تعاني مقدارا من عدم الاستقرار العاطفي وتنتابها احيانا نوبات لا تفسير لها يختلط فيها البكاء بالضحك، ولكن هذه الاعراض اختفت بمرور الوقت وزيادة ثقة جودي بنفسها وعودة قدراتها العقلية الى سابق عهدها٠

وفى نهاية العام، تبادل جودي وجيم المشاعر العاطفية وتناولا بالحديث مستقبل كل منهما، وقررا ان يذهب كل منهما في سبيله٠

وتعمل جودي الان اختصاصية في علاج عيوب الكلام في هيئة التعليم فى مدينة بلوات كما عملت ايضا مع مرضى الشلل فى احدى الدور المحلية للنقاهة٠

وكان شفاء جودي مصدر الهام وتشجيع للآخرين٠ وقال لها مريض مصاب بشلل جزئي: "اذا اصبحت كما انت الان بعد غيبوبة استمرت ٥٣ يوما، فانني اعتقد ان في استطاعتي انا ايضا ان اتغلب على مرضي"٠

■ جوزف ب٠ بلانك

ملاحظة من المحرر: ليس هناك تفسير لفترات الوعي التي كانت تحدث لجودي اثناء غيبوبتها العميقة والتي تكشف عن الاعراض التقليدية للتلف الشديد في الدماغ٠ اما ذكريات جودي عن الافكار التي راودتها خلال فترات الوعي هذه، فقد بدأت تتجلى لها بعد خمسة اشهر تقريبا من صحوتها٠



الهموم تفوق الوقت

اخصص عادة نصف ساعة يوميا لهمومي، وذلك خلال اغفاءة ما بعد الغداء٠

ك٠غ٠

من حسنات عدم المعرفة

اثناء سفرة بالطائرة الى مدينة فينكس الامريكية، صادف ان جلست الى جانب رجل فرنسي٠ وفيما تهيأنا للاقلاع، أخذت المضيفة توجه الاسئلة التقليدية: هل يرغب أحد في الحصول على مجلات؟ من يريد وسادة يتكيء عليها؟ هل يحب احد خلع معطفه لتعليقه؟ هل يود أحد حفظ حقيبته؟ وكان الفرنسي يجيب عن كل سؤال بايماءة من رأسه٠ لذا سرعان ما كان يتكيء على الوسادة وأمامه مجموعة المجلات، بينما تولت المضيفة تعليق معطفه وحفظ حقيبة يده٠

وبعد قليل مرت من أمامنا، وسمعت الرجل يتبادل الحديث بالفرنسية مع زملائه في الصف الخلفي٠ فدهشت وسألته: "الا تتكلم الانكليزية يا سيدي؟"

وهنا اخرج الفرنسي دليلا لغويا للسياح من جيبه، واخذ يقلب صفحاته حتى عثر على المطلوب، فأجاب المضيفة بثقة عجيبة بنفسه: "بلى، بالتأكيد"٠

و٠ب٠

إنتاج اكثر بجهد اقل

نقدم هنا الى القارىء العربي نصائح خبير اختصاصي في شؤون الادارة، لعله يكتشف عبرها ان لديه من الوقت والطاقة مالم يخطر له من قبل

اكثر الناس يعملون فوق طاقتهم للحصول على ما تتيح الحياة من منافع. وعندما خطرت لي هذه الفكرة سألت نفسي: "كيف يمكنني ان احقق اعظم عائد مما استثمر من وقت وطاقة؟" وقد اوتي بحثي ثماره، فرحت انظم، منذ سنوات، حلقات دراسية حول الافادة من الوقت على نحو أفضل.

يمكن القول بكل بساطة، ان تطويرك لفعاليتك يشبه لعب الغولف، ففي هذه اللعبة رقم قياسي نظري للاصابات، وهو نظري لان احدا لا يمكنه تحقيقه. لكن هذا لا يثني هواة الغولف عن محاولة تحسين ادائهم.

فاذا اردت ان تنجز الكثير من العمل بمقدار اقل من الجهد، فعليك ان تنظر الى المسألة نظرة لاعب الغولف.

☐ **حدد لنفسك اهدافا يومية**

ضع قائمة يومية بأعمالك ولتكن هذه عادة ثابتة كتنظيفك لاسنانك بالفرشاة. فمن المؤكد ان اقل جهد تبذله في هذا المجال سيعود عليك بأضعاف مضاعفة من الفوائد. وتذكر في هذا الصدد قول ثورو: "لا يكفي ان يكون المرء مشغولا بل ان السؤال المهم هنا هو: ما هي المهمات التي تشغلنا؟".

ومن النصائح التي قدمها خبير استشاري الى مدير تنفيذي كان يبحث عن الطرق التي تمكنه من تحسين استغلاله لوقته، ما يأتي: "حدد اهم ستة اعمال عليك ان تضطلع بها غدا وسجلها ورتبها عدديا بحسب اهميتها. وليكن اول ما تفعله صبيحة الغد ان تنظر في البند الاول وان تبادر الى العمل فيه حتى تنتهي

Omega. For those who value time.

أوميغا للذين يقـدّرون الوقت

Ω
OMEGA



Omega Seamaster, ST 396.0838, quartz movement, stainless steel with bezel and «quartz» seal in 14 ct. gold, sapphire crystal.

Omega Seamaster, ST 398.[illegible], quartz movement, stainless steel, sapphire crystal.

اشتر فقط من وكيل أوميغا الرسمي واطلب كتيب الكفالة الدولية .

منه. ثم انتقل الى البند الثاني، وهلم جرا حتى يحين موعد الانصراف من مكان العمل. ولا تبال اذا لم تتمكن من انهاء جميع البنود. واذا لم تستطع ان تحقق ذلك بهذه الطريقة فلن تجديك اي طريقة اخرى. حاول اذا ان تطبق هذا النظام كل يوم". ولقد وصف المدير التنفيذي هذه النصيحة بأنها انفع ما اسدي اليه على الاطلاق.

□ احسن استغلال افضل اوقاتك

فى امكانك زيادة انتاجك بجهد اقل اذا انت خصصت لاعمالك المهمة ذلك الجزء من اليوم الذي تزداد فيه فعاليتك. فبالنسبة الى معظم الناس، لعل انسب الاوقات لعمل يتطلب الصفاء الذهني والتركيز هو ما قبل التاسعة صباحا، في حين ان العمل الذى يتطلب الاختلاط بالناس فينبغي ان يرجأ الى وقت اخر من اليوم.

ولى صديق حميم يتعذر عليه القيام بأى نشاط قبل الثالثة عصرا. لكن عمله فى الاذاعة يمكنه، لحسن الحظ، من استغلال وقته ليلا ابتداء من العاشرة حتى الثانية صباحا.

وفى امكانك ان تكتشف افضل اوقاتك بالنسبة الى عمل معين عن طريق التجربة والخطأ. فانني عندما بدأت العمل ككاتب كان من عادتي ان التقط القلم واحاول الكتابة في اوقات مختلفة من اليوم. واكتشفت ان افكارى في الصباح كانت جيدة وان يكن من الصعب كتابتها، وان الساعات الاولى بعد الظهيرة هي افضل اوقاتي من حيث الانتاجية. وقد حملني ذلك الآن على ان احدد الموضوعات التي اريد ان اتناولها في الصباح مكتفيا بتسجيل افكاري كيفما اتفق، وارجىء الكتابة النهائية الى ما بعد الظهيرة.

□ حاول ان تستغل اوقاتك المشغولة

في امكانك احيانا ان تستغل اوقاتك المخصصة للاعمال اليومية الروتينية في اداء اعمال اضافية. والمثال على ذلك، ان لي صديقا يعد درجة جامعية في ادارة الاعمال، وهو يسجل المذكرات التي دونها اثناء المحاضرات على كاسيت ويستمع اليها لدى ارتدائه ثيابه او قيادته سيارته فى طريقه الى العمل. ولي صديق اخر يعمل بائعا، وهو يستغل الوقت الذي تستغرقه تنقلاته في حفظ اسماء عملائه واهم المعلومات التي تتعلق بكل منهم.

ومن الاوقات المشغولة والتي كثيرا ما نهمل استغلالها، اوقات الانتظار. ولكن من الممكن ببعض الجهد جمع كثير من الانشطة في حدود الدقائق التي تنتظر فيها الطبيب او الحلاق. فى امكانك عندئذ ان تخطط لعطلة نهاية الاسبوع او تكتب رسالة. بل وفى امكانك ان تفكر على سبيل المحاولة والاستكشاف، في مشروع مهم كأن تخطط مثلا للمسكن الذي تحلم به او تضع تصميما للرواية التي تتمنى كتابتها.

□ حاول ان تفرق بين ما هو عاجل وما هو مهم

قلما اجتمع هذان العنصران في حياتنا اليومية. فاصلاحك لاطار السيارة، مثلا، وانت على موعد لهو امر عاجل، الا انه في معظم الاحيان شأن ضئيل الاهمية. وكثير من الناس ينفقون اعمارهم، لسوء الحظ، في اداء اعمال عاجلة كاصلاح اطار السيارة في المثال السابق، ويهملون

الامور التي قد لا تكون عاجلة وان تكن عظيمة الاهمية.

فاذا كنت تواجه عددا من المشكلات، اسأل نفسك عن الاهم بينها، وخصص لها الاولوية من اهتمامك. اما اذا سمحت لما هو عاجل بالتحكم في وقتك وجهدك، فان حياتك تنتهي الى سلسلة من الازمات. عليك اذا ان تستخدم مقدارا من بعد النظر بحيث تتخذ من الخطوات ما يحول دون المشكلات المحتملة. فبهذا يمكنك ان تنفق وقتك في تحقيق اهدافك بدلا من مجرد الاستجابة للازمات.

□ عليك باتقان فن الاداء المكتبي على احسن وجه

كثيرون منا يؤدون بعض اعمالهم او جميعها وهم جلوس الى مكاتبهم. والواقع، ان المكتب اداة تساعد على تدقيق المعلومات وتصنيفها، وليس هو المكان المناسب للبحث عن الاوراق او اختزانها او لتكديس الموضوعات التي تريد ان تتذكرها. ولقد حدث ان راقب احد الخبراء في شؤون الادارة موظفا تراكمت على مكتبه الاوراق، واكتشف ان هذا الموظف ينفق في اليوم الواحد قرابة ساعتين وتسع عشرة دقيقة في البحث عن المعلومات على مكتبه!

وما معظم المكاتب في الحقيقة سوى مدافن للقرارات. حاول اذا ان تراعي تنظيم مكتبك لتحقيق المزيد من الفعالية، كأن تسأل نفسك: "ماذا عساه يحدث في اسوأ الحالات، اذا انا القيت بهذا في سلة المهملات"؟ فاذا لم تشر الاجابة الى اي عواقب ذات شأن، لا تتردد في القاء ذلك الشيء في سلة المهملات.

□ تعلم ان تقول "لا"

يتوقف النجاح في خفض وقت العمل وزيادة كمية الانتاج على معرفة ما لا ينبغي عمله. ان الالتزام بالمهمات التي تتجاوز الطاقة هو احد الطرق الشائعة للتقليل من الكفاية. ومن الاسف ان يكون كثيرون منا لا يعرفون كيف يرفضون ما قد يطلبه الآخرون من وقتهم وطاقتهم. ومن الاسباب التي تحملنا على الاستجابة لمطالب هؤلاء اثنان: الاول، اننا نخشى ان يسيء الاخرون تقديرنا. والثاني، ان في طلب المساعدة ما يتملقنا ويمنحنا شعورا بالقدرة، مع ان التلبية في اي من الحالين لا بد ان تضر بمصالحنا.

ولا ينبغي ان يساء فهمي هنا: فانا لا انادي بالامتناع عن مساعدة الآخرين ولكنني اعني تلك المناسبات التي نستجيب فيها لطلب المساعدة في حين ان في امكاننا ان نستغل وقتنا على نحو افضل.

فاذا شئت ان تقول "لا"، حاول ان تقولها بسرعة وعلى نحو مباشر. ذلك ان الاجابات مثل "لا ادري" او "دعني افكر في الامر"، من شأنها تشجيع الآمال الكاذبة. ولا تعتبنّ على نفسك اذا قلت "لا"، فهذا من حقك، ولست مطالبا بان تقدم مبررا لذلك كلما رفضت طلبا بأدب.

□ استخدم التلفون

في استطاعة التلفون ان يكون اداة ممتازة للاقتصاد في الجهد. فهو يمكنك من الحصول في بضع دقائق على معلومات تتطلب اسابيع او اشهرا عن طريق المراسلة. كما انه يتيح لك الاقتصاد في ما تنفقه من وقت ومال في التنقل والسفر. لكنه،

قسيمة اشتراك

اشترك في المجلة التي يقرأها أكثر من ١٠٠ مليون في ١٥ لغة

املأ هذه القسيمة وارسلها مرفقة بالقيمة المطلوبة الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً.

الأسم .... NAME
العنوان .... ADDRESS
....
....
المهنة .... PROFESSION
التوقيع .... SIGNATURE

أود الاشتراك في "المختار" لمدة سنة كاملة
أرفق قسيمة إشتراكي بشيك مصرفي بأسم:

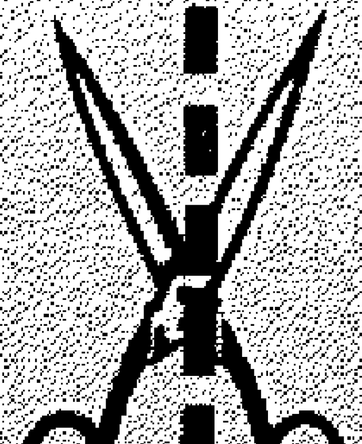
AL MUKHTAR min Reader's Digest

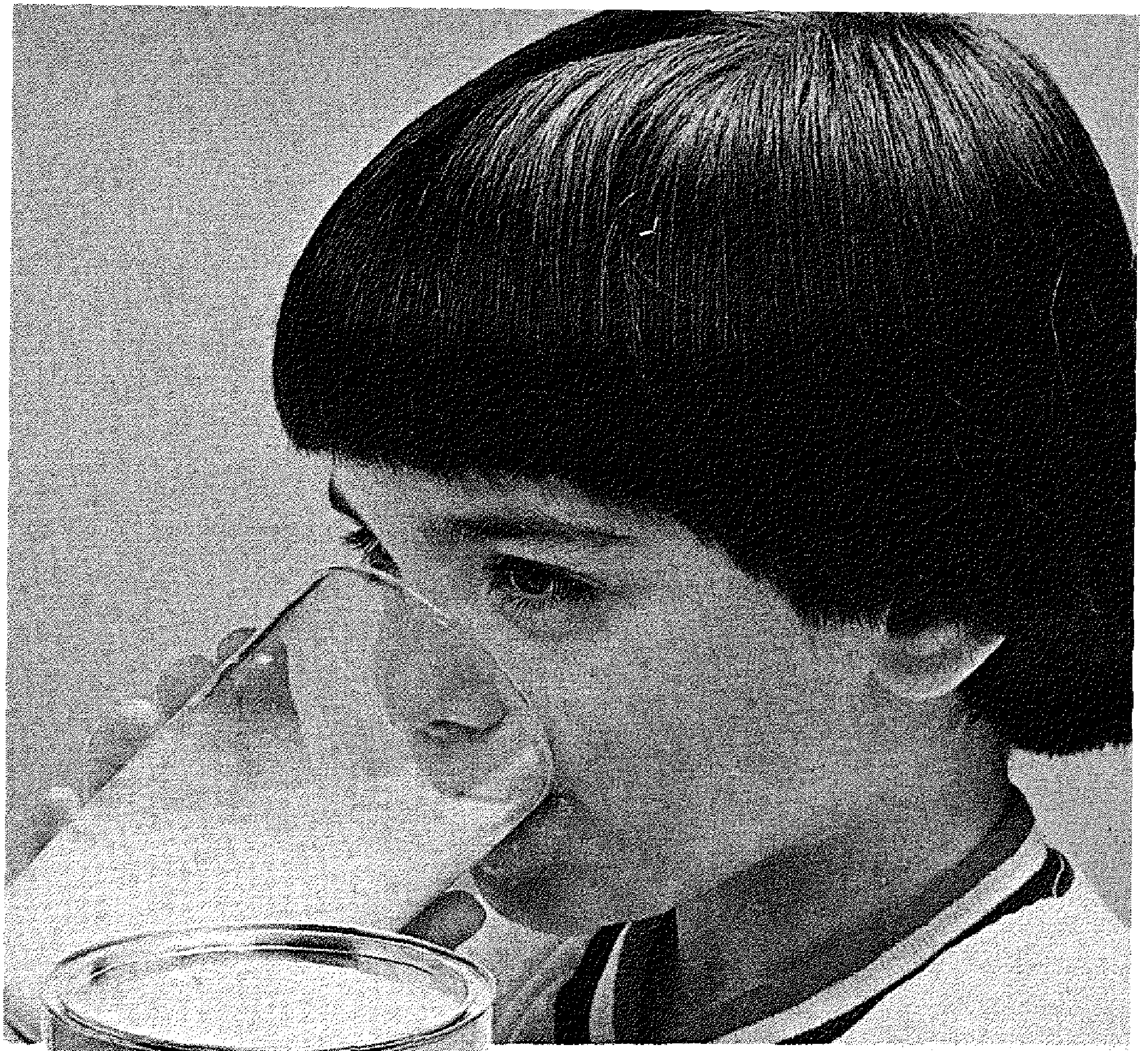
قيمة الاشتراك السنوي بما فيه بدلات الارسال الجوي:

- ☐ أوروبا وشمالي افريقيا — ٢٢ دولاراً أمريكياً
- ☐ البلدان العربية — ٢٥ دولاراً أمريكياً
- ☐ الولايات المتحدة - كندا وامريكا الجنوبية — ٢٧ دولاراً أمريكياً
- ☐ أوستراليا والبلدان الأخرى — ٣٠ دولاراً أمريكياً

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE





INSTANT

NIDO

Nestlé

نيدو نستله

حليب كامل الدسم مجفف

Full cream powdered milk

Lait entier en poudre

يدو السريع الذوبان
بنعم أولادكم بالعافية والصحة

ن تناولهم ، كل صباح ، كوبًا من حليب
يدو النقي والصافي يبدأ أولادكم نهارًا
مليئًا بالحيوية والنشاط .

يدو السريع الذوبان يؤمّن لأولادكم خلال
مراحل نموهم ، معظم العناصر الغذائية
ي تحتاج اليها اجسامهم .

يدو السريع الذوبان ... لذة طعم الحليب
طازج يشربه أولادكم بشهية ويتمتعون
عافية .

يدو السريع الذوبان
صحة كافة أفراد العائلة

NESTLE تضمنه نستله

مع ذلك، قد يتحول الى داء يؤدي الى تبديد مريع للوقت والطاقة والمال. فكثيرا ما يقطع علينا رنين التلفون ما نحن فيه من عمل، حتى اننا اذا ما استقبلنا المكالمات التلفونية، كلما وردت، اضطررنا الى قطع اعمالنا وعدم اتمامها في اوانها. فلا بد اذا من تجنب هذا الوضع، بتحديد فترة من اليوم لاستخدام التلفون واستقبال المكالمات. وافضل الاوقات بالنسبة الى معظم الناس هي فترة الصباح حيث يرجح وجود الناس في مكاتبهم. ويمكنك ان تشتري ساعة رملية محددة بثلاث دقائق وتضعها الى جوار آلة التلفون فتساعدك في تخصيص ثلاث دقائق فقط لكل مكالمة. ولا تتعجل الامر اذا لم توفق، بل استمر في التجربة وسجل الوقت الذي تصرفه في كل مكالمة، وحاول ان تخفض مدته كل اسبوع.

□ تخلص من المشاعر التي تقضي على الفعالية

تصوّر نفسك انك خزان للوقت والطاقة، وان هذين في حال من السيولة. عندئذ تكون المشاعر السلبية بمثابة الثقوب في قاع الخزان. فبمقدار ما تتمكن من سد الثقوب يتوافر لديك من الوقت والطاقة ما يكفي لانجاز مهماتك الاساسية.

ويعد الشعور بالذنب من اسوأ الاحاسيس السلبية ازاء العجز عن زيادة الانتاج. فليس من شأن الندم والاسف، وما الى ذلك من مشاعر، ان تغير الماضي بل انها قمينة بأن تزيد الامر صعوبة في الحاضر.

ويحضرني في هذا الصدد دعاء رأيته معلقا في احد المحلات التجارية. وهو حري بأن يعلمنا كيف ننظر الى هذه الامور نظرة سليمة. وقد جاء فيه: "الهي، ليس هناك متسع من الوقت لعمل كل شيء. فأعنّي على انقاص عملي قليلا وعلى تحسينه قليلا". وهناك شعور سلبي عقيم اخر، هو القلق في ما يتعلق بالمستقبل. وقد يجدر هنا ان نردد ما قاله مارك توين: "لقد عرفت كثيرا من المشكلات، لكن معظمها لم يحدث".

واليك بطريقتين للتخلص من القلق: عليك اولا ان تواجه المشكلات على نحو مباشر. واسأل نفسك دائما: "ما هي اسوأ النتائج المحتملة المترتبة على هذا؟" فاذا اجبت عن هذا السؤال، زال القلق. وحاول ثانيا ان تبدل القلق بالتخطيط للعمل. حدد لنفسك اهدافا ذات مغزى وامض في سبيلك اليها فسرعان ما تشغلك متابعة هذه الاهداف عن القلق الذي ينتابك.

ان التخلص من المشاعر السلبية جدير بأن يجعل منك انسانا جديدا. فلسوف تجد فجأة ان لديك من الوقت والطاقة والكفاية ما لم يخطر في بالك من قبل. وليس اصوب في هذا الصدد من حكمة موجزة لفيلسوف مجهول "اغلب الظلال في هذه الحياة ناتج من وقوف المرء في النور المتاح له".

■ **ميخائيل لوبوف**

أكبر جميل يمكننا ان نؤديه للآخرين ليس ان نعطيهم من خيراتنا، بل ان نبيّن لهم خيراتهم.

لويس لافيل

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.

بنك الكويت الوطني البنك الذي نما مع الكويت لتلبية التطور الاقتصادي والانمائي.

بنك الكويت الوطني يقوم بجميع الخدمات الاقتصادية والتجارية والاستشارات المصرفية.

بنك الكويت الوطني شبكة من المراسلين في جميع انحاء العالم. قبل ان تقدم على اي عمل في الكويت او في الخليج استعمل المفتاح الذهبي واستشر جهازنا المصرفي العالمي.

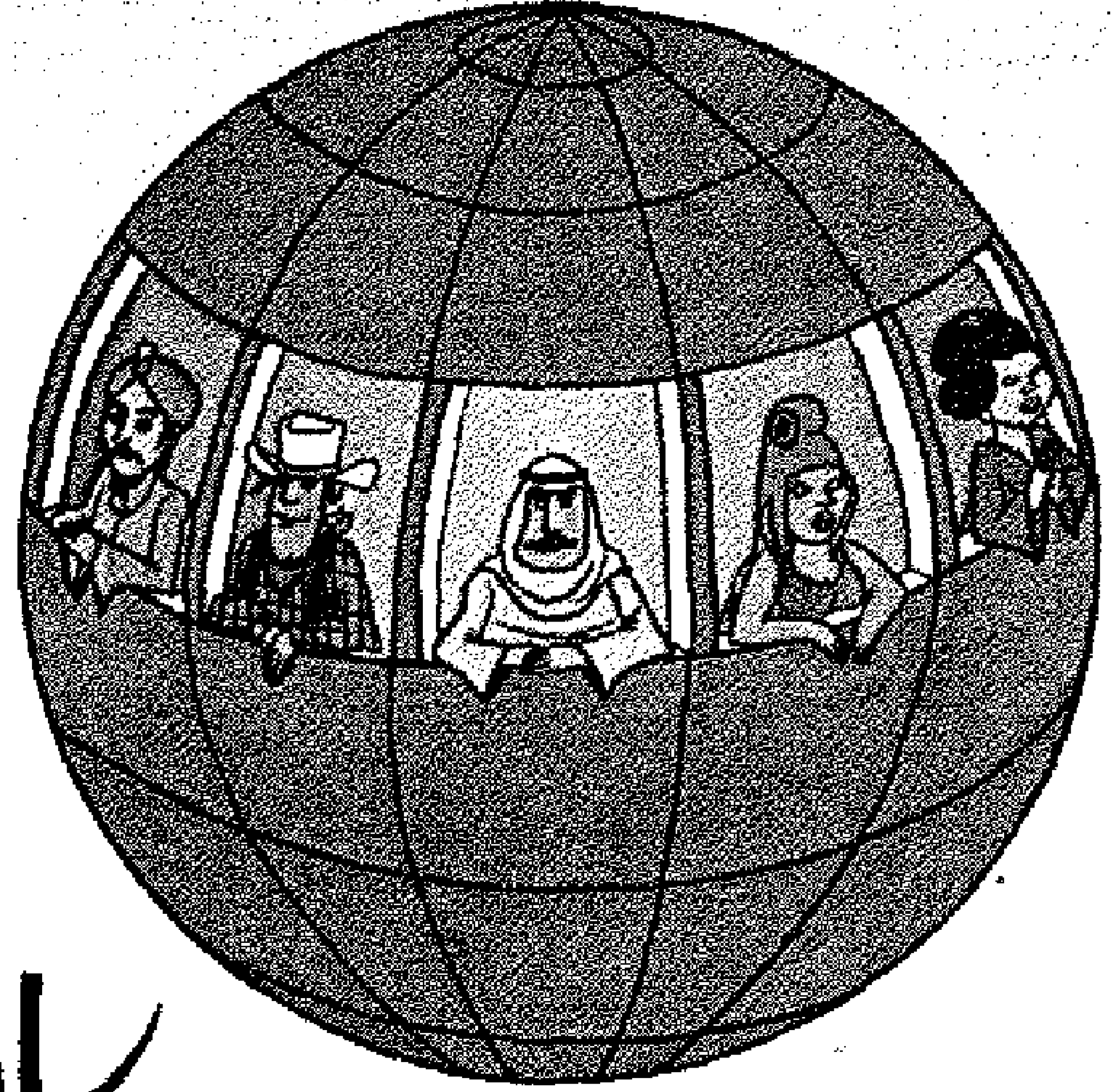
القسم المصرفي الاستثماري والتجاري
تلفون ٤٢٣٠١١، تلكس ٣٠٤٣/٢١٥١/٢٧٠٤ كويت،
قسم السوق المالي، تلفون ٤٤١٠٠٨/٩،
تلكس ٣٢٢٧/٣٣٢٧ كويت.



بنك الكويت الوطني ش م ك

ص.ب ٩٥، تلكس ناشيونال ٢٠٤٣ كويت، تلفون ٤٢٣٠١١ (الفرع الرئيسي)
دينار كويتي = ٣٫٦٨ دولار في ٣١ ديسمبر ١٩٧٨
الموجودات تفوق ٣٫٨ بليون دولار

Graphics-McCann



حكايات صغيرة من العالم

اسنان وبنادق

نشرت صحيفة "سيلسكايا جيزن" (حياة الريف) السوفييتية تقريرا في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨ يفيد بعدم توافر فراشي تنظيف الاسنان في بعض اجزاء سيبيريا. ونصحت بفراشي بنادق الصيد.

(وكالة الصحافة الفرنسية)

نيويورك عاصمة العالم

تكفي مراجعة قائمة الصحف الصادرة بلغات غير الانكليزية في مدينة نيويورك لاقناع من لم يقتنع بعد بأن هذه المدينة ملتقى جميع الاجناس. ففيها تصدر صحف ومجلات يومية واسبوعية خاصة بالالمان والطليان. والاسبان والاوكرانيين واللاتفيين واليونانيين واللتوانيين والنروجيين والعرب (اضافة الى صحف خاصة باللبنانيين) والفرنسيين والمجريين واليابانيين والصينيين والروس والسويديين.
وتعد صحيفة "فرانس - اميريك، بريد الولايات المتحدة" التي تصدر بالفرنسية اقدم هذه المطبوعات جميعا. فقد تأسست عام ١٨٢٧، اي قبل تأسيس صحيفة "النيويورك تايمس" بأربعة وعشرين عاما.

ت.ك.

كم يعيش الياباني؟

يستطيع الياباني التفاؤل بانه سيعيش اكثر من ابناء الشعوب الاخرى. فحسب تقرير صدر عن وزارة الصحة والرفاه اليابانية عام ١٩٧٧، كان متوسط عمر الرجل الياباني ٧٢،٦٩ سنة ومتوسط عمر اليابانية ٧٧،٩٥ سنة.
والمذهل في هذه الاحصاءات ان متوسط العمر لكل اليابانيين لم يتجاوز ٥٠ سنة قبل ثلاثين عاما فقط.

ل.س.

تطوّر

استمع مجلس اللوردات البريطاني الى شكوى تتعلق بخدمات البريد من لندن الى باريس. فقد ادعى اللورد بويد - كاربنتر

ان وصول الرسالة يستغرق ١٢ او ١٣ يوما. وأضاف: "وهذا يعادل ضعفي الوقت الذي كانت تصل فيه قبل الثورة الفرنسية".

(مجلة "اويك")

لعنة الرقم ١٥

يعد فندق "قصر قيصر" (سيزار بالاس) في لاس فيغاس واحدا من الفنادق القليلة التي تحتفظ بالرقم ١٣ لطابقها الثالث عشر، على رغم اثارته للشؤم. لكن هذا الفندق المبني على الطراز الروماني يخلو من غرف للزوار في الطابق الخامس عشر الذي لا يضم الا منتجعاً. ويبدو ان الادارة تتطير من ١٥ مارس (آذار) لانه تاريخ اغتيال يوليوس قيصر.

(ا.ف.ب)

خدمات للعزّاب

شرع بعض المؤسسات في تقديم الخدمات الى العزاب المشغولين الذين لا يجدون الحافز او الشريك لاداء الاعمال المنزلية اليومية.

ففي مدينة اوستن في ولاية تكساس الامريكية، يدفع الاعزب ثمانية دولارات عن كل ساعة عمل لمالكة احدى مؤسسات الخدمة، شيرلي نيتل. ومقابل ذلك، تتولى المؤسسة شراء البضائع التي يحتاج اليها الزبون لمدة اسبوعين، واستلام بريده ووصفاته الطبية وشراء ملابسه وتذكيره بمناسبات الزواج واعياد الميلاد وغير ذلك مما يحتاج اليه الزبائن، ومعظمهم عزاب.

(مجلة "نيوزويك")

للصبر حدود

تستطيع الجمال، ان تكبت غيظها المتصاعد تجاه الانسان حتى تنفجر فجأة في موجة هياج مسعور. وحين يشعر الجمّال بدنو هياج بعيره، يلقي رداءه امام البعير الذي يفرغ سخطه فيه فيسحقه تحت اقدامه ويوسعه عضا ويمزقه اربا حتى يشعر بالارتياح. وعند ذاك يستأنف الحيوان ومالكه صحبتهما في انسجام.

(كتاب "طبيب الحيوان")

كيلومترات البيرة

يفيد تقرير وضعه احد ابرز الداعين الى تحريم المسكرات بان سكان جزيرة غرينلاند، وهم خمسون الفا يعيشون في ظروف مناخية سيئة جداً، استهلكوا ٣٠ مليون علبة بيرة خلال سنة واحدة. وبين توماس بيرتلز، وهو عضو في منظمة الصليب الازرق المعارضة للمسكرات، ان متوسط ما استهلكه كل من ابناء غرينلاند عام ١٩٧٦ بلغ نحو ٥٨ غالونا.

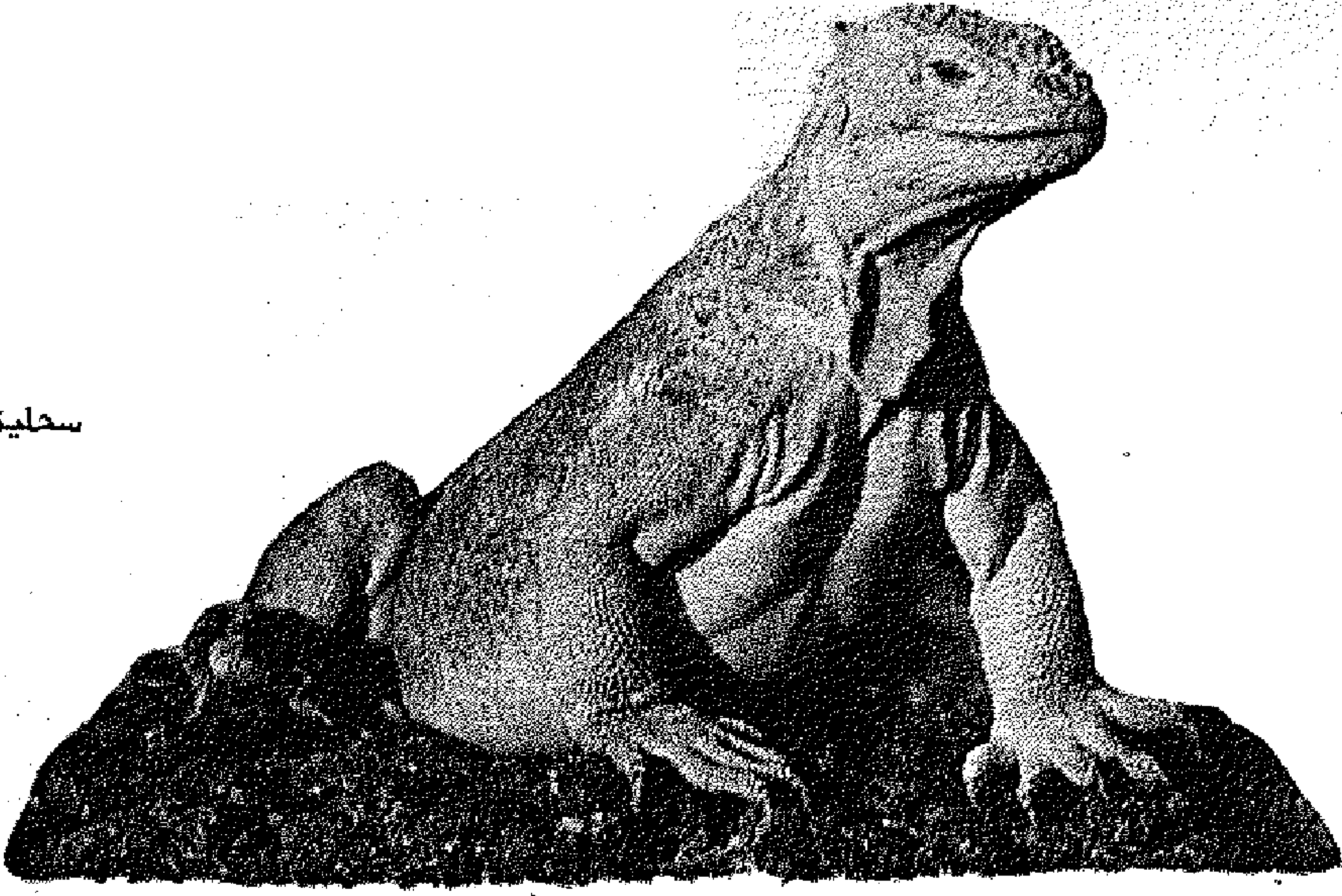
ولكي يظهر بيرتلز ضخامة الكمية المستهلكة، ختم تقريره بالعبارة الآتية: "لو صُفّت علب البيرة الفارغة، لشكلت خطا يمتد على طول الجزيرة البالغ ٢٥٠٠ كيلومتر".

(رويتر)

دراجة للرئيس

في منطقة نائية جنوب المحيط الهادئ تقع "توفالو"، وهي مجموعة جزر مرجانية كانت تسمى سابقا "جزر ايليس". وحين منحت بريطانيا الجزر استقلالها في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٨، قدمت وزارة الخارجية البريطانية الى رئيس وزراء توفالو هدية تقليدية هي سيارة تقله عبر الامتار القليلة التي تفصل مسكنه عن البرلمان. ولما كانت الجزر تخلو من الطرق بالمعنى الدقيق، فقد ابلغ رئيس الوزراء وزارة الخارجية البريطانية، بأسلوب مهذب للغاية، ان السيارة لن تكون ذات نفع، طالبا ابدالها بدراجات هوائية، وقد حصل على ما اراده.

(صحيفة "الغارديان"، لندن)


سحلية استوائية٠

مجموعة جزر نائية في المحيط الهادىء انقذت من عبث الانسان، فاصبحت مكانا مدهشا للتطور الطبيعي

مختبر الطبيعة في جُزر الغلاباغوس

ظهرت جزيرة سان كريستوبال، وهي واحدة من جزر الغلاباغوس الاسطورية، وبدأت معالمها تتضح لاعيننا ونحن ننظر اليها من طائرة سلاح الجو الاكوادوري من طراز "دي سي - ٩"٠ لكن ما شاهدناه لم يكن قطعة من فردوس البحار الجنوبية، وانما كان قفرا يبابا من الصخور البركانية الوعرة الجرداء٠

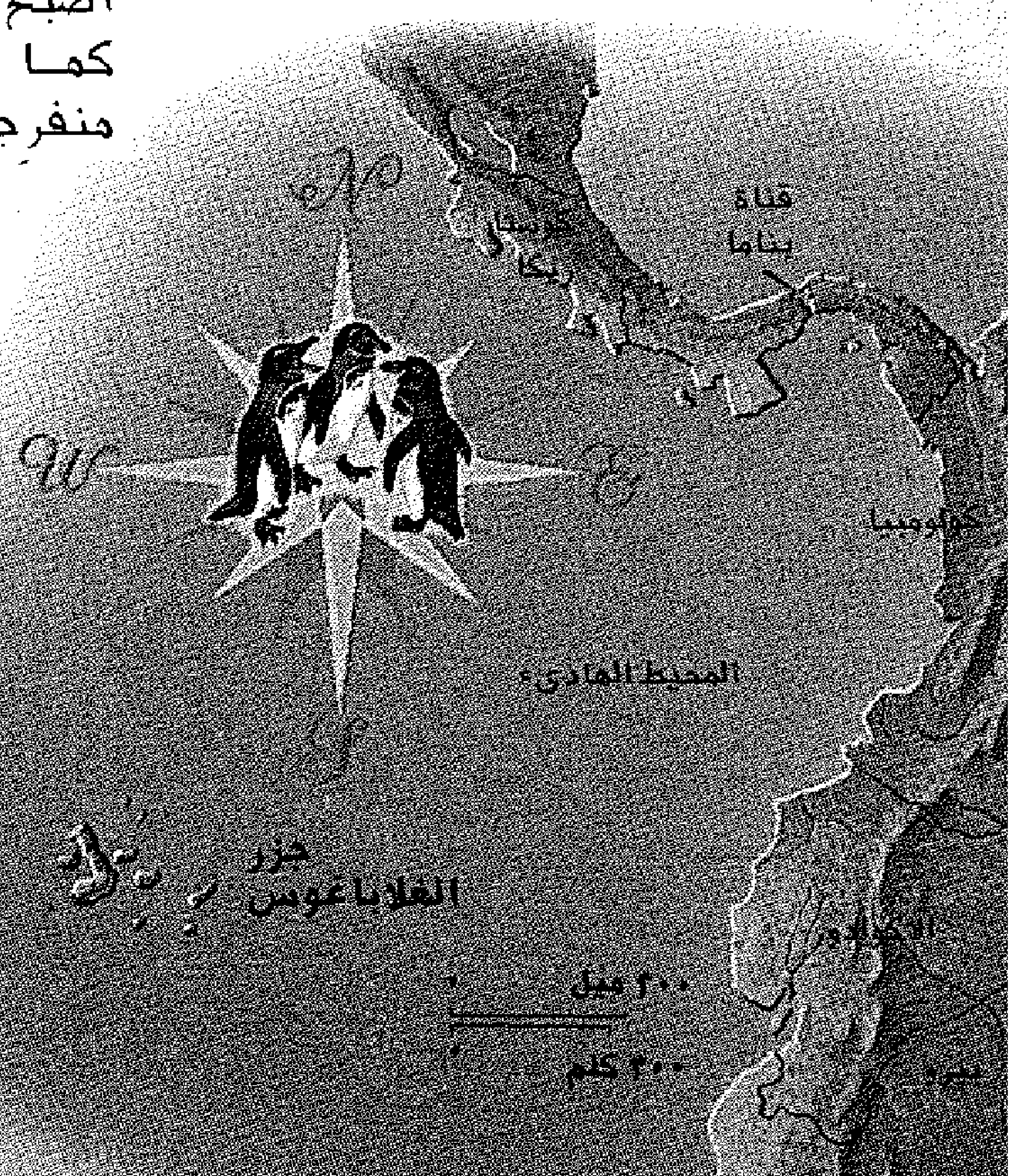
وجزر غلاباغوس، المؤلفة من ١٣ جزيرة كبيرة وبضع عشرات من الجزر الصغيرة، تنتشر في مساحة من المحيط الهادىء تبلغ حوالى ٦٠ الف كيلومتر مربع على بعد ٩٦٥ كيلومترا الى الغرب من بر امريكا الجنوبية، وتقع على اقل من درجة واحدة تحت خط الاستواء٠ وهذه الجزر مجموعة من البراكين التي اخذت تنهض من قاع البحر قبل مليون ونصف مليون من الاعوام٠ وقل من الرحالة الذين كتبوا عن الجزر من لم يشدد على قسوة البيئة وعدائها للحياة الانسانية٠ واعرب الروائي الامريكي هيرمان ملفيل عن شكه في وجود اي بقعة على سطح الارض تضاهي جزر غلاباغوس وحشة وانعزالا٠ وسماها احد المستكشفين "الارض المنبوذة"٠

وبسبب عزلتها، فضلا عن ان الزوار

الاوائل من بني البشر لم يقيموا فيها اكثر مما توجب عليهم، فقد اصبحت الجزر على مر السنين مختبرا حيا لدراسة تطور النبات والحيوان، لا يضاهيه اي مكان آخر. هنا عثر تشارلز داروين عام ١٨٣٥، عندما كان في السادسة والعشرين من عمره، على دليل اصبح اساس نظريته في "اصل الانواع" التي اثارت جدلا كثيرا. وهنا رعت منظمة التربية والعلم والثقافة (الاونيسكو) التابعة للامم المتحدة بعد ١٢٥ عاما اقامة "مركز تشارلز داروين للبحوث" (الذي انشيء عام ١٩٥٩ وتم افتتاحه عام ١٩٦٤) لكي يؤمن للعلماء من انحاء العالم المختلفة مجالا لدراسة عملية التطور. وفي الوقت نفسه تقريبا، حولت الحكومة الاكوادورية ٩٠ في المئة من مساحة جزر غلاباغوس البالغة ٨٠٠٠ كيلومتر مربع الى منتزه قومي، سعيا الى الحفاظ على تلك البيئة الفريدة في ذلك الارخبيل.

ان عملية النشوء والارتقاء في جزر غلاباغوس انتجت السحالي البحرية الوحيدة في العالم. ويقصدها طائر القادوس المموج الذي يبلغ امتداد جناحية ثلاثة امتار ويقضي خمسة اشهر في البحر بين الطيران والسباحة. وهو يفد سنويا في شهر ابريل (نيسان) الى جزيرة هود حيث يبنى عشه. وبسبب تيار همبولت البارد الذى يغمر سواحل الجزر، تتكاثر طيور البطريق هنا على بعد كيلومتر ونصف كيلومتر فقط من خط الاستواء.

ان السلحفاة البرية الضخمة ("غلاباغو" في الاسبانية) هي التي اعطت اسمها لتلك المجموعة من الجزر. ولكنها اتخذت اشكالا مختلفة على الجزر المختلفة. ففي جزيرة هود الجرداء، حيث يبلغ ارتفاع شجرة الصبار ١٢٠ سنتيمترا على الاقل، اصبح لتلك السلاحف سيقان اطول، كما اكتسبت صدفاتها قبة عنق منفرجة عالية تسمح لها بمد اعناقها للوصول الى الغذاء. اما جزيرة سانتا كروز التى يسقط عليها مقدار اكبر من المطر وتنمو



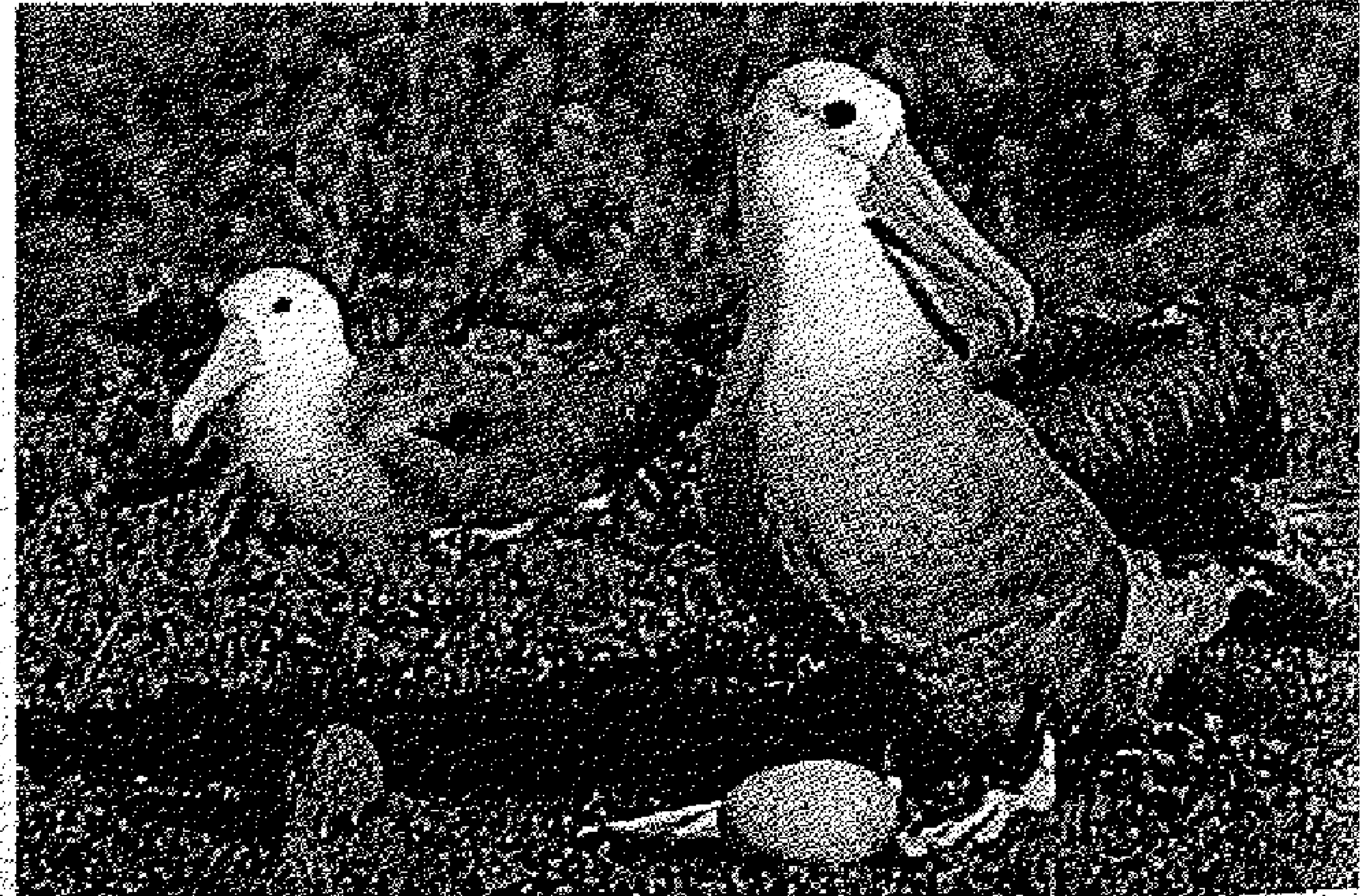

سلحفاة عملاقة.

فيها الكرمة الكثيفة والقصيرة، فان السلاحف ترعى من دون حاجة الى رفع اعناقها، وهو امر جعل صدفاتها قبابا بيضوية الشكل تسمح بتحريك العنق على جهتين لرعي الخضرة.

محطة تشارلز داروين — هذا الاهتمام باشكال الحياة الرائعة في جزر غلاباغوس هو الذي دعانا الى المجيء والهبوط على مدرج وعر في جزيرة سيمور الجنوبية (بالترا). وهناك اتفقنا مع ماكس كريستن وزوجته ماريا تيريزا لينقلانا في قاربهما "ميسترال" المخصص للصيد الى جزيرة سانتا كروز حيث تقوم محطة تشارلز داروين. وبعد ساعتين من مغادرتنا خليج سيمور، غطست الشمس وراء الافق وارسى ماكس قاربه في خليج صغير لقضاء الليل. وكانت تحيط بذلك الخليج صخور بركانية بازلتية دكناء، وترتفع عموديا من الجهات الثلاث وقد توجت قممها شجيرات الصبار فبدت لنا مثل اشباح تحرس المكان. وكانت الصخور تعج بطيور النورس المشقوقة الذيل ذات الصوت الأجش بينما كانت طيور الاطيش والبجع البني تغوص في مياه البحر بحثا عن الاسماك.

وكان الضوء لا يزال ينير المكان قبل حلول المساء، فغطسنا تحت الماء الرقراق النظيف حيث رأينا افواجا من الاسماك الصغيرة المتعددة الاشكال والالوان. ورأينا جسما كبيرا تنبعث منه فقاقيع الهواء وهو يزحف على القعر، ولكنه لم يكن سوى دليلنا ماكس المجهز بعدة غطس وقد صعد الى السطح وهو يحمل اثنين من كركدن البحر لنأكلهما عشاء.

وفي تمام الساعة السادسة انحدرت الشمس وراء الافق (لان الليل والنهار متساويان تماما طوال ايام السنة) وحل ظلام مخملي اسود اكتنف المكان في دقائق معدودات. وقضينا الليل نائمين على ظهر القارب ثم باشرنا السفر عند الفجر. ونحو الظهر حططنا الرحال في بويرتو آيورا، اكبر مستوطنة في الارخبيل حيث يعيش ٨٠٠ نسمة. ومشينا على طريق ترابية ضيقة تؤدي الى محطة داروين. ويدير المحطة علماء من الاكوادور واميركا الشمالية واوروبا، ويأتي الجزء الاكبر من موازنتها السنوية البالغة ٢٩٠ الف دولار من مساهمات خصوصية. وقد اشار مدير المركز، الدكتور كريغ جورج ماكفرلاند، الى "ان المركز



طائر نورس.



سحلية بركانية.

اداة عالمية مهمة لتقدم المعرفة العلمية. ومع خدمات منتزه غلاباغوس القومي، يشكل المركز حصنا منيعا للمحافظة على البيئة".

وشاهدنا وراء مباني المحطة المتواضعة ساحات احاطت بها الصخور، وقد كانت شاهدا على نجاح تلك الجهود. وكانت الاصناف الباقية من سلاحف غلاباغوس تزحف وكأنها دبابات من عصر ما قبل التاريخ، وتقتات على اوراق الصبار السميكة وتغمر نفسها في برك ضحلة. وهذه المخلوقات الضخمة نشأت في جنوب آسيا قبل ٧٠ مليون سنة. ويمكن ان تنمو حتى يبلغ طولها مترا ونصف متر ووزنها ٢٣٠ كيلوغراما. وليس لهذه المخلوقات اقارب اكثر قربا من تلك التي في جزيرة الدابرا في المحيط الهندي. ولا يعرف كيف وصلت هذه السلاحف الى ارخبيل غلاباغوس. وهي تنزع بطبيعتها الى الخجل، لكنها غير مؤذية. وهذه صفات خارجة عن نطاق سيطرتها.

حساء السلاحف — هذه الزحافات العظيمة، على خلاف اي حيوانات ذات حوافر تؤكل لحومها، تستطيع العيش سنة او اكثر من دون طعام او ماء، بينما تكدس في عنابر السفن كأنها اكوام خشبية. وهي مرغوبة لطيب مذاقها حين يؤول مصيرها الى صحون الحساء. ويقدر بعض المصادر المطلعة ان قرابة ٣٠٠ الف سلحفاة من هذا الصنف نقلت في قوارب صيد الحيتان وسواها من السفن خلال الاعوام الاربعمئة التي انقضت منذ اكتشاف ارخبيل غلاباغوس. اما تلك الانواع التي بقيت على قيد الحياة فتضاءلت بسبب هجمات الاصناف التي اتى بها الانسان من حيوانات اخرى مثل الخنازير والكلاب والقطط والجرذان التي اقتاتت على بيض السلاحف وصغارها بينما نافستها حيوانات الماعز والحمير والاغنام على موارد غذائها. وبحلول العام ١٩٦٠ وانشاء محطة داروين، بقيت اعداد من السلاحف القابلة للبقاء على قيد الحياة في جزيرة سانتا ايزابيلا فقط.

وقد شرع علماء المحطة وموظفو المتنزه القومي في غلاباغوس بالقضاء على الاصناف المهاجرة البرية. وفي الوقت نفسه بدأوا يجمعون السلاحف التي وجدوها حية في جزر اخرى، وجاؤوا بها الى حظائر المحطة. وتم تفريغ بيض السلاحف في اماكن انشئت لهذه الغاية. وتحفظ فراخ السلاحف في محطة داروين على اساس نظام غذائي وحماية مدروسة لمدة قد تصل الى عشر سنوات الى ان تصبح صدفاتها من الصلابة بحيث تصمد امام اسنان الكلاب البرية والخنازير. وبحلول مايو (ايار) ١٩٧٧، كانت ٣٠٠ من هذه السلاحف الزحافة قد اعيدت الى الجزر. وسيستمر تنفيذ البرنامج الى ان تصبح هذه الاصناف في منأى عن خطر الانقراض في جميع جزر الارخبيل.

وعرفتنا اسفارنا في الجزر على صنوف نادرة اخرى انقذت من الانقراض. وتسلقنا في احد الايام هضبة تعرضت جوانبها الى انجراف التربة، وكانت واقعة خلف جحور السلاحف. وبعد الالتفاف حول صخرة بركانية، وقفنا وجها لوجه امام احد اقارب حيوانات الدينوصور المنقرضة. وكان سحلية برية يبلغ

طولها نحو ١٤٠ سنتيمترا ووزنها خمسة كيلوغرامات ونصف كليوغرام وعلى عنقها شعر التنين. وتختلف هذه السحالى عن بنات عمها التي تعيش خارج الجزر والتي هي انحف جسما واخفوزنا وبارعة في تسلق الاشجار، بانها تحفر لها جحورا تحت سطح الارض ولا تتسلق الاشجار. الا ان في هذا نقصا جعلها فريسة سهلة للخنازير والكلاب والقطط البرية. وقد ابيدت هذه الفصيلة في مساحات كبيرة. اما اليوم فيوجد برنامج يستهدف انقاذها.

وفى بانتا اسبينوزا، وهي شريط ساحلى من الحمم البركانية النقية السوداء انتشرت فيه اشجار استوائية تتدلى من اغصانها الجذور، شاهدنا ظاهرة تطورية اخرى تتمثل في طائر الغاق الاسود غير المحبب العاجز عن الطيران. فعندما وصلت هذه الطيور، التى كانت في سالف الازمان ماهرة فى الطيران، الى هناك، وجدت وفرة من الاسماك جعلتها تتوقف عن الطيران. وعلى مر السنين انكمشت اجنحتها واصبحت مجرد زوائد، وتهدل منها بعض من الريش في اوضاع غريبة.

افواج المستعمرين – المستعمرون الاوائل الذين وصلوا الى ارخبيل غلاباغوس كانوا مجرمين اكوادوريين اختاروا الذهاب الى تلك الجزر عوضا عن مواجهة المقصلة. ووصلوا الى هناك عام ١٨٣٢، وتبعتهم موجات استعمارية اخرى. وفي العشرينات والثلاثينات توافد على الجزر مستوطنون نروجيون نظفوا الارض وزرعوها. وما ان وصلنا نحن حتى كان ابناء اولئك المهاجرين قد كبروا وغادروا تلك الجزر، بينما توفي المتقدمون في السن او عادوا الى النروج باستثناء شخصية ملحوظة.

وسلكنا في جزيرة سانتا كروز طريقا ترابية طولها ثمانية كيلومترات تؤدي الى بيت توروالد كارشتالن وزوجته اللذين وصلا من النروج عام ١٩٣٥. وقال لنا كارشتالن (الذى ولد عام ١٨٩٥): "انا وزوجتي لم نحب الغليان الحضاري. وقد وصفني اهلي واصدقائي بانني "الفايكينغ الاخير"، وقالوا اننا سنعود بعد وقت قصير. ولم يكن في تلك المنطقة آنذاك اكثر من ٣٠ شخصا. وكان يفترض وصول سفينة الى هناك كل ثلاثة اشهر، لكن ذلك لم يتم في معظم الاحيان الا كل ثمانية اشهر. وعلى رغم اننا اصبنا بالهزال خلال العامين الاولين، الا اننا لم نندم على قرارنا".

واقتلع كارشتالن وزوجته الاعشاب بايديهما من الارض، وغرسا مكانهما القصب الفيلى ونبات البانغولا الذي يساعد التربة غير العميقة على التماسك، كما يخنق الحشائش ويشكل طعاما ممتازا للابقار التي حملاها معهما من اجل لحمها وحليبها. وكان ابنهما آلف في العاشرة من عمره عندما بلغا الجزيرة. ولم تكن له مدرسة في ذلك الموطن الجديد. غير انه استطاع، من خلال المطالعة والملاحظة، ان يصبح واحدا من اكثر الناس معرفة بنباتات الغلاباغوس وحيواناتها، كما صار من مربى الابقار الناجحين.

واستمرت الهجرة على نطاق

محدود. لكن معظم الوافدين الجدد عادوا الى حيث اتوا بسبب حياة التقشف وعدم توافر الفرص. وبدأ الاكوادوريون هجرتهم الى الجزر في اوائل الحرب العالمية الثانية عندما كان للامريكيين قاعدة جوية هناك. وتوافد كثيرون آخرون عندما اصاب بر الاكوادور جفاف شديد في اواخر الستينات. لكن الف شخص منهم عادوا في اول فرصة سانحة. اما سائر السكان، وعددهم ٣٥٠٠ نسمة، فقد بقوا في الارخبيل وانشأوا في جزيرتي سانتا كروز وسان كريستوبال مجتمعا يسوده الاطمئنان.

اما اليوم فالخطر الرئيسي الذي يواجه الجزر هو قدوم السياح. فان افواج الزوار الذين تقلهم الطائرات قد اعطت سكان غلاباغوس اول مذاق لاموال السياحة. واسفرت الضغوط المتزايدة عن فتح اربعين منطقة من مناطق المنتزه القومي امام استثمار محدود. وعلى اي حال، ولحسن الحظ، فان حكومة الاكوادور تأخذ التزامها بالمحافظة على البيئة على محمل الجد. وهي حددت عدد السياح كما حدت كثيرا من فرص حدوث العبث والاهمال. وتستقبل كل طائرة سفينة من ثلاث سفن فندقية او بضعة يخوت وقوارب تبحر بين الجزر. وعلى السياح ان يعيشوا على ظهر هذه القوارب او في فنادق بويرتا آيورا. وعند زيارة الجزر، يسمح للزوار بالنزول الى الساحل.

وربما كان افضل ضابط من هذه الضوابط ضد التطوير العمراني الضار في جزر غلاباغوس ما يشعر به الاكوادوريون من اعتزاز بشهرة جزرهم على انها قبلة الباحثين عن التاريخ الطبيعي. وسيتحتم على الانسان ان يبدأ في مكان ما المحافظة على ما اعطته الطبيعة من كنوز حية. وهذا هو المكان الذي بدأت فيه الاكوادور جهودها.

■ **سكوت وكاتلين سيغرز**



مكتب زواج... للحيوانات

اسس اتحاد حدائق الحيوانات في بريطانيا العظمى وايرلندا مكتبا للزواج لكل حيوانات الحدائق بقصد ايجاد شركاء للحيوانات المنفردة.

(مجلة "الاكسبريس"، فرنسا)

نصائح تخطاها الزمن

كان العروسان يقضيان ليلتهما الاولى في فندق، فقال العريس: "آمل ان تكون أمك زودتك بالنصائح التقليدية". فأجابت العروس: "طبعا، ولكن لا تقلق، فلن اهتم بنصائحها". ثم أضافت: "وعلى اي حال، فلا بدّ ان تغيرات كثيرة طرأت على كل ذلك منذ زواجها".

(مجلة "نكات"، فرنسا)

كتاب الشهر

الأيام العصيبة

ملخص من كتاب

بقلم جيرالد فورد



تركز اهتمام كبير على الافول المذهل والمؤسف لرئاسة ريتشارد نيكسون· على ان الاضواء لم تسلط مطلقا من زاوية نظر الرجل الذي اختير خلفا له، وهو الرجل الذي تناهشته صنوف الولاء المتضارب - سواء أكان لرئيس الدولة الذي شُوِّهت سمعته او لبلاده ولزوجته وافراد اسرته - الامر الذي جعل جيرالد فورد يطرق درب الرئاسة بأقصى ما يمكنه من الرفق والحرص ابان الازمة التي المت بالولايات المتحدة الامريكية وملكت افكار مواطنيها ومشاعرهم·

هنا يروي جيرالد فورد، في كلماته الخاصة، حكاية تلك الايام العصيبة من شهر اغسطس (آب) ١٩٧٤، والحيرة المفزعة التي وقع هو فيها ازاء فضيحة ووترغيت·



٨ اغسطس (آب) ١٩٧٤: الرئيس نيكسون ونائب الرئيس فورد في المكتب الرئاسي البيضوي·

الأيام العصيبة

بقلم

Gerald R. Ford

قبيل الساعة التاسعة من صباح الفاتح من اغسطس (آب) ١٩٧٤، تلقيت مكالمة هاتفية من كبير موظفي البيت الابيض، الكسندر هيغ، الذي قال: "سيادة نائب الرئيس، ثمة ضرورة ملحة تقتضي ان اجتمع بك في اقرب وقت ممكن".

وبعد خمس عشرة دقيقة دخل هيغ الى مكتبي القائم في مبنى المكتب التنفيذي القديم. وكنت قد طلبت الى روبرت هارتمان ان يحضر الجسلة معنا كعادتي في هذه المناسبات. لكن هيغ بدا غير مطمئن لحضور هارتمان حتى خيل الي انه لن يقوى على البوح بكل ما يريد. بيد ان ما صرح به هيغ كان مقلقا ما فيه الكفاية.

واذ كانت المحكمة الامريكية العليا قد اصدرت قبل ثمانية ايام، اي في الرابع والعشرين من يوليو (تموز)، حكمها بان يسلم الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون ٦٤ شريطا مسجلا للمحادثات التي دارت في مكاتب الرئاسة الى قاضي المحكمة الاقليمية جون سيريكا، فقد اردف هيغ: "اود تنبيهك الى ان الامور في تدهور الان، ومن الحري بك ان تباشر التفكير في تبديل مجرى حياتك".

كما ابلغني هيغ ان الاشرطة الجديدة تحتوي على ادلة من شأنها ان تثبت علم نيكسون بمحاولة طمس حادث ووترغيت بعد ستة ايام فقط من السطو على مكاتب الحزب الديموقراطي في ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٧٢، وان الرئيس نيكسون ظل يخادع الشعب الامريكي منذ ذلك الحين.

لكم عللّتُ النفس بلا طائل خلال الاشهر الثمانية الاخيرة، بصفتي نائبا للرئيس بان ووترغيت لا بد من ان تنقشع وبأن نيكسون سيبرهن عن براءته منها. غير ان التمني بدأ يتبدد الان ويتبخر.

واتصل بي هيغ هاتفيا مرة اخرى بعد ظهر ذلك اليوم نفسه، طالبا مقابلتي ثانية في اقرب فرصة ممكنة. الا انه لم يشأ ان يحضر هارتمان جلستنا. فخطر لي ان هيغ لا بد من ان يكون قرأ، منذ اجتماعنا الصباحي، نسخة مدونة للمحادثات المسجلة، او انه استمع الى مناقشتها بالتفصيل. على انه ما ان دخل مكتبي حتى بادرني قائلا: "ليس في وسعي ان ابلغك بما سيحدث خلال الساعات الثماني والاربعين اللاحقة. فأنا لا ادري ماذا سيفعل الرئيس.

ثم اطلعني في منتهى الحرص على الخيارات الباقية امام الرئيس نيكسون كما يراها "المطلعون" في البيت الابيض، وهي الآتية: اولا - ان "يصمد" الرئيس في وجه العاصفة ويسمح للكونغرس بان يأخذ مجراه في توجيه التهمة اليه، وان يجابه امر ادانته بنفسه ويحاربها في اصرار. ثانيا - ان يستقيل. وهنا يتزايد عدد السبل البديلة التي يمكنه سلوكها: يمكنه، مثلا، ان يتنحى وقتيا بموجب المادة الخامسة والعشرين للدستور، او ان يرجىء استقالته حتى مرحلة لاحقة من اجراءات ادانته، او ان يقبل بتصويت الكونغرس على عزله، او ان يعفو هو عن نفسه وعن جميع الاطراف المعنية بقضية ووترغيت وبعدئذ يستقيل من منصبه. بل يمكنه ايضا -كما يرى بعض موظفي البيت الابيض حسب قول هيغ - ان يوافق على هجر كرسي الرئاسة شرط ان يلتزم الرئيس الجديد، جيرالد فورد،

بالعفو عنه. واكد لي هيغ ان هذه ليست آراءه، ولكنه لم يفصح عن اسماء اصحابها، بل اكتفى بالقول انه لا تفضيل لديه لاحد هذه الآراء على سواه.

وغادر هيغ مكتبي بعد ٤٥ دقيقة. لكن ما انطوت عليه اقواله من مضاعفات جثمت بثقلها على صدري، واحسست بالغضب يجتاحني لان نيكسون لم يطلعني على حقيقة الامور. وفيما انا مسترسل في هذه التأملات، قطع علي بوب هارتمان حبل افكاري بدخوله مكتبي. فأعدت على مسمعه الخيارات التي ذكرها هيغ. واذا باجراس الانذار تدوّي في رأس بوب:

- ذلك الخيار الاخير الذي ذكره هيغ حول استقالة نيكسون مقابل العفو عنه... انا لا أرتاح اليه بالمرة.

فقلت له: "لكن لم يقترح ذلك من عنده بل ذكر بعض ما يتداوله الناس في البيت الابيض".

عندئذ كرر بوب قوله:

- اعلم ذلك جيدا. ان هيغ لم يقصدك ليخرج خالي الوفاض. ولا هو بحث معك هذه المسألة الحساسة من دون علم نيكسون. وقد ذكر لك امر العفو من قبيل الايحاء اليك بما يجدر فعله، بينما بقيت انت مصغيا اليه من غير ان تنطق بكلمة واحدة. والسكوت في حال كهذه ينطوي على الموافقة. وربما عاد هيغ الى البيت الابيض واخبر نيكسون بانك لم تبد غير مرتاح ازاء ذكر الفكرة. والحق انه ليس من اللياقة ان يطرق هيغ هذا الموضوع امامك.

لقد كان رد فعل بوب امرا متوقعا نابعا من طبيعته. والواقع اني لما كنت بطبيعتي انسانا لا يرتاب في الآخرين، رأيت من الحكمة ان يكون بين موظفيّ شخص كثير الشكوك. وكان بوب يشك في كل انسان. وتلك الخصلة فيه انقذتني من مزالق كثيرة على مر السنين. ولكن شعرت هذه المرة بانه تجاوز الحد المعقول، واعلمته بحقيقة شعوري.

ونظرت الى الساعة في يدي لاجد ان عقربيها يشيران الى الخامسة والنصف مساء. ولما كنت اعلم ان زوجتي بيتي تنتظرني، فقد قررت تأجيل مناقشة الخيارات الى وقت آخر وملاقاة بيتي التي كانت تريد معرفة رأيي في الاقسام التي اختارتها نزلا لنا ولضيوفنا من المبنى الكبير الذي يقع في منطقة مرصد البحرية الامريكية حيث اجاز الكونغرس، في اعقاب تعييني نائبا للرئيس، استخدام ذلك المبنى منزلا موقتا لنائب رئيس الولايات المتحدة. وبناء عليه، دأبت زوجتي خلال الاشهر القليلة الماضية على مقابلة المسؤولين من البحرية والمخابرات للبتّ في امر التعديلات التي ينبغي ادخالها على المبنى. وقد شعرت بتفاهة القيام بمثل هذه الاعمال في تلك اللحظة بالذات.. غير ان تبديل خططنا في اللحظة الاخيرة من شأنه ان يثير تساؤلات الصحافيين والمراسلين. وهذا ما اردت تجنبه.

وقادنا احد مهندسي التصميم الداخلي للمنازل برفقة مسؤول من البحرية في جولة داخل المبنى، وتحدث الاثنان عن مشروعات تزيين غرفة النوم الرئيسية وغرف نوم

اولادنا. وبحثنا امر اصطحاب بيتي الى محلات مختصة في نيويورك لشراء اواني الخزف والستائر والاثاث.

وانتهت الجولة اخيرا برحمة الرحمن. وعدنا الى المنزل الذي كنا نسكنه لتبديل ملابسنا استعدادا للخروج الى حفلة عشاء. ولم يتسع الوقت لبحث ما دار في ذلك النهار بتفاصيله. ولكن اعلمت بيتي بان بينات قد تظهر، من شأنها ان تسدد ضربة شديدة الى شخص الرئيس. وحين انتهت الحفلة رجعنا الى البيت، وفي غرفة الجلوس اخذنا نتجاذب اطراف الحديث الى ان تطرقت الى ذكر الاجتماعين مع هيغ خلال النهار. فاتسعت حدقتا بيتي دهشة لانها كانت تشاركني الرأي في ان ما اصدره البيت الابيض من بيانات في السابق كان صدقا لا مراء فيه. وها ان الاسطورة بدأت تتصدع الان. فانعقد لسانها، خصوصا لانها لم تكن من النوع الذي يتأجج غضبا لتصيح مزمجرة: "اللعنة! لم يكن نيكسون منصفا بحقك". بل انها امرأة حنونة، عذبة اللسان، ولم يتجاوز رد فعلها الاول حدود اظهار الاسف والحزن على الرئيس وافراد اسرته.

وازداد قنوطنا عندما اوصلنا الحديث الى ذكر التجارب الجديدة التي سنتقاسمها مستقبلا، فقلت لها: "ربما انتقلنا الى البيت الابيض في الاسبوع المقبل، او ربما بقينا معلقين بين بين طوال ستة اشهر اخرى ريثما يفرغ الكونغرس من اجراءات ادانة الرئيس. والامر كله مرهون بما يعتزم نيكسون فعله".

كانت الساعة بلغت الواحدة والنصف بعد منتصف الليل عندما اتجهنا الى فراش النوم. ودخلنا غرفة النوم وخلعنا ملابسنا واطفأنا الانوار. ومع انه لم يكن من عادتنا التعبير عما يخالجنا، الا اننا شعرنا في تلك اللحظة بالحاجة الى ان يستمد واحدنا من الآخر قوة وان نستمد معا قوة جديدة من الله. لذلك، ما ان اضطجعنا والظلمة محدقة بنا حتى امتدت يدانا في وقت واحد وتلامستا، واخذنا نصلي:

- اللهم هبنا قوة من لدنك، والهمنا بحكمتك، وسدد خطانا في حال مواجهة حياة جديدة. اننا نعاهدك بان نبذل كل ما في وسعنا مهما حل بنا. انك انت الذي آزرتنا في ماضي حياتنا، واننا لمؤمنان بهديك في ايام التحدي العصيبة المقبلة. واننا نتضرع اليك باسم سيدنا يسوع المسيح.

وختمت الصلاة باستشهاد من سفر الامثال: "توكل على الرب بكل قلبك، وعلى فهمك لا تعتمد. في كل طرقك اعرفه، وهو يقوّم سبلك".

لقد تعلمت هذه الصلاة طفلا. واذكر اني رددتها ليلة اكتشفت ان زوج امي لم يكن والدي الحقيقي. ورددتها مرارا وانا في البحر في الحرب العالمية الثانية. كما رددتها في كل مرة نشبت أزمة.

قنبلة موقوتة

تكلمت صباح اليوم التالي مع جاك مارش، النائب السابق من ولاية فرجينيا، وهو احد الاعوان المقربين الي كثيرا، وأطلعته على ما جرى خلال الساعات الاربع والعشرين الماضية. واذا به يوافق هارتمان الرأي حول ان

مجرد ذكر العفو يشكل احتمالا بان يكون ذلك الخيار قنبلة موقوتة بالنسبة الي. ولما حاولت ان اوضح له ان هيغ لم يقترح اي صفقة وان الخيارات التي ذكرها لم تصدر عنه في الاصل وانه لم يبدر مني ما يمكن تفسيره بالموافقة او الرفض لاي منها، اصرّ مارش على رأيه كما فعل هارتمان، وقال: "اذا كنت لا تصدقنا، فما عليك الا ان تستشير شخصا اخر تقيم وزنا لرأيه".

وقفزت الى مخيلتي على الفور صورة برايس هارلو، الرجل القصير القامة ذي الوجه الصارم الذي يعمل الآن مديرا تنفيذيا لشركة في واشنطن. وهو سبق ان عمل مستشارا لستة رؤساء اميركيين، وكان رجلا نزيها لا تشوب كرامته شائبة. ولكن قبل ان اراه، توجهت بالسيارة الى "كابيتول هيل"، مركز الكونغرس، لمقابلة هيو سكوت من ولاية بنسلفانيا ومايك مانسفيلد من ولاية مونتانا، زعيمي الحزبين الجمهوري والديموقراطي في مجلس الشيوخ، اللذين ارادا محادثتي حول الاجراءات التي تنبغي مراعاتها في حال توجيه التهمة ومحاكمة رئيس الولايات المتحدة. والمعروف ان مجلس النواب الاميركي هو الذي يحقق، بموجب الدستور، في التهم الموجهة ضدّ رئيس البلاد ويقرّر بالتصويت امر احالته الى المحاكمة على غرار ما تفعل هيئة المحلفين الكبرى. ثم ترفع القضية الى مجلس الشيوخ حيث يرئس الجلسة عادة نائب رئيس الجمهورية. لكن هذا الواجب سيرفع، لحسن الحظ، عن كاهلي في حال ادانة الرئيس.

وجلسنا نحن الثلاثة ينفث كل منا دخان غليونه، وهو مدرك الألم الذي تكابده البلاد والمسؤولية الملقاة على عاتقه. وقام سكوت بالقسط الأوفى من الكلام في ذلك الاجتماع. الا انني كنت واثقا من انه لم يسمع بعد بالبينات الجديدة، وشعرت بأنه من غير اللائق ان اطلعه عليها. لكنه كان مقتنعا، على اساس ما يعرفه، بان القضية خاسرة وبان توجيه التهمة رسميا الى الرئيس في المجلس النيابي وادانته في مجلس الشيوخ بعدئذ امران مفروغ منهما.

واذ غادر مانسفيلد الغرفة، بقيت وحدي مع سكوت الذي ابلغني بانه تحدث الى الشيخ باري غولدووتر من ولاية اريزونا، وحاول معه تحديد مدى التأييد الذي ما زال يتمتع به نيكسون داخل مجلس الشيوخ حيث يحتاج الى ٣٤ صوتا لينجو من الادانة. وقال سكوت ان نيكسون يتمتع حاليا بستة وثلاثين صوتا، بيد ان احد عشر صوتا بينها اصوات متقلبة وغير اكيدة. وكان سكوت يفهم انني ملزم بتأييد الرئيس. ولذلك ارتج صوته واضطرب وهو يقول: "التأييد المستمر سيجعل من العسير على البلاد في ما بعد ان تتوحد. انك انت الانسان الوحيد الباقي لدينا - للبلاد كلها، لا للحزب فحسب".

وخيّل اليّ ان الدموع بدأت تترقرق في عينيه. فحاولت تهدئة خواطره، ولكني وجدت صعوبة في السيطرة على عواطفي الشخصية. وخطر لي انه من الحري بي ان ادلي بتصريح علني خلال الايام القليلة المقبلة اقول فيه انه ما دام شطرا الحكومة التنفيذي والتشريعي في نزاع محتدم مرير،

فانه لا يليق بي بعد الآن ان ابدو طرفا في النزاع او عنصرا فاعلا في نتائجه. وبذلك اكون قد اعلنت، في اختصار، موقفا حياديا. ولكن في اي مكان يمكنني الادلاء بمثل هذا التصريح؟ ولما كنت انوي السفر في نهاية الاسبوع الى ولايتي ميسيسيبي ولويزيانا، فقد اقترحت على سكوت ان اصدر تصريحي من هناك. فلم يستحسن فكرتي مطلقا، وقال: "ان تصريحا ذا اهمية قومية شاملة ينبغي ان يصدر من عاصمة البلاد، لا من مكان اخر".

وكان سكوت محقا في رأيه. وشعرت بأنه يمكنني الادلاء بذلك التصريح لدى عودتي من الرحلة. واذ غادرنا الغرفة في "كابيتول هيل"، طوّق سكوت ذراعه حول كتفي بشدة، ولم يكن بنا حاجة الى قول كلمة اخرى.

وجاء برايس هارلو الى مكتبي في وقت متقدم بعد الظهر، وكان هارتمان في الغرفة. ورحت اسرد كل ما عندي، فيما كان برايس صامتا لا تنم ملامحه عن اي رد فعل. وحين انهيت كلامي، قال لي بصراحة لا يشوبها التردد انه متفق مع بوب وجاك، وان مجرد ذكر خيار العفو قد يسبب لي متاعب جمة في الايام المقبلة. وهكذا، توصلنا الى نتيجة مفادها ان الامر الوحيد الذي يمكنني فعله هو دعوة هيغ امام الشهود وتسوية القضية معه. فطلبت الى هارتمان ان يتصل به هاتفيا بعدما كتبت حرفيا كل ما اردت قوله، ثم قرأت عليه ما كتبت ببطء منعا لاي التباس او غموض. وبدأت كلامي:

- اريد ان تفهم انه ليس في نيتي ان اوصي بما ينبغي ان يفعله الرئيس ازاء استقالته او عدم الاستقالة، وانه يجب ألاّ يؤخذ شيء مما دار بيننا البارحة مأخذ اعتبار او حسبان في اي قرار قد ينزع الرئيس الى اتخاذه.

وردّ هيغ في اختصار: "انت على حق".

"شكرا سيدي الرئيس"

جرت العادة على ان يرافقني عدد قليل من رجال المخابرات. ولكن هذه المرة كان ثلاثة عشر رجلا منهم برفقتي على متن طائرة نائب الرئيس حين توجهت يوم السبت في ١٣ اغسطس (آب) الى ولايتي ميسيسيبي ولويزيانا. وامتدت ظاهرة التضخم هذه الى رجال الصحافة ايضا. فقد كانت العادة ان يتولى بعض الصحافيين تغطية انباء رحلاتي. الا ان عددهم هذا اليوم ارتفع بوجود احد عشر صحافيا اضافيا.

وحطت بنا الطائرة في مطار ستاركفيل في ميسيسيبي بعيد الساعة العاشرة صباحا. وبعدما القيت كلمة في حشد من الناس، استأنفنا رحلتنا الى جاكسون على بعد اربعين دقيقة جوا، حيث كررت تأكيداتي على ان الرئيس غير مذنب في ارتكاب خطأ يستوجب المحاكمة. ولو قلت غير هذا الكلام، لربما انهدم البنيان الكرتوني الهش باكمله.

ودأبت خلال هذه الرحلة على الاتصال بزوجتي بيتي التي كانت تحمل عبئا ثقيلا. وكنت اقلق على الدوام حيال طبيعة مشاعرها وما يفعله اولادنا، فضلا عن أني اردت معرفة انطباعاتها عن الاخبار ومعرفة

ما اذا كان اصدقاؤنا ابلغوها امرا كان ينبغي ان تعرفه. ومع ان بيتي لا تستمتع اطلاقا بالامور السياسية، الا ان لها اذنا صاغية مرهفة وحساسية عظيمة لما تعكسه الحوادث من ظلال. وقد قالت لي ان كل شيء هادىء.

صباح الاثنين ٥ أغسطس (آب) القيت محاضرة في نيو اورلينز امام جمعية قدامى المحاربين الامريكيين المعاقين من الحرب. ولئن كنت اتوقع فعلا ان يصفقوا لي، الا ان الامر الذي لم اتوقعه هو ان يتوجه رئيس الجمعية الى المذياع فور جلوسي ليقول: "شكرا سيدي الرئيس". وكانت تلك المرة الاولى التي سمعت فيها احد الناس يناديني بهذا اللقب، فجفلت له.

وفيما انا عائد جوا، تلقيت نبأ من جاك مارش جاء فيه ان البيت الأبيض سيدلي باعلان خطير مناهض للرئيس في وقت لاحق من ذلك اليوم. وما ان مضت نصف ساعة على هبوط طائرة سلاح الجو الرقم ٢، وهي الطائرة المخصصة لنائب الرئيس، في قاعدة اندروز العسكرية في تمام الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين، حتى وجدت نفسي في مكتبي من جديد. وجاء هيغ لمقابلتي على الفور، وكان يبدو منهكا اكثر من اي وقت مضى. بل اذكر اني فكرت حينذاك بأني لم ار في حياتي قط انسانا خائر القوى جسديا ونفسيا مثله في تلك الساعة. واوضح لي هيغ ان موقف نيكسون يتقلب بين الاستقالة والصمود في وجه الرياح، وان معظم كبار اعوانه يحثونه على اتباع الخط الاول، بينما اخرون - افترضت انهم من افراد اسرة نيكسون، ولكن هيغ لم يذكر اسماءهم - ينصحونه بالصمود والكفاح. ويبدو ان مزاجه متقلب لا يثبت على حال. فتراه في الصباح مصمما، بفضل الدعم والمساندة من مؤيديه خلال المحادثات التي كانت تمتد حتى ساعة متقدمة من الليل، على التمسك بمنصبه، في حين يبدو عند المساء مستعدا للتنحي عن الرئاسة بعد ان يكون قد استمع الى التقارير الواقعية من كبار معاونيه خلال النهار.

وفي وقت متقدم من عصر ذلك اليوم، ارسل البيت الابيض نسخة من بيان نيكسون الى مكتبي في مبنى المكتب التنفيذي القديم، وفيه يعترف بأنه حاول في وقت مبكر يعود الى ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٢، اي بعد ايام قليلة من السطو على ووترغيت، ان يستخدم وكالة المخابرات المركزية لمنع المكتب الفيديرالي للتحقيقات من ان يكتشف ان لجنة اعادة انتخابه رئيسا هي التى دبرت وموّلت عملية السطو على مكاتب الحزب الديموقراطي في مجمّع ووترغيت.

وفي الساعة السابعة مساء، اصدرت بياني الخاص الذي قلت فيه: "لقد توصلت الى نتيجة خلاصتها ان المصلحة العامة لم تعد تنتفع بترديد ما اعربت عنه سابقا من اعتقاد بان الرئيس الامريكي - استنادا الى ما هو متوافر لدي ولدى الشعب الامريكي من ادلة - لم يرتكب ذنبا يستوجب الاتهام الرسمي. وقد عاهدت الكونغرس لدى تعييني نائبا للرئيس على ان ابذل قصارى جهدي لكي اكون واسطة اتصال هادىء

ومصلحا مستعدا للتوسط بين فرعي الحكومة الفيدرالية: التنفيذي والتشريعي. غير ان عملية توجيه التهمة الى الرئاسة قد اقحمت الرئيس والكونغرس في علاقة عدائية تفرق بعمق بين اعضاء الهيئة التشريعية بمقدار ما هي تفرق بين افراد الشعب الذي يمثله هؤلاء الاعضاء. وثمة امور ملحة كثيرة في جدول اعمال امريكا، آمل ان اواصل خدمة بلادي من خلالها. ويجب ان تستمر الاعمال الحكومية، وكذلك ينبغي تلبية احتياجات الامة الحقيقية. واعتقد ان في امكاني ان اقدم مساهمة افضل من اجل هذه الغاية، من دون الانغماس شخصيا في المناظرة اليومية حول اتهام الرئيس، لان ذلك امر ليس لي فيه دور دستوري".

ولم يعد يراودني ادنى شك حول نتيجة الصراع: لقد انتهى نيكسون. والمسألة الوحيدة الباقية هي مسألة الوقت الذي سيدرك فيه نيكسون هذه الحقيقة والقرار الذي سيتخذه في شأنها.

لكم كنت منهكا وانا لم ار زوجتي واولادي منذ ايام ولكم كنت مشتاقا كي اذهب الى منزلي. وها قد ذهبت اخيرا. ولما كان المساء عند بركة السباحة في حديقة منزلنا الخلفية مغريا وباردا، فقد سبحت قاطعا البركة عشر مرات او اكثر، ثم بدلت ملابسي وتناولت الشراب مع بيتي عند باحة الدار. ولم نكد انا وبيتي

وولدانا سوزان وستيف نجلس الى مائدة الطعام حتى دق جرس الهاتف ليخبرني الميجور جورج جولوان، مساعد هيغ في البيت الأبيض، انه تقرر عقد اجتماع حكومي صباح غد. وافترضت عندئذ ان نيكسون سيكشف النقاب عن نياته، فأحسست فجأة بأن امكان انتقالنا الى البيت الأبيض بات امرا حقيقيا.

وجهاً لوجه

نهضت صباح اليوم التالي كعادتي في الساعة السادسة والنصف وسبحت في البركة أشواطي المعهودة، ثم توجهت الى مبنى "الكابيتول". وكان مقررا ان يتم اجتماع الحكومة الساعة العاشرة. لكني وجدت، لدى دخولي المكتب، ان الاجتماع أرجىء ساعة كاملة، فاغتنمت الفرصة للتشاور مع هارتمان ومارش اللذين كانا على قناعة تامة بأني ملزم خُلُقيا بالوقوف امام الرئيس وجها لوجه لابلاغه حقيقة موقفي.

وقبيل الساعة الحادية عشرة دخلت الجناح الغربي ومضيت في طريقي نحو قاعة الحكومة. ووقفت وراء مقعد الجلد البني الثقيل الخاص بي، اتجاذب اطراف الحديث مع وزير المالية وليم سايمون عندما دخل نيكسون القاعة بخطى واسعة. وكانت تلك المرة الاولى التي أراه فيها منذ نحو عشرة ايام. وكان التغير الذي طرأ عليه واضحا تماما، وأكيد انه لم يهنأ بنوم مريح. وقد امتقع لون بشرته وبدا اقل حيوية مما عهدته، من الناحيتين الجسدية والنفسية.

وكان التوتر في القاعةعلى أشده. واحسست شخصيا باضطراب في اعصابي، وأظن ان الآخرين جميعا كانوا فيمثل حالي. ولكن يبدو ان نيكسون لم يلاحظ ذلك. فقد نظر اولا الى الساعة الموضوعة على الطاولة امامه، ثم الى الملف الجلدي الذي تضمن النقاط التي أراد بحثها، قبل ان يبادر الى القول:

- اريد ان اناقش أهم مسألة تجابه أمتنا، وهي مسألة نجابهها ايضا في المجال الدولي: انها مسألة التضخم المالي. ذلك لان وضعنا الاقتصادي يحتمل ان يكون قضية العالم الرئيسية اليوم.

يا الهي! لقد كنت أظن ان هذه المناسبة ستكون اشد المناسبات خطورة، وان نيكسون سيجابه فيها التهديد الموجه الى رئاسته. وها انا أُفاجأ بخوضه الوضع الاقتصادي بمثل هذا الاسهاب! فصرت كلما أصغيت اليه ازدادُ خوفا وارتقابا. فقد راح يتحدث في امور لا تمت بصلة الى الظروف التي تواجهه كما تواجه الأمة جمعاء. وشعرت بانها محاولة سخيفة ومضحكة لانها تتحاشى القرارات القاسية الواجب عليه اتخاذها.

وفجأة تحوّل نيكسون في حديثه الى ووترغيت والادلة الجديدة، وذكر وكالة المخابرات المركزية والمكتب الفيديرالي للتحقيقات، وقال ان اهتمامه الاول هو الأمن القومي، وان هناك "شؤونا سياسية معينة" جرى بحثها. وأضاف: "أظن من اللائق في الظروف الراهنة ان اسمح بالاطلاع على الأشرطة المسجلة"، وهي الاشرطة التي سجلت عليها محادثاته يوم ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٢ حول استخدام وكالة المخابرات المركزية لعرقلة تحقيقات المكتب الفيديرالي للتحقيقات. وقال انه لا يريد لمجلس

النواب ان يصوت على موضوع احالته الى المحاكمة قبل ان تتوافر لهذا المجلس جميع الحقائق. وأقرّ بان بعض المعطيات الجديدة يلحق به الضرر، بينما بعضها الآخر يبرّىء ساحته، وانه لم يكن هناك "انتهاك متعمَّد للقانون" ولا عرقلة للعدالة، وكل ما في الامر انه "لم يرد ان تختلط الامور الامنية بهذه المسألة الخرقاء".

كان نيكسون جالسا ووراءه النافذة المطلة على الحديقة الجنوبية. وأردف: "ان اجماع الرأي في مجلس النواب يُظهر اننا ستخسر"، وكان يشير بذلك الى المناقشة التي تقرر بدؤها في ١٥ أغسطس (آب)، حول امكان احالته الى المحاكمة. غير اني اريد اظهار الحقائق، وسأتحمل أي ضربات تكال لي. واني مقتنع، بعد استشارة اناس أوفر مني علما بالقانون الدستوري، بانه ليس هناك بينة لذنب يستوجب المحاكمة.

"وأنا على استعداد لتقبل اي حكم يصدره مجلس الشيوخ بحقي، علما بأن النتيجة قد تكون غير مشجعة. لكني أريد ان افعل ما هو الصواب في حق الامة وفي حق نفسي ايضا، ولكن الامة تأتي في المقام الاول. وأنا من اصحاب وجهة النظر القائلة بعدم اتخاذ خطوة من شأنها ان تبدل الدستور وتشكل سابقة للرؤساء في المستقبل. وقد يخالفني بعضكم في هذا الرأي - وانا احترم ذلك - غير اني اتخذت القرار، وأنا اطلب منكم تأييده".

وكان على وشك الانتقال الى موضوع آخر حين قررت انه يتوجب علي ان اتكلم الان والا ضاعت اللحظة، فقلت: "سيدي الرئيس".

وشعرت بان كل الانظار اتجهت نحوي.
- ان لدي ما أقوله لو تكرمتم بافساح المجال.
□ تفضل، قل يا جيري.
- ان جميع الحاضرين هنا يعلمون حقيقة موقفي الحرج. وليس هناك من يأسو لمثل هذه التطورات المؤسفة اكثر مني. وانا اشعر تجاهك وتجاه افراد اسرتك الكريمة بتعاطف شخصي عميق. ولكني اريد ان أؤكد لك بانه لو سبقت لي معرفة ما انكشف من ووترغيت خلال الساعات الاربع والعشرين الماضية، لما كنت أدليت بعدد من التصريحات التي اعلنتها بصفتي نائبا للرئيس.

بعد ذلك بحثت امور أخرى، وعاد نيكسون الى موضوع الاقتصاد مجددا. وقد حاول جورج بوش، رئيس اللجنة القومية للحزب الجمهوري، ان يوجه الاهتمام من جديد الى قضية الساعة الكبرى، قائلا انه ينبغي تدبر موضوع ووترغيت دونما ابطاء، لان انعدام الثقة الشعبية أثر في الاقتصاد. على ان نيكسون اهمل ملاحظته وأضاف كلاما حول خفض الموازنة والاستراتيجية الاقتصادية، قائلا ان خير ما نفعله هو الدعوة الى عقد مؤتمر قمة اقتصادي.

وهنا قاطعه الشيخ السابق وليم ساكسبي، الذي عيّن مدّعيا عاما، بقوله: "في ظني، سيدي الرئيس، ان الواجب ليس عقد مؤتمر قمة، بل التأكد من أن لك القدرة على الحكم".

وللتو تغير جو القاعة وأطبق عليها صمت ثقيل. وأخيرا اجاب نيكسون بصوت مجرد من الانفعال: "أجل، لدي القدرة يا بيل تماما مثلما كانت لي خلال السنوات الخمس ونصف السنة الماضية".

وأحس وزير الخارجية هنري كيسينجر بأن الاجتماع قد يتحول الى مشهد بشع مشحون بالضغائن، فتدخل قائلا: "ان المرحلة التي نجتازها مرحلة صعبة من كل الوجوه. وعلينا ان نبدي الثقة ونظهر ان البلاد قوية ما فيه الكفاية للمضي قدما في الاجراءات الدستورية".

وأخيرا، وبعد مضي ساعة و٣٧ دقيقة، دفع نيكسون مقعده الى الوراء واعطى اشارة بأن الاجتماع قد انتهى. فحملت اوراقي ومشيت بأقصى سرعة ممكنة الى خارج المبنى. وعلمت في وقت لاحق بأن كيسينجر لحق بالرئيس الى المكتب البيضوي وابلغه باسلوب غير مباشر بضرورة استقالته.

استدعاء رئاسي

كعادتي كل اربعاء، توجهت صباح الاربعاء ٧ أغسطس (آب) بالسيارة الى "كابيتول هيل" لتناول الفطور في مبنى جمعية "تشودر ومارشينغ" التي انتميت اليها منذ أسسها النواب الجمهوريون في المجلس عام ١٩٤٩. وما كدت اجتاز منتصف الطريق حتى نقل الي سلك المخابرات السرية رسالة من هيغ يقول فيها "إنس موضوع الفطور ودعنا نلتقي في مكتبك بأسرع ما يمكن".

ووصل هيغ الى مكتبي قبيل الساعة الثامنة، وقال لتوّه: "سيدي نائب الرئيس، أظن أن الوقت حان لان تستعد لتسلم مهمات الرئاسة".

الا انه قرن اعلانه ببعض تحفظات، موضحا ان نيكسون لم يتخذ بعد قرارا نهائيا، وان كان هيغ يظن انه على

وشك ان يفعل ذلك، عندئذ استدعيت بعض اعواني وطلبت اليهم بالحاح ان يعدوا لي، في أسرع وقت ممكن، اسماء فريق انتقالي لتسلم المناصب الحكومية. والواقع اني كنت طلبت بعد ظهر اليوم السابق من هارتمان ان يعد مسودة لخطاب قبول منصب الرئيس. وما كان من هارتمان الا ان ذهب الى احدى دور السينما حيث استسلم ساعات للنوم، ثم نهض في الثالثة صباحا ليباشر الطقطقة على الآلة الكاتبة التي ما برح يطقطق عليها حتى هذه اللحظة. وهذه كانت عادته كل مرة اطلب اليه اعداد خطاباتي: يماطل في كتابتها الى ان يقترب موعد القائها، فيعمل تحت ضغوط جمة. ولقد كنت أستاء من تصرفه هذا وأقلق كثيرا بسببه.

لكن الحق يقال انه ما تقدم الي يوما بخطاب الا من الطراز الاول. ولم يشذ خطاب القبول عن الجودة المعهودة. وما ان شرعت في قراءة المسودة حتى جاشت العواطف في صدري. وترقرق الدمع في عيني حين طالعت قوله: "أنا لست مدينا لامرىء في هذه الدنيا، وانما انا مدين لامرأة هي زوجتي العزيزة".

لكم كان هارتمان متفهما حقيقة مشاعري. وبعدها قرأت سطرا جاءت فيه العبارة الآتية: "يا ابناء وطني ان كابوسنا القومي الذي طال أمده قد تبدد الآن". وبدا لي في هذا التعبير قسوة حادة على نيكسون. وسألت هارتمان ان كان من الافضل الاستعاضة عنه بقول آخر، فأجاب: "كلا! كلا! انه كابوس للجميع – لك انت، ولي انا، ولاصدقاء نيكسون واعدائه على حد سواء، ولكل مواطن في هذه الديار. انها قولة ينبغي ذكرها، وأنت الوحيد الذي يمكنه قولها".

لقد كان هارتمان محقا في رأيه. وفي الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا اتجهت الى مكتب جون رودس، زعيم الاقلية في مجلس النواب، لحضور جلسة الصلاة الاسبوعية كعادتنا كل يوم اربعاء. وضم مجلسنا ايضا نائب ولاية مينيسوتا البرت كيوي ونائب ولاية ويسكونسن السابق ميلفين ليرد. وكنا قد درجنا على عقد هذه الاجتماعات منذ أمد طويل، حيث كانت صلاتنا تتخذ على الدوام الشكل الآتي: يبدأ أي واحد منا بصلاة بسيطة، ثم ننتقل من شخص الى آخر من دون دور معيَّن الى ان يكمل الرجل الاخير صلاته، وعندئذ نشترك جميعا بصوت واحد في تلاوة الصلاة الربّانية "أبانا الذي في السموات..." . ولم يذكر احد منا في هذا اليوم الازمة المستفحلة في عاصمة البلاد، ولم يكن هناك داعٍ لذكرها، اذ لم تكن تضرعاتُ الآخرينَ سوى ابتهالات من أجلي شخصيا نظرا الى احتمال تسلمي منصب الرئاسة. وقد سألت في صلاتي عونه تعالى وتأييده في مؤازرة الاخوان لي حيال التحديات الجديدة التي لا مفر من مواجهتها.

واتصل بي هيغ صباح اليوم التالي وقال بصوت هادىء لمست فيه نبرة الانفراج: "الرئيس يود مقابلتك. ولا اخالك الا عارفا ما يريد التصريح به". وبعد عشر دقائق بالتمام دخلت البيت الابيض، وتوقفت لحظة عند مكتب هيغ باحت خلالها عيناه بكل ما احتجت الى معرفته. ومضيت وحدي الى المكتب البيضوي.

كان نيكسون جالسا وراء طاولته. وما ان فتحت الباب حتى هب واقفا لاستقبالي. فتصافحنا ودعاني الى الجلوس عن يمينه.

رمى الرئيس بكاهله الى الوراء عندما جلس على كرسيه، بينما اشتبكت يداه فوق حضنه وارتسمت على وجهه ملامح الجد والرزانة. لقد كان يعاني، ولا ريب، ضغوطا هائلة شتى، وكانت امارات التوتر بادية في جلسته. الا انه كان مسيطرا على نفسه، وراح يخاطبني بلهجة بطيئة متعمدة، متقحما صلب الموضوع من غير تمهيد:

- لقد توصلت الى قرار الاستقالة خدمة لمصلحة الوطن. وأنا لا أريد الخوض مطلقا في حسنات القرار او سيئاته. وكل ما في الامر انني اتخذت القرار وكفى.

وتوقف هنيهة عن الكلام، ثم اردف:

- جيري، انا واثق من انك ستحسن العمل.

وما ان فرغ من قول هذا الكلام حتى انفرجت أساريره وغدا الحديث بيننا أكثر عفوية وعلى جانب من الظرف. وراح – وقد نفض غبار الاعباء عن نفسه – يسدي الي النصح باعتباري صديقا قديما له. وتحدثنا عن توقيت الفترة الانتقالية وترتيباتها، وقرر نيكسون ان يعلن نبأ استقالته على شاشة التلفزيون تلك الليلة، على ان تصبح الاستقالة نافذة اعتبارا من ظهر اليوم التالي، اي يوم الجمعة، لانه اراد ان يغتنم فترة الصباح في توديع اعوانه المخلصين وافراد اسرهم في القاعة الشرقية من البيت الابيض. واعرب عن أمله في ان اتفهم طبيعة رغبته،

واستطرد انه سيكتب الى هنري كيسينجر، وزير الخارجية، رسالة يعلن فيها نبأ استقالته، وان الرسالة ستبلغ كيسينجر في الوقت الذي يكون نيكسون خارج منصب الرئاسة وفي طريقه الى سان كليمنت كأي مواطن عادي. وعندئذ يمكنني ان أؤدي اليمين الدستورية.

ولم يظهر نيكسون في لقائنا ذاك اي حقد او مرارة تجاه الناس الذين كان ينتقدهم سابقا امامي. ولم يعلق بكلمة على ما تقوله الصحف. ولم يتطرق مطلقا الى ذكر ووترغيت. لكني سمعت ان النقاش الذي دار مع افراد اسرته حول قرار الاستقالة كان حاميا. بيد ان الرئيس لم يأت على ذكر ذلك مطلقا. وأحسست انه قد اتخذ قراره وانتهى الامر في نظره، وغدا همه الوحيد الان تحقيق انتقال السلطة في هدوء ونظام.

دامت مقابلتي مع نيكسون سبعين دقيقة، بحث خلالها باقتضاب كل موضوع ذي بال. ولما نهضت مستأذنا وتوجهت نحو الباب، طوقني بذراعه فقلت في نفسي: "ها هو ذا صديقي القديم الذي اتخذ قرارا سيبدل مجرى حياة كلينا. وها هو يتمنى لي الخير العميم لا لمصلحتي فقط، وانما للبلاد كلها". وخانتني طلاقة اللسان في تلك اللحظة نظرا الى احتدام العواطف التي جاشت في نفسي. ولم ازد على القول له: "حسنا، أراك غدا. تمنياتي الى بات والاسرة". ولكن حتى هذه الكلمات الخفيفة النبرة لم تخرج بسهولة من فمي. وأجاب الرئيس: "انك وبيتي ستحبان العيش في هذا البيت. سنراكم غدا".

وتصافحنا مودعين، ومشيت مسافة الاربعين خطوة التي تفصلني عن سيارة الليموزين في الباحة من دون ان التفت ولو مرة واحدة الى الوراء او ان ارفع نظري الى رجال الخدمة السرية المرافقين لي خشية ان أفضح مشاعري. وكنت احدد النظر الى السيارة المنتظرة امامي، متمنيا ان يفتح لي هؤلاء الرجال بابها بلمح البرق كيما اقبع داخلها وحيدا واخلو الى نفسي.

جوهر الديموقراطية

لا تزال هناك امور عدة ينبغي انجازها، كاختيار مكان أداء اليمين الدستورية والشاهد الذي سأؤدي اليمين امامه، واعداد لائحة باسماء الضيوف، وانتخاب ناطق صحافي جديد، والموافقة النهائية على الكلمة التي سألقيها في الحفل.

لقد جرت التقاليد على ان يؤدي معظم رؤساء الولايات المتحدة اليمين الدستورية على مدرج "الكابيتول". وكعضو سابق في الكونغرس كنت افضل اختيار هذا الموقع. على ان الوقت لا يتسع لاعداد الترتيبات اللازمة، ناهيك بان اختيار "الكابيتول" يضفي على المناسبة جوا من الاحتفال والبهجة لم تكن البلاد في مزاج لتقبله. ولهذا شعرت بان القاعة الشرقية من البيت الابيض انسب واكثر اتضاعا. وهنا سألني هارتمان: "من تريد ان يستحلفك اليمين الدستورية؟"

انه لامر مهم جدا ان اظهر في هذه المناسبة ان الحكومة بفروعها الثلاثة انما تعمل في تناسق ووئام. فاقترحت اسم وارين بيرغر، رئيس المحكمة العليا الذي كان يحضر آنذاك مؤتمرا في لاهاي. فاتصل به مارش هاتفيا. وبعد دقائق أومأ الي بان

اكلمه، فقلت له: "حضرة الرئيس، اظن انك سمعت الاخبار. كم يسوؤني ان اقطع عليك رحلتك، ولكن يسعدني ان تكون معنا هنا في احتفال اداء اليمين".

وقاطعني رئيس المحكمة العليا بسرعة: "اوه. ان الواجب يحتم ان اكون معكم. لا بل اني اريد ان اكون هناك".

واتصلت ايضا بتوماس اونيل الابن (الذي كنا ندعوه "تيب") زعيم الاكثرية الديموقراطية في مجلس النواب. وكنا قد لعبنا معا قبل ثمانية ايام في مباراة للغولف والتقطت لنا مجلة "نيوزويك" صورة فيما كنا نمشي في ممر على جانب النهر وقد القى كل منا ذراعه على كتف الآخر. وكان موضوع تلك الصورة فاتحة حديثي معه. بيد اني دخلت في لب الامر بسرعة نظرا الى ان نيكسون كان سيقدم استقالته الى كيسينجر في الساعة العاشرة صباحا وستصبح نافذة عند الظهر. وقد احببت ان يحضر تيب اداء اليمين الدستورية. وسرعان ما سألني: "هل الزوجات مدعوات ايضا يا جيري؟ اني أسألك لانه سبق لي ان طلبت من زوجتي ميلي ان تعد نفسها!" فأجبته: "الزوجات، يا تيب، غير مدعوات، لكنهن الان اصبحن مدعوات فعلا".

وصمت تيب هنيهة، ثم قال: "اسمع يا جيري، لقد اعددت بيانا لالقيه في الاحتفال، واود ان تسمعه".

وصمت مرة اخرى ثم بدأ يقرأ: "اننا صديقان حميمان في علاقتنا الشخصية. وانا اكن لنزاهته وكرامته وقدراته احتراما عظيما، على رغم ان فلسفتنا السياسية على طرفي نقيض. واني اتمنى له النجاح في التقريب بين اجزاء بلادنا الممزقة حاليا، وله ان يتوقع التعاون من جانب الكونغرس وانا واثق من انه سيتعاون مع الكونغرس وبقية الكيان الامريكي في الايام المقبلة".

– رائع يا تيب. واريد ان اوكد لك اني ساعتمد علك في اسداء المشورة وتقديم العون.

وتنهد تيب وقال:

– أليست بلادنا رائعة وعظيمة يا جيري؟ ها نحن نتكلم الان هذا الكلام وفي امكاننا ان نكون صديقين، علما باني بعد ثمانية عشر شهرا من الان سأجول في طول البلاد وعرضها لاركلك باقصى ما اوتيت من عزم واسدد اليك الطعنات والانتقادات بلا هوادة.

ما اغرب هذا الاسلوب وما اعجبه اذ يخاطب به احد الناس رئيسا جديدا للولايات المتحدة! انه صورة طبق الاصل عن طباع تيب اونيل.

والواقع ان ملاحظته تلك احتوت على مقدار عظيم من الصحة. فنحن فعلا صديقان حميمان، ولكننا في ميدان السياسة عدوان لدودان. وانا لم اشك قط في انه سيبر بوعيده في اقل من ثمانية عشر شهرا، ولكن... أليس هذا هو جوهر الديموقراطية؟

المواجهة

توقعنا وصول ابننا البكر مايك وزوجته غيل من ولاية ماساتشوسيتس، ولكن لم اجدهما في المنزل عندما وصلت اليه في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والعشرين مساء. وكذلك ابننا الأوسط جاك لم يحضر بعد بطريق الجوّ من بيلوستون ناشونال بارك. لكن سوزان وستيفن

كانا موجودين، وقد فرغا للتو من تناول طعام العشاء. وبدا في تصرفهما تحفظ غير عادي لدى جلوسنا في الدار. وعلى رغم انهما لم يعرفا اسرة نيكسون معرفة وثيقة، الا انهما حزنا لما حصل واحسا بالحذر والرهبة ازاء ما سيطرأ على حياتنا من تبدّل.

كان متوقعا ان يظهر نيكسون على شاشة التلفزيون الساعة التاسعة. والواقع أني لم اقو في لحظات انتظاري على مقاومة استرجاع الماضي وروابطي وعلاقتي الطويلة به. فقد كان نيكسون من اول الزملاء الاوائل الذين التقيتهم بعد ادائي القسم الدستوري كعضو في مجلس النواب في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٤٩. وقد تلاقت دروبنا السياسية على مر الايام عبر السنوات الخمس والعشرين التالية مرات ومرات، وتوطدت بيننا اواصر الصداقة. لقد كان نيكسون متوقد الذهن وذا حساسية مرهفة في ما يتعلق بالجو السياسي في البلاد. وهو محنك وذو قدرة فذّة على تحليل شؤون السياسة الخارجية والنفاذ اليها والبت فيها بحزم وصرامة. والحق ان سر قوته كان في اتخاذه القرارات الكبرى. وسجله في هذا الميدان قمة شاهقة. بيد انه كان يأنف من تفاصيل الامور ويسره تفويضها الى مرؤوسيه. وذلك لعمري واحد من الاسباب الكثيرة التي افضت الى استقالته الآن.

ان في معظم الناس عيوبا خفية او خصالا ملتوية لا تطفو على السطح الا نادرا. اما عيب نيكسون الظاهر فهو كبرياؤه واحتقاره ضعف الآخرين. وكثيرا ما سمعته يتكلم بخفة عن اولئك المتلونين الذين يسهل قيادهم حيثما تهب الريح. ودارت بي الافكار وانا جالس في دار منزلنا الى موضوع ووترغيت، ولم ادر ما اذا كان نيكسون قد علم مسبقا بأمر السطو. ولكن لم استطع تصور علمه بذلك، وان كشفت الاشرطة المسجلة الجديدة عن معرفته بالسطو بعد وقت قصير من وقوعه. بيد اني تفهمت الدوافع التي حملته على الشعور بأنه وقع في الفخ وان لا مخرج له منه. فبعض الذين تورطوا في السطو كانوا، مثل جون ميتشل، اصدقاء مقربين اليه، ولم يشأ ان يرغمهم على دفع الثمن او مواجهة العواقب. وحالت كبرياؤه دون ادراكه لفداحة الذنب، واعتبر الاعتراف بالحق ضعفا. وهذا في ذاته خطأ اخر.

واقتربت الساعة المرتقبة، وارتسم على شاشة التلفزيون ذلك الوجه المألوف، واستهل الرئيس كلمته قائلا:

"مساء الخير. شعرت طوال فترة ووترغيت الصعبة الطويلة ان من واجبي ان امضي قدما بثبات وان ابذل كل جهد ممكن لتولي مسؤولياتي طوال الفترة التي انتخبتموني لها. ولكن اصبح من الجلي خلال الايام الاخيرة انه لم تعد لي قاعدة سياسية قوية في الكونغرس تبرر استمراري في بذل تلك الجهود".

"لقد كان يتملكني شعور قوي بضرورة المحافظة على استمرار الاجراءات الدستورية حتى ختامها ما دامت لي في الكونغرس مثل تلك

القاعدة، لان الاقدام على اتخاذ خطوة بديلة لن يكون وفاء لروح تلك الاجراءات العسيرة المتعمدة، وانما ستصبح سابقة خطيرة لعدم الاستقرار مستقبلا. اما الآن وقد تلاشت القاعدة التي اعتمدتها في الكونغرس، فقد بت اشعر بأن اهداف الدستور استوفيت، ولا داعي لاطالة الاجراءات، خصوصا لان المضي في الكفاح عبر الاشهر المقبلة لتبرئة ساحتي سيستغرق معظم الاهتمام والوقت من الرئيس والكونغرس معا في زمن يتوجب توجيه كامل انتباهنا الى القضايا العظمى - قضايا السلام في الخارج والازدهار من دون تضخم في الداخل".

"لذلك، سأستقيل من منصبي اعتبارا من ظهر يوم غد".

طالت خطبته خمس عشرة دقيقة، واقتنعت لدى نهايتها بأن نيكسون لم يكن على صلة بالواقع. واذهلني منه ربط الاستقالة بفقد القاعدة المؤيدة له في الكونغرس. ولا يزال هذا الامر يؤرقني حتى الآن. فلو كان نيكسون على جانب اكبر من الاسف والندامة وطلب الى الامة الامريكية ان تغفر له زلته، لاستجاب الناس له بحرارة اعظم. غير انه لم يستطع ان يخطو خطوته الاخيرة في ذلك الدرب.

اذا، هذه ليلتي الاخيرة نائبا للرئيس. وها ان احتمالات التبدل في حياتي تحبس النوم عن جفني فترة اطول من المعتاد.

"في امكاننا فعلها"

وصلت صباح اليوم التالي الى المكتب التنفيذي القديم الساعة الثامنة والدقيقة الرابعة عشرة، وراجعت خطبتي ثانية، وعالجت امورا اخرى، مدركا ان نيكسون كان في اللحظة يودع اعضاء حكومته وموظفي البيت الأبيض. ولم احضر شخصيا حفلة الوداع. ولكن اخبرت في وقت لاحق ان ملاحظاته كانت فلسفية الطابع، اذ قال لمستمعيه: "تذكروا دائما ان الآخرين قد يبغضونكم، ولكنهم لن يفوزوا بشيء ابدا ما لم تبادلوهم انتم ايضا البغض. وعندئذ تدمرون انفسكم". ولو عمل هو بمقتضى نصحيته للآخرين، لما ازفت هذه الساعة.

وبعيد التاسعة والدقيقة الثلاثين، تلقيت اشعارا بان اسرة نيكسون على وشك المغادرة، فأنضممت انا وبيتي اليهما في قاعة استقبال الديبلوماسيين في الطابق الارضي من البيت الابيض. وكانت طائرة هليكوبتر جاثمة فوق ارض الحديقة الجنوبية بانتظار نقل نيكسون وزوجته الى قاعدة سانت اندروز التابعة لسلاح الجو. فمشينا نحن الاربعة نحو الطائرة، وكان الوداع مؤلما جدا لنا جميعا، وكنا كلنا، بلا استثناء، نتصنع الشجاعة ونتظاهر بالقوة. وما ان بلغنا باب الطائرة حتى وقفنا متمنين لنيكسون وزوجته السعادة والصحة الطيبة. فأمسكني الرئيس من مرفقي وأبقى قبضته لثوان اطول مما ينبغي، كأنما اراد أن ينوب بذلك عن قوله: "اتمنى لك حظا سعيدا". واخيرا حانت اللحظة المرتقبة، فنطق نيكسون بالكلام قائلا: "وداعا سيدي الرئيس".

ومد يده مصافحا، فقلت له: "وداعا سيدي الرئيس".

وتصافحنا وتراجعت انا وزوجتي خطوات، فيما ارتفعت الطائرة قليلا فوق الارض. ولوحت له بيدي للمرة الاخيرة، ثم خطفت يد بيتي وقلت لها: "في امكاننا فعلها... اننا على استعداد". ولم تجب بيتي، ولكنها نظرت الى عيني وابتسمت.

في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين، غادرت مكتب نائب الرئيس ومشيت نحو الغرفة الحمراء في البيت الابيض حيث كانت بيتي في انتظاري. وما هي الا دقائق حتى سرنا برفقة الحرس الى الغرفة الشرقية الغاصة بالناس، وقد تبينت بينهم اولادنا الذين سددوا نظراتهم الي بمهابة واعتزاز في آن واحد.

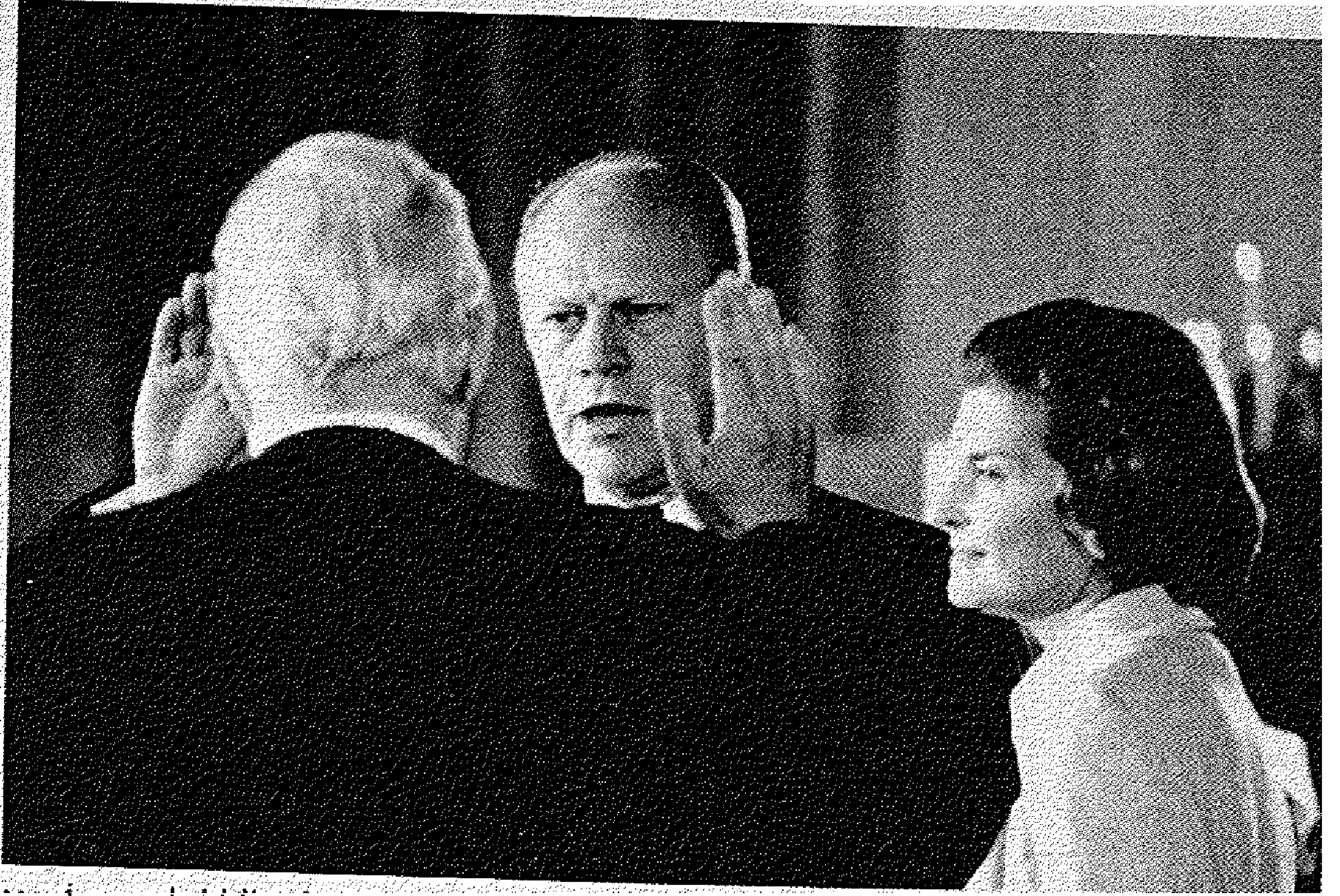
وللتو شرع رئيس المحكمة العليا السيد بيرغر يستحلفني قائلا:

- سيدي نائب الرئيس، هل انت مستعد الآن لأن تؤدي اليمين الدستورية لتنصيبك رئيسا للولايات المتحدة؟

كانت بيتي تحمل الكتاب المقدس، فوضعت يدي فوقه وكررت القسم بعد بيرغر. ثم تقدمت الى المنصة متيقنا من ان اعين العالم تراقبني، وشرعت اقول:

"ان اليمين التي اديتها هي اليمين الدستورية عينها التي اداها جورج واشنطن وكل رئيس للولايات المتحدة من بعده بمقتضى الدستور. غير اني اتسلم مهمات الرئاسة في ظروف غير عادية لا عهد للامريكيين بمثلها من قبل، وان هذه لساعة من التاريخ تؤرق الفكر وتؤلم القلب.

"ولهذا اشعر بانه من واجبي في



جيرالد فورد يؤدي اليمين الدستورية كرئيس للولايات المتحدة بعدما استحلفه رئيس المحكمة العليا وارين بيرغر يوم ٩ اغسطس (آب) ١٩٧٤· وتبدو السيدة فورد الى اليمين·

حدثان الامر ان اتقدم متضامنا مع ابناء وطني لا بخطاب استهلالي ولا باقصوصة تروى حول مواقد النار ولا بخطبة حملة انتخابية، وانما بميثاق لم يسبق له مثيل، هو مجرد كلام صريح قصير بين اصدقاء·

"اني مؤمن بان الحق هو الغراء الذي يلاحم بين اطراف الحكومة· ولا اعني حكومتنا فقط، بل المدنية ذاتها· ولئن كان ذلك الوثاق قد أجهد او توتر، الا انه لم يستدع، لا في الوطن ولا خارجه·

"واني، بصفتي رئيسكم، اتوقع ان انهج في كل اعمالي الخاصة والعامة نهج ما تمليه علي فطرتي في الصراحة والانفتاح، واثقا من ان النزاهة خير سياسة على الدوام·

"يا ابناء وطني،

"ان كابوسنا القومي قد انتهى وزال· والدستور هو الباقي· وجمهوريتنا العظيمة هي حكومة قوانين لا حكومة رجال· وهنا الشعب هو الذي يحكم·

"لقد سألتكم في بدء كلامي ان تصلوا من اجلي· وها انا في ختام اتوجه اليكم طالبا صلواتكم من اجل ريتشارد نيكسون واسرته، لعل الرئيس السابق الذي اتى بالسلام الى الملايين يجد سلاما لنفسه·

"واني - بكل ما اوتيت من قوة وم اكسبتني اياه الحياة من حكمة وبكافة ما يوليني افراد اسرتي واصدقائي والموظفون المتفانون في اعمالهم من ثقة، وبكل النيات الحسنة من عدد لا يحصى من الامريكيين - اؤكد بحزم تعهدي بأ

احافظ على الدستور وان اعمل ما هو حق حسبما يلهمني الله، وان ابذل قصارى جهدي من اجل امريكا.
"وبأزر الله وعونه، لن أخيب آمالكم".

"مدمنو ووترغيت"

حين اصبح جون كينيدي رئيسا عام (١٩٦١، ناشد الشعب بفتح "الحد الجديد" واقسم على ان يقودنا بعيدا عن سلبية عهد ايزنهاور. اما ليندون جونسون فقد كانت لديه رؤى افخم وأجل عندما أكد ان في امكان الحكومة الاتحادية ان تفعل اي شيء حالما تتوافر له الاموال. وتعهد ريتشارد نيكسون بان "يؤلف ما بيننا ويجمع شملنا"، واذا برئاسته تحقق نتيجة معكوسة. وها هي البلاد منذ ايام جون كينيدي تتقاذفها ضربات من حوادث الشغب في مدننا الكبيرة والاغتيالات السياسية وحرب دموية مفرقة للشمل ومسببة للشقاق. اضف الى هذه وتلك بهرجة مشهد ووترغيت السقيمة. فلا غرابة، اذاً، ان شعرت عندما اصبحت رئيسا بأن ما نحتاج اليه هو وقت للشفاء.

ان السنوات المثقلة بالفضائح والشكوك والارتياب بلغت اوجها في استقالة نيكسون، وحطت من معنويات امتنا التي فقدت ثقتها برؤسائها المنتخبين وبمؤسسات حكومتها. وما لم اقم انا بما يرد اليها الثقة والاعتبار، فلن افوز بموافقتها على الاتيان بأي عمل آخر. وقد قال برايس هارلو ان اثمن ما يمكن ان ارجو تحقيقه في ايامي الاولى هو ان استبدل عبوس الامة بابتسامة. ولم يسعني سوى الموافقة على ملاحظته، خصوصا لان نيكسون احجم عن الحديث الى المراسلين وامتنع عن التعامل مع الكونغرس وانقطع عن مخاطبة الشعب. وقد ترتبت علي مهمة النهوض بهذه الامور الثلاثة مجتمعة.

كانت علاقاتي مع الصحافيين ممتازة منذ ايام عضويتي في الكونغرس وخلال الفترة التي قضيتها نائبا للرئيس. وكنت فعلا اتطلع بشوق الى مؤتمري الصحافي الاول يوم ٢٨ اغسطس (آب). وتوهمت ان رجال الصحافة سيركزون اهتمامهم على الاقتصاد واعادة تنظيم موظفي البيت الابيض والمبادرات التي نويت اتخاذها في السياسة الخارجية. لكن هارتمان لم يشاركني تطلعاتي الى المؤتمر، بل حذرني من ان السلك الصحافي لا يكترث الا لقضية واحدة هي قضية نيكسون. فكيف اواجهه؟ لكني لم اعر وضع نيكسون القانوني اي تفكير، خصوصا لان سلطات مسؤولة كانت تنظر في امره. وبدا لي من غير اللائق ان توجه الصحافة الي اسئلة عن رجل مصيره مرهون في يد المدعي العام المختص بقضيته والمحاكم. ولكن اقر بأني كنت على ضلال في رأيي. فما ان ابتدأ المؤتمر حتى انطلق السؤال الاول من مندوبة وكالة "يونايتدبرس"، هيلين توماس، حول ما اذا كنت اعتقد انه يجب ان يتمتع نيكسون بالحصانة، وتوالت بقية الاسئلة التي لم تعد كونها تنويعات للنغمة ذاتها.

وبعد انتهاء المؤتمر عدت الى مكتبي، وسألت مستشاري كم سيدوم اهتمام الصحف بهذا الموضوع وهل

ستوجه الي الاسئلة كل مرة عن مصير نيكسون. فأجابوا جميعا بالتأكيد، قائلين ان السؤال باق ما بقي وضع نيكسون القانوني ومصير اوراقه واشرطته غامضين.

والانكى من ذلك كله هو ادراكي في ما بعد ان اجاباتي يمكن بل يرجّح تفسيرها من وجوه عدة. فقد اجبت، مثلا،عن سؤال هيلين توماس عما اذا كنت اوافق على رأي نيلسون روكفلر في وجوب منح ريتشارد نيكسون حصانة من النيابة العامة بالايجاب، بينما قلت ردا على سؤال آخر اني اعتقد "ان المدعي العام ملزم بأن يتخذ اي اجراء مناسب في حق اي فرد وفي حق الجميع". هذان الجوابان متناقضان في فحواهما، ولم ادر كيف اتحاشى مثل هذا التباين.

ان البلبلة التي ادركت انها ستنجم عن ملاحظاتي والاحساس بان الغموض سيزداد الى ان تسوّى قضية نيكسون نهائيا دفعاني الى مجابهة المسألة باسلوب مباشر سعيا الى ازاحة هذا الحمل الذي تربع كالقرد فوق كتفيّ. وكنت فعلا قد بدأت اصارع في ذهني سؤالا مهما هو: من الذي له الحق الشرعي في اوراق نيكسون وأشرطته؟ لان الموضوع بدأ يقحم نفسه في جدول اعمالي بالحاح متزايد يوما بعد آخر وينهب اوقاتي التي كنت في أمس الحاجة اليها للنظر في الشؤون الاقتصادية المضطربة والمشكلات السياسية الخارجية المتراكمة في ارجاء العالم. وهكذا لم يعد يمكنني، في غمرة ضغوط القضايا المهمة الحرجة التي اخذت تضيق الخناق علي وعلى امتي كلها، ان اعطل كل عمل آخر لا لشيء سوى الرد على سيل لا ينقطع من الاستفهامات عن وضع نيكسون القانوني.

وهكذا، انتحيت عقب المؤتمر الصحافي الاول بمساعدي القانوني فيل بوكن وقلت له: "يا فيل، لست ادري ما الذي ساقرره. انما يجب ان احصل على بعض المعلومات. وقد أردت ان اعلم ما اذا كان يحق لي، بصفتي رئيسا، ان اعفو عن شخص لم تسبق محاكمته او ادانته. وهل يمكن ان اصدر عفوا لا يتضمن اشارة الى جناية محددة؟ وهل يجوز اصدار عفو عام؟

وفي الايام التالية أعطيت احتمال العفو اعتبارا مستمرا ومؤرقا. على اني، وان كنت لم اتوصل بعد الى قرار محدد، الا ان عددا من الاستنتاجات الرئيسية بدأ يتبلور ساعة بعد أخرى ويتجسد اكثر فأكثر. وكان في مقدم ما اخذته في الحسبان عدم اقتناعي بان البلاد تريد ان ترى رئيسا سابقا للولايات المتحدة سجينا خلف القضبان. فنحن شعب يتوق ليس الى الانتقام بل الى الغفران. وهذه سمة متأصلة في صميم التقاليد الامريكية. وفي نظري ان نيكسون قاسى ما فيه الكفاية وان استقالته كانت اعترافا ضمنيا بالذنب وانه سينوء على مدى الايام تحت ثقل علمه بان افعاله حطت من قدره في أعين مواطنيه. ومع ذلك، لم تكن دوافعي منبثقة أساسا من الشفقة لمصابه او القلق على وضعه الصحي، وانما الذي قضّ مضجعي هو حال بلادنا الصحية.

لقد صدق الميجور بوب باريت، احد الاعوان العسكريين، حين قال: "نحن جميعا مدمنون على ووترغيت. بعضنا يتعاطاها حقنا في العروق، وبعضنا يستنشقها بالشم، والبعض الآخر يضيف اليها "رشّة" لتغيير نكهتها. ولكننا كلنا مدمنون عليها، وسيستمر هذا الادمان الى ان يقوم بين الناس قائم يعلن على الملأ اننا كأمة يتوجب علينا ان نكف عن تعاطيها على الفور وان ننقطع عنها نهائيا، والا متنا من فرط تجرعها".

ما خالجني شك مطلقا في ما سيحدث لو سمحت للتهم الموجهة الى نيكسون بأن تأخذ مجراها القانوني. عندئذ ستأخذ القضية أشهرًا طويلة بين اجراءات توجيه التهمة واجراءات المحاكمة، وسيستغرق البت فيها نهائيا سنوات. فان قصر امدها فلن تنتهي قبل عامين على الاقل، وان طال دامت ست سنوات كحد اقصى. وفي خلال ذلك ستهيمن قصتها وتطغى على كل شيء سواها، ولن تقوى على منافستها اي قضية اخرى. فأي مشهد سيكون اشد اثارة من مشهد رئيس دولة سابق يجاهد من أجل بقائه خارج السجن؟ وسيستحيل عندئذ توجيه الانتباه الى اي مشكلة اخرى، وستجتاح البلاد لسنوات امواج متلاطمة من المماحكات والمهاترات مما سيعود عليها بالوبال، في حين انها تحتاج الى الانتعاش لا الانتقام، والى تنقية الكيان الامريكي من تلك الكراهية كيما تبدأ عملية الشفاء.

العفو

احتفظت بهذه الافكار سرا مطويا في صدري. وفاتحت خمسة من كبار معاوني حول امكان العفو، وهم بوكن وهيغ وكيسينجر وهارتمان ومارش، واستحلفتهم فردا فردا بكتمان الامر. وكنت اعلم ان بوكن يحبذ الفكرة. اما كيسينجر فقال انها في اعتقاده عمل سليم لان مشهد محاكمة رئيس سابق سيضر بسمعة بلادنا دوليا. بينما اعرب هارتمان ومارش عن تحفظاتهما، ولكنهما لم يعترضا على عدالة الفكرة او يخالفاني الرأي في انها السبيل الاوحد لتصفية القضية واقصائها بعيدا عن المكتب البيضوي الرئاسي. غير انهما شعرا في الوقت نفسه بأن من واجبهما تقديم حلول بديلة. وقد قال هارتمان: "سيدي الرئيس، المسألة ستشن عليك نيران الجحيم من جانب الصحف وسيجن جنون السلك الصحافي في البيت الابيض".

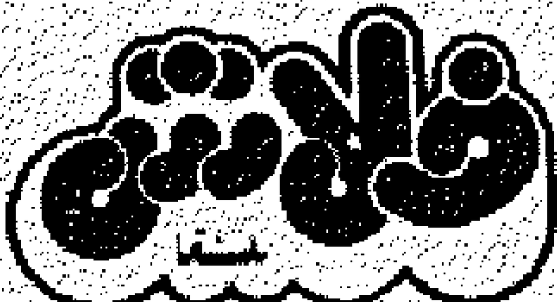
اجتمعت مرة اخرى مع فيل بوكن في ٣ سبتمبر (ايلول) فأفادني بأن صلاحية العفو مخولة للرئيس وانها صلاحية موغلة في القدم وتستند الى اسبقيات يرجع تاريخها الى زمن يسبق عهد الآباء المؤسسين الذين وضعوا الدستور وتبنوه. والجدير بالذكر ان هذه النقطة بالذات اثيرت في مؤتمر الدستور وقرر عندئذ تخويل الرئيس صلاحية العفو قبل الادانة. وفي تاريخنا اسبقيات كثيرة تؤيد هذه النظرة، فضلا عن الحكم الذي اجازته المحكمة العليا بأن العفو "ينطوي على تثبيت الذنب، وقبوله، والاعتراف به".

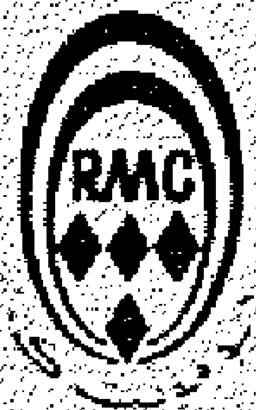
ولم أكن قد اتخذت قراري النهائي بعد، ولكن اتضح لفيل اني كنت أنزع الى اصدار عفو، فقال: "انظر. في





مَجلة الجيل الجديد
ستيكرز * تسلية ★ فكاهة





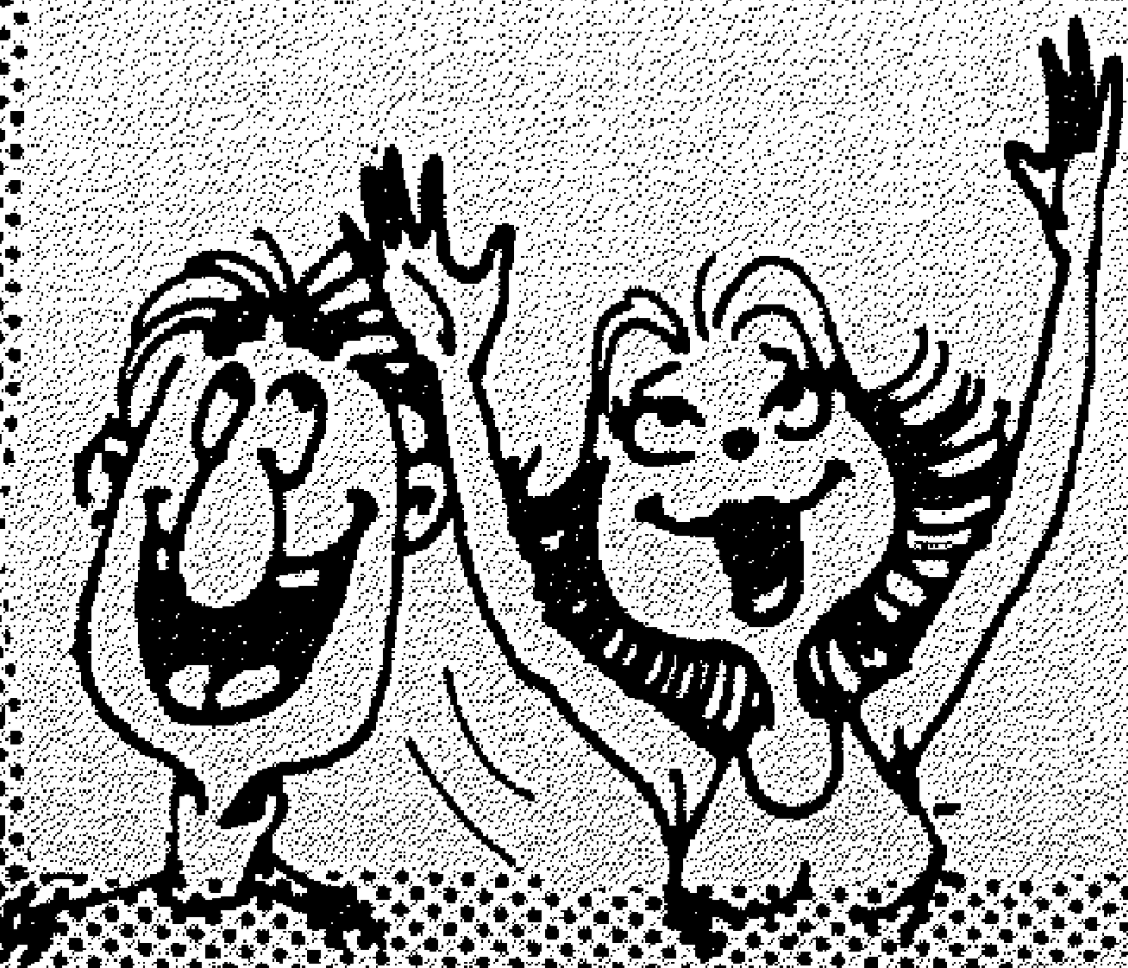


مجلة «فلاش» افضل استمتاع للجميع.

«فلاش» مجلة الابواب الثقافية والمسلية التي تتيح للقراء الصور الملّونة اللاصقة والنكات الحلوة الذكيّة والجوائز القيّمة والتعارف لمحبي المراسلة والمقال المشوّق للذين يبغون المعرفة والاطلاع في كل المجالات.

مجلة «فلاش» دخلت المدارس لتقدم للأوائل ما يستحقونه من جوائز ثمينة ومنح نقديّة مغريّة.

اقرأوا كل شهر «فلاش» المجلة التي تدخل كل بيت في كل وطن عربي.



اعتقادي انه يجب عليك، ان كنت مزمعا على هذا الامر، ان تتيح لي الفرصة لارى الحد الذي يمكن الذهاب اليه للحصول على اتفاق حول الاوراق والاشرطة.

حقا ان القضية كانت اعوص واشد تعقيدا مما بدا للوهلة الاولى. ففي البيت الابيض وفي المكتب التنفيذي القديم قرابة ٩٥٠ شريطا مسجلا و٤٦ مليون ورقة مدونة تعتبر من وجهة تقليدية ووفقا للقرارات التي اصدرها الرجال الذي شغلوا منصب المدعي العام ملكا للرئيس السابق. وكان نيكسون متلهفا للحصول عليها، الا ان المدعي العام ليون جاورسكي، الذي كلف النظر في قضية نيكسون، كانت له هو الآخر مصلحة في رؤية المواد، كما كانت لهيئة الدفاع في قضية ووترغيت مصالح فيها. وتوجب علينا ان نوفق، بطريقة ما، في ارضاء هذه المصالح المتضاربة وان نفعل ذلك باسلوب يطمئن جميع الناس بعدم اتلاف هذه المواد او تعديل شيء فيها، خصوصا في ضوء اكتشاف فترة صمت في احد الاشرطة تدوم ثماني عشرة دقيقة ونصف دقيقة، وهو شريط يعدّ بالغ الاهمية.

بدأ قرار العفو في المباحثات اللاحقة يتبلور ويتخذ اطار ارتباط متين باتفاق يتحكم بهذه المواد ويقترن ببيان من نيكسون يعترف فيه بتورطه في ووترغيت. وسعيا الى انجاز مثل هذا الاتفاق، اراد هيربرت ميلر (جاك)، محامي نيكسون، ان يتوجه الى سان كليمنت واقترح اصطحاب احد موظفيّ القانونيين. فأخترت بنتون بيكر الذي شغل سابقا منصب النائب في وزارة العدل والذي يعمل الان لحسابه الخاص، وكلفته بالمفاوضة على اتفاق يشمل الاوراق والاشرطة وبالبحث مع نيكسون حول استجابته في حال اتخاذي قرارا بالعفو. وخوّلت بيكر ان يقول له الآتي: "ليس هذا الامر مفروغا منه، ولكنه من أكثر الاحتمالات ترجيحا".

ولدى عودته الى واشنطن، روى لي بيكر قصة مثيرة جدا. فهو لم يكد يصل الى سان كليمنت في وقت متقدم جدا من الليل حتى بادره رون زيغلر، السكرتير الصحافي السابق لنيكسون، بقوله: "دعنا نبحث الموضوع من أوله. ودعني اوضح لك ان نيكسون لن يصدر اي بيان من اي نوع على الاطلاق بخصوص ووترغيت، سواء أعَفا عنه جيري فورد او لم يعفُ".

ها أنذا أجابَه مرة أخرى بالموقف المتحدي ذاته الذي طالما اعرب عنه زيغلر ايام خدمته سكرتيرا صحافيا للرئيس. وها هوذا يشير الى نيكسون وكأنه لا يزال رئيسا، ويكنّيني كعادته باسمي الاول مجرّدا، للاستخفاف. بيد ان بيكر ما ان سمع منه ذلك الكلام حتى هدد بان يقفل راجعا لتوّه. وعندها تدخل ميلر وافلح في تهدئتهما حتى اتفقا على اللقاء ثانية في اليوم التالي.

تركزت المفاوضات في النهار التالي على الاوراق والاشرطة. وبحلول نصف النهار، تم التوصل الى حل وسط هو ان يتقاسم نيكسون الاوراق والاشرطة مع الحكومة، بحيث يكون هناك مفتاحان لمكان خزن تلك المواد، احدهما في يد نيكسون

والآخر في حوزة الحكومة. وسيكون نيكسون وحده الذي يخوّل مدّعيه العام او اي شخص سواه حق التدقيق في محتوياتها. واتصل بيكر هاتفيا بفيل بوكن الذي اعلمني بتفاصيل الامر. وبدا لي ان بنتون وفيل مقتنعان بأن ذلك افضل ترتيب يمكن اعتماده. فاتخذت، بناء على توصياتهما، قرارا بقبول الاتفاق. ثم تحولت المباحثات في سان كلمينت الى رد فعل نيكسون في حال منحي اياه العفو. وكانت المسودة التي اعدها زيغلر بادىء الامر بمثابة الكارثة في نظر بيكر، لانها تخلص الى نتيجة انه كان ينبغي على نيكسون ان يعطي موظفيه صلاحية اقل في التصرف. وذلك كل ما في الامر.

وأعد زيغلر ثلاث مسودات أخرى لم يرض بيكر عن اي منها، لانها لم تكن "الاعتراف الكامل" الذي كان يأمل في الحصول عليه من الرئيس السابق، ولانه ظن ايضا ان المسودة الاخيرة ستقصر كثيرا عما توخيته انا. وعلى رغم ذلك، فقد ظن بيكر أن نيكسون ربما صرح بجل ما يمكن ان يصرح به، وأن القرار النهائي يعنيني انا وحدي. لذلك ابلغ زيغلر بأنه سيحمل المسودة الاخيرة الى واشنطن ليرى ما اذا كانت تفي بالغرض المطلوب. وطلب - متذكرا تعليماتي له - مقابلة نيكسون شخصيا. لكن زيغلر رفض ذلك. وتدخل ميلر مرة اخرى قائلا انه لا يرى ضيرا في المقابلة. وأخيرا قال زيغلر: "حسنا. يمكن ان تدخل الى مكتبه الان".

كان المكتب صغيرا جدا ومظهره يدل على ان صاحبه انتقل اليه أخيرا. وكان نيكسون يجلس وراء الطاولة ويبدو - حسبما ابلغني بيكر في وقت لاحق - متزعزعا، وقد اخذت منه الشيخوخة مأخذها خلال الشهر الذي مضى على استقالته. وكانت مصافحته واهنة جدا.

وشرع بيكر يخاطبه: "سيدي الرئيس، لقد انجزنا انا واعوانك اهدافا حسنة جدا للأمة ولك شخصيا في ما يتعلق باوراقك".

ولم تبدو اي استجابة من نيكسون الذي تكوّر في كرسيه وكأنه لا يستطيع متابعة مجرى الحديث، مثله مثل شخص على وشك ان يفقد ارادة الحياة. وانتقل بيكر الى موضوع العفو قائلا: "انا متأكد من ان السيد ميلر والسيد زيغلر قد أبلغاك ان الرئيس فورد يفكر الان في العفو. كما اعلم انهما أطلعاك على مسودة الوثيقة. لكن هناك امورا محددة يجب ان تعرفها بالنسبة الى العفو، ومن واجبي التأكد من انك عالم بها".

أراد بيكر ان يكرر وجهة نظر البيت الابيض في ان قبول العفو ينطوي على اعتراف بالذنب. غير ان نيكسون لم يشأ طرق الموضوع. وبدلا من ذلك سأل عن مكان اقامة بيكر، ودهش حين عرف انه من واشنطن. وحين أكد له بيكر ذلك، سأله الرئيس الامريكي السابق: "قل لي ما حال فريق "ردسكينز" (لكرة القدم) هذا العام؟"

- لست ادري، سيدي الرئيس، انما لدينا مواضيع مهمة للكلام حولها.

ومرة اخرى أكد له بيكر النقطة الجوهرية، وهي ان قبول العفو يشكل

اعترافا بالذنب. فلم يزد نيكسون على التلفظ بهمهمة: "آه ها".

لقد كان تركيزه محدودا وملاحظاته قصيرة ومبتورة. وبعد نحو عشرين دقيقة غادر بيكر المكتب وانتظر مع ميلر وصول السيارة التي تقلهما من سان كليمنت. وفي تلك الساعة جاء زيغلر واستدعى بيكر لان نيكسون اراد مقابلته مرة أخرى.

- لقد كنت دمثا معي، وأنا عييت من كثرة المتمرّين.

وتلعثم نيكسون في كلامه وحول نظره بعيدا، ثم أضاف بعد برهة: "اريد ان اعطيك شيئا. ولكن انظر: لم يعد في المكتب شيء لانهم اخذوا مني كل الاشياء".

وشعر بيكر بحرج شديد وقال: "لا بأس، لا بأس سيدي الرئيس".

وقاطعه نيكسون: "لا، لا، لا. لقد طلبت الى بات ان تحضر الى هاتين...". وفتح نيكسون درج طاولته وأخرج علبتين صغيرتين فيهما زرّان لكمَّي القميص ودبوس لربطة العنق، وقال: "لقد جاءتني بها بات من صندوق مجوهراتي الخاص. ولن تجد في الدنيا مثيلا لها، واريدك ان تحتفظ بها".

تناول بيكر العلبتين وصافح نيكسون وخرج بأقصى ما اوتي من سرعة، لانه لو تريث لحظة أخرى لانهارت اعصابه وأجهش بالبكاء كما أخبرني. ومضى يقول: "لست طبيبا، وانما يخامرني شك كبير في ان يعمر ذلك الرجل حتى الانتخابات".

فقلت له: "لا يزال عام ١٩٧٦ بعيدا".

وأجاب: "لا أعني ١٩٧٦، وانما ١٩٧٤".

لم يكن بيان العفو من جانب نيكسون ملائما. وكنت اخاله سيكون اكثر استجابة لفكرة تصفية القضية، ولكنه لم يكن مستعدا بالمقدار الذي توخيته. فقد خلا بيانه من الاعتراف بالذنب. وشعرت بخيبة الامل، علما بأني كنت اقدم على مغامرة خطرة لم يستجب هو لها بالحساسية اللازمة.

الحق اني كنت قد توصلت الى قراري قبل ان يتوجه بيكر جوا الى سان كليمنت، لانه ليس في وسع المرء ان يتباطأ كثيرا في انتزاع ضمادة الجرح، ولايماني بانه كلما اسرعت في اصدار العفو كان في ذلك خير للبلاد. وقررت اعلان القرار صباح اليوم التالي، اي الاحد ٨ سبتمبر (ايلول). لكن الامور تشابكت على الفور عندما اتصل بيكر هاتفيا بسان كليمنت ليجد ان زيغلر شرع يعدّل في بيان قبول نيكسون العفو ويخفف من لهجته. وقال بيكر: "اخشى، اذا هو استمر على هذا المنوال، ان نعود من حيث أتينا".

فقلت له: "اتصل بزيغلر واعلمه اننا لن نحتمل مزيدا من الضعف في البيان". وقد أثر هذا الكلام معه، واوقف محاولاته في تغيير كلمات نيكسون.

وقبيل الحادية عشرة صباحا دخل فريق مصوري التلفزيون ومهندسي الصوت الى المكتب البيضوي. وما ان ابصرت الضوء الاحمر يومض في اسفل عدسة الكاميرا حتى قرأت الآتي:

"سيداتي سادتي، لقد توصلت الى قرار شعرت بضرورة اعلامكم وجميع المواطنين الامريكيين به حالما أيقن

عقلي واقتنع ضميري بأنه العمل الحق.

"ان ضميري يملي علي، في وضوح ويقين، انه ليس في وسعي ان اطيل أمد الاحلام المزعجة التي ما زالت تعيد وتجتر فصلا من كتاب قد طوي. ان ضميري يقول لي اني انا وحدي، بصفتي رئيسا للبلاد، أملك السلطة الدستورية لطيّ صفحة هذا الكتاب بحزم وبصورة نهائية. وضميري يحدّثني بان واجبي لا يقتصر على اعلان الهدوء والسلام في الداخل، وانما يحتم علي استخدام كل وسيلة في متناول يدي لضمان ذلك".

ثم بدأت قراءة اعلان العفو نفسه:

"وهكذا، فانني انا، جيرالد فورد، رئيس الولايات المتحدة، قد منحت الان، وفقا لصلاحية العفو التي خولني اياها الدستور، عفوا كاملا وحرا ومطلقا لشخص ريتشارد نيكسون عن جميع الذنوب التي ارتكبها في حق الولايات المتحدة، او الذنوب التي ربما ارتكبها او اشترك في ارتكابها خلال الفترة الممتدة من ٢٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ حتى ٩ أغسطس (آب) ١٩٧٤".

وأخيرا انتهت القضية. وشعرت كأن حملا ثقيلا لا يتصوره العقل ارتفع فجأة عن كتفيّ. لقد اتخذت قرارا محقا بكل تأكيد. ويمكنني الان استئناف اعمالي من دون ان يطاردني نيكسون او تتعقب مشكلاته خطواتي. وسيمكنني - ولا شك - أن أكرس اوقاتي تكريسا تاما للمشكلات الكثيرة التي تواجهني وتواجه الامة.

ولكن لم يمض وقت قصير حتى ادركت كم كنت مخطئا في ظني.

ردّ الفعل

حظيت خلال الشهر الاول من فترة رئاستي بتغطية صحافية مكثفة يتمناها ويكاد لا يحصل عليها اي رجل سياسي. ولكن ايقنت، بفضل تمرّسي في السياسة زمنا طويلا، ان مثل هذه الشعبية الهائلة لا تدوم ابد الدهر. أما ان تردّ الصحف على قرار العفو بشن حملة عدائية عنيفة ضدي، فهذا ما لم اتوقعه. ويبدو لي ان بعض معارضي نيكسون تمنوا رؤيته مسحولا مقطع الاوصال، فيما كنت أظن ان الناس سيعتبرون استقالته في ذاتها عقوبة وأهانة فيهما الكفاية. وتوقعت ان ألمس روحا على جانب اعظم من التسامح، وان يتفهم الناس الاسباب التي حدتني على اتخاذ القرار.

وهكذا اصبح اجراء العفو سببا لأكبر خيبة عرفتها في فترة رئاستي، اذ رأيت الناس يركّزون اهتمامهم على الشخص لا على القضايا المحدقة بهم. ولكم تمنيت ان يتفهم الناس ان قراري بمنح العفو لم تكن له صلة بأي عطف قد اشعر به تجاه نيكسون شخصيا او بأي قلق على وضعه الصحي. ومهما يكن الامر، فانه يجدر بي ان أقرّ بأن حديثي التلفزيوني لم ينجح في التأكيد على نحو ملائم على اني اردت ان اكرّس كل اهتمامي للامور الخطيرة في مجالي الاقتصاد والسياسة الخارجية، كما أخفق في التركيز الوافي على الناحية القانونية، وخصوصا ما صدر عن المحكمة العليا من ان العفو ينطوي على الاعتراف بالذنب.

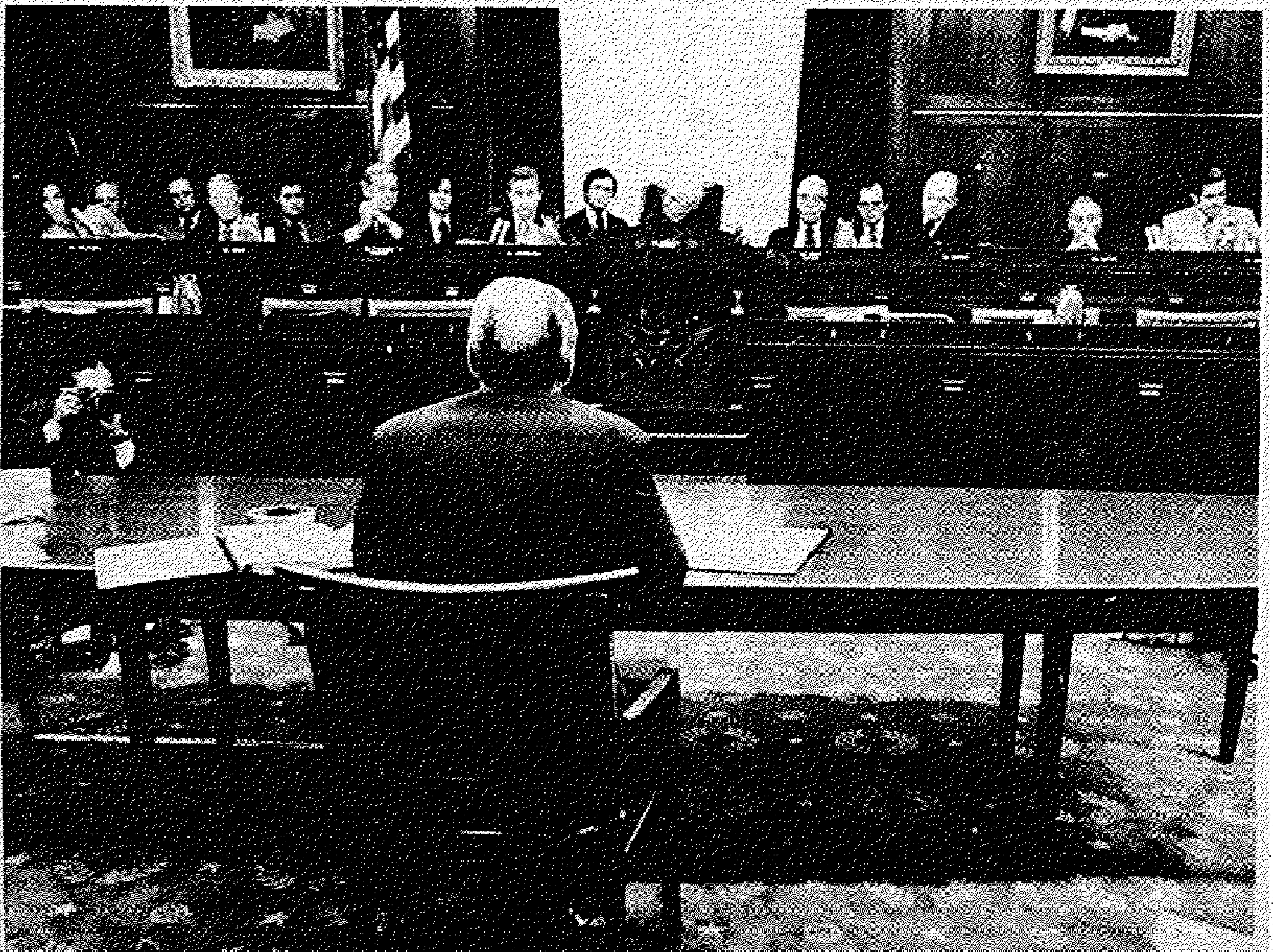
كنت اعرف يوم اصبحت رئيسا ان الرئاسة لن تكون بساطا من الورد وان القرارات القاسية تتمخّض احيانا عن

ردود فعل عنيفة. بيد اني لم اكن مهيّأ لاستقبال الاتهامات التي زعمت ان العفو جاء نتيجة "صفقة سرية" دُبِّر امرها مع نيكسون قبل استقالته، وان اختياري صباح يوم الاحد - وهو وقت يقل فيه عدد المتفرجين على التلفزيون - موعدا لاذاعة العفو هو "برهان" على وجود مؤامرة.

وفي صباح يوم الاثنين نقلتني طائرة سلاح الجو الرقم ١ - وهي طائرة الرئيس الامريكي - الى بيتسبورغ حيث كان مقررا ان القي خطابا. واذا بمتظاهرين يستقبلونني بهتافات: "احبسوا فورد، اسجنوه"، بينما وقف عامل بالقرب من سياج المطار يصرخ في المراسلين: "المسألة مدبرة. قال لنيكسون: هاتِ المنصب وسأعطيك العفو". وشعرتُ عندئذ بأني، بدلا من ان اشفي الجراح بقراري، فركتها بالملح.

وبدأ يتضح لي في نهاية الاسبوع الاول من اعلان العفو مدى الضرر السياسي الذي لحق بي. ومن بين اربعة آلاف رسالة الى البيت الابيض، كان عدد الرسائل المؤيدة اقل من ٧٠٠. وتدنـَّت شعبيتي في استفتاء الرأي العام تدنيا حادا من ٧١ في المئة الى ٤٩ في المئة.

وفي ١٦ سبتمبر (ايلول)، عقدت مؤتمري الصحافي الثاني منذ تسلمي منصب الرئاسة. وطرح فيه اثنان



الرئيس فورد يدلي بشهادته امام اللجنة الفرعية للقانون الجنائي في ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤.

١٢٥ مليوناً
العبها واربح معها

الضمــــان

ان دفع هذه المبالغ مضمون
في الدورة الواحدة (نصف عام)

٧ × مليون = ٧٠٠٠٠٠٠	مارك
٨ × ١/٢ مليون = ٤٠٠٠٠٠٠	مارك
١٢ × ١/٤ مليون = ٣٠٠٠٠٠٠	مارك
٦ × ١٠٠٠٠٠ دم = ٦٠٠٠٠٠	مارك
١٤ × ٨٠٠٠٠ دم = ١١٢٠٠٠٠	مارك
١٨ × ٥٠٠٠٠ دم = ٩٠٠٠٠٠	مارك
٢٢ × ٤٠٠٠٠ دم = ٨٨٠٠٠٠	مارك
٢٦ × ٣٠٠٠٠ دم = ٧٨٠٠٠٠	مارك
٣٠ × ١٠٠٠٠ دم = ٦٠٠٠٠٠	مارك
٣٠٣ × ١٠٠٠٠ دم = ٣٠٣٠٥٠٠٠	مارك
٤٤٠ × ٥٠٠٠ دم = ٢٢٠٠٠٠٠	مارك
١٦٨٠ × ٢٠٠٠ دم = ٣٣٦٠٠٠٠	مارك
١٣١٢٠ × ١٠٠٠ دم = ١٣١٢٠٠٠٠	مارك
٨٤٨٠٠ احتى ٨٠٠ دم = ٨٥٠٤٠٠٠٠	مارك
٤٨٦٠٠٠ جائزة مجموعها ١٢٥٦٢٠٠٠٠	مارك

أكبر يانصيب في أوروبا
يتيح لك مرة اخرى
فرصة شائقة للربح،
يتوافر لك فيها امكان لم يسبق له مثيل
يجعلك من اصحاب الملايين
بين ليلة وضحاها

- فقط ٤٠٠،٠٠٠ ورقــة تعرض للبيع
- في مقابل ٤٨٦،٤٠٠ جائزة مضمونة في كل دورة!
- ويبلغ مجموع الأرباح: ١٢٥،٦٢ مليون مارك الماني.
- سبع جوائز كبرى كل منها بمليون مارك.

منذ ٣٢ سنة ويانصيب "سودوتش كلاسنلوتري" يصنع رابحين سعداء. وما زالت أعدادهم تتزايد عاماً بعد عام، نظراً الى الفرص الممتازة التي يتيحها لاصحاب الحظوظ، كونه لا ينفق شيئاً من دخله على التبرعات الخيرية، وكون الرابحين يتسلمون جوائزهم خالية من الضرائب.
ومن المعروف ان المارك هو من أقوى العملات في العالم، وفي ذلك حفز للكثيرين على شراء ورقة من هـذا اليانصيـب الذي تشرف الحكومة عليه. وفي استطاعة أي فرد ان يشترك فيـه، والأمر سهل وبسيط. يجري اعلام الرابحين شخصيا وبكتمان بمعرفة الحكومة وفي اشرافها. اذا شئت ان تصبح رابحاً محظوظاً فلا تتأخر، بل اكتب اليوم للحصول مجاناً على كراسة اليانصيب وصورة الطلب الخاص بقسيمة الاشتراك:

GREGOR FRANKFURT
STATE ACCREDITED LOTTERY OFFICE

WORLD WIDE SERVICE
State Accredited Lottery Office
GREGOR
Rüsterstraße 24, P.O.Box 119020
D-6000 Frankfurt/Main (W.-Germany)

Please mail order form and Free brochure with all details for the next cycle of the SÜDDEUTSCHE KLASSENLOTTERIE

Mr./Mrs./Miss

Street address (or P.O.Box-No.)

City (Postal code No.)

Country

Please print or type all entries.

وعشرون سؤالا، خمسة عشر منها تتعلق اما بالعفو واما بالاتفاق الخاص باوراق نيكسون وأشرطته. وكانت نبرة الاسئلة تنضح بالشبهات: هل كان لديك "سبب سري" لمنح العفو؟ لماذا اخترت اعلان القرار "صبيحة الاحد على حين غرّة"؟ هل العفو "يسعف حقا في تضميد جراح الامة"؟ هل هناك "نوع من الترتيبات والصفقات" بينك وبين الرئيس السابق؟ وأيقنت هنا ايضا اني لم افلح في عرض المسألة عرضا سليما ووافيا.

فترة "اللاصفقة"

مرت بضعة اسابيع وانا اصارع الشؤون الاقتصادية واعالج مشكلات خطيرة في نطاق السياسة الخارجية. وبدأت تخمد تدريجا نيران الاحتجاج العام على قرار العفو. الا ان عددا من الليبراليين الديموقراطيين في الكونغرس ظل يحاول فتح القضية من جديد "ليرى ما اذا كان هناك صفقة". وتقدموا، حالما منحت العفو، بعدد من الاقتراحات ذات الاولوية في مجلس النواب التي تطلب مني التجاوب مع تحقيقاتهم. والامر الذي يفعله رئيس الجمهورية في معظم الحالات بالنسبة الى قرار ذي اولوية هو انه يحيله الى مسؤول حكومي يتمتع بصلاحيات في موضوع الخلاف. وعلى رغم ذلك، لم يسعني في حال العفو تفويض الصلاحية الى اي شخص اخر لانها صلاحية منوطة بي وحدي.

والواقع ان وليم هانغيت، النائب الديموقراطي ورئيس اللجنة الفرعية للقانون الجنائي المنبثقة عن اللجنة التشريعية في مجلس النواب، لم يكن مهتما بمتابعة القضية. غير ان نوّابا ثلاثة – هم جون كونييرز وبيلا آبزوغ واليزابيت هولتزمان – الحّوا عليه طالبين جوابات محددة عن اسئلتهم. واستشاط غضب تلك المجموعة من النواب حين ارسل اليها احد موظفي البيت الابيض رزمة من البيانات الرئاسية ونسخا مدونة لمؤتمري الصحافيين. وحاولنا حينذاك ان نضع مسودة لرسالة تجيب عن اسئلة النواب، ومنها: "هل سبق ان بحثت في مسألة العفو مع أي عضو من موظفي نيكسون قبل ان تصبح رئيسا؟" وكان الاشخاص الوحيدون الذين علموا بما دار خلال اجتماعي مع هيغ يوم الخميس الاول من اغسطس (آب) هم هارتمان ومارش وهارلو. وأخيرا قلت:

– اتدرون؟ اراهنكم بأن خير ما يمكنني فعله هو التوجه بنفسي الى "كابيتول هيل" للادلاء بافادتي ووضع النقاط على الحروف.

وعارض هذا الرأي بوكن وآخرون على اساس عدم وجود سابقة في تاريخ امتنا الرئاسي لمثل هذه الخطوة. فلم يسبق، على حد علمهم، ان ادلى الرئيس التنفيذي منذ زمن جورج واشنطن بشهادته في جلسة رسمية تعقدها لجنة من الكونغرس.

لم يكن لدي ما اخفيه. والظهور امام اللجنة خير من توجيه رسالة يمكن ان يقتطف منها اعضاء اللجنة اقوالا خارج نصوصها. فضلا عن انه اذا ما أحجمت الان عن الادلاء بافادتي، فسيستمر الجدل وتتكاثر انواع الاستنتاجات العجيبة والغمزات والتقولات. والسبيل الوحيد لقطع الطريق عليها هو مجابهة اعضاء اللجنة وجها لوجه.

توجهت الى "كابيتول هيل" يوم ١٧ اكتوبر (تشرين الاول)، ودخلت الغرفة ذات الرقم ٢١٤١ في مبنى "رايبورن هاوس". وكانت تلك هي الغرفة نفسها التي مثلت فيها خلال جلسات التحقيق قبل تثبيتي في منصب نائب رئيس الجمهورية، وذلك قبل قرابة عام واحد من هذا الوقت. وجلست على كرسي الشاهد وفسرت لاعضاء اللجنة ان العفو كان يرمي الى "تبديل محور اهتمام امتنا، لانني اردت ان ابذل ما في وسعي لزحزحة انتباهنا من مطاردة رئيس كبا جواده الى ملاحقة الاحتياجات الملحة لامة جديدة". وذكرت أمر اجتماعي مع هيغ في الاول من اغسطس (آب)، وأكدّت على ان العفو - كما قال هيغ - لم يكن سوى خيار واحد بين عدد كبير من الخيارات التي بحثها رجال البيت الابيض في ذلك الوقت، وعلى اني لم آت بفعل او قول يستشف منه حتى الميل المجرّد الى فكرة او أخرى. ثم توقفت عن الكلام في انتظار اسئلتهم.

شكر اعضاء اللجنة قراري بالمثول امامهم، واعربوا عن املهم في ان تجلو شهادتي ذلك الصباح أي شكوك متبقية ازاء العفو. وكانوا جميعا لطفاء الا اليزابيت هولتزمان، النائبة الديموقراطية المتعصبة لحزبها، وهي من بروكلين (ولاية نيويورك). وسرعان ما اتضح انها لن ترضى بأي شيء اقوله واعربت عن "فزعها" من ان "التحقيق الذي جرى اليوم لن يعطي الشعب الامريكي الحقيقة كاملة" بالنسبة الى قرار العفو. وعلقّت هي نفسها على اسئلتها، مؤكدة انها تنبثق من "شبهات قاتمة جدا ثارت في اذهان المواطنين"، وأضافت ان كل شخص يحار في ما اذا كانت هناك صفقة ما. وعندها استطعت ان اقحم قولي بين كلماتها المتدفقة: "لم تكن هناك اي صفقة بتاتا في اي ظرف او قالب".

بيد انها، بطبيعة الحال، لم تصدقني، بل جابهتني بتسعة اسئلة اتهامية متلاحقة دونما توقف، ولو من قبيل المجاملة، لتتيح لي فرصة الرد عليها. وقد أُحرج اعضاء اللجنة الآخرون، بمن فيهم الديموقراطيون، من فرط قحتها. وايقنت، في ختام الجلسة التي دامت ساعتين، ان مثولي الشخصي امامهم قد حقق الهدف المنشود. وقلت: "أرجو أن أكون تمكنت، على الاقل، من تصفية الجو لكي يعرف معظم الامريكيين ما الذي جرى واسباب حدوثه. وآمل ايضا ان نتمكن جميعا من العودة الى مزاولة اعمالنا في السعي من أجل حل المشكلات كلها، الداخلية والخارجية".

قُصارى جهده

كتب توماس جفرسون، الرئيس الثالث للولايات المتحدة (١٨٠١ - ١٨٠٩)، مرة يقول ان الرئاسة ليست "سوى تعاسة رائعة". ووصفت وليم هوارد تافت، الرئيس الامريكي السابع والعشرون (١٩٠٩ - ١٩١٣)، البيت الابيض بانه "أكثر اماكن العالم وحدة". وسماه وارين هاردينغ، الرئيس التاسع والعشرون (١٩٢١ - ١٩٢٣)، "السجن". وكان الناس على الدوام يسألونني: "أليس الحمل ثقيلا الى حد حرمانك النوم؟" او: "أليست الضغوط كافية لتكدير ذهنك؟" وكنت اجيبهم: "كلا، على

الاطلاق"، لاني لم اشعر من قبل بصحة افضل ولم يكن ذهني اشد صفاء، ولا اذكر اني خبرت تجربة اشد امتاعا. والحق اني كنت اتشوق الى بزوغ النهار ومباشرة عملي.

وأحدُ الاسباب التي جعلتني احب البيت الابيض ذلك المستوى الرفيع الذي يتسّم به الموظفون الدائمون. وكنا نرغب في ان يسود ارجاء المنزل جو عائلي حقيقي. ولذا عمدت بيتي منذ البداية الى ان تُحيي موظفي البيت الابيض بقولها: "مرحبا" او "وداعا" او، في احيان اكثر، "شكرا". وكانت ودودة وحارة، الا انها تحيرت لعدم استجابتهم لملاطفاتها. وما لبثت ان اكتشفت انهم تلقوا تعليمات ايام نيكسون، من قبل اعوانه، بألا يستجيبوا لمثل هذه الملاحظات التي قد يخاطبهم بها رئيس الجمهورية او السيدة الاولى. فأوقفنا تلك العادة، وغدا الجو بين عشية وضحاها مرحا مرة أخرى.

اما السبب الثاني فهو الحس التاريخي الذي يكتنف المكان. والواقع ان مكتب الرئيس البيضوي كان فسيحا ومريحا وملهما. وكنت اعلم ان في امكاني كرئيس ان افعل امورا كبيرة عظيمة الشأن. لكني لم أجلس يوما على الكرسي وراء طاولتي قائلا لنفسي: "اني رجل قوي، واستطيع ان اضغط زرا او أسحب مفتاحا وسيحدث كذا وكذا". بل، على نقيض ذلك، فكرت في الرؤساء الذين سبقوني والقرارات التي وجب عليهم اتخاذها، وحاولت ان اقرن بينها وبين تلك التي تواجهني.

وكنت احيانا في الليل الج الغرفة في الطابق الثاني حيث كان الرئيس ابراهام لينكولن يعقد اجتماعات حكومته، فأحس بأن التاريخ يملأ تلك الغرفة. وكنت أحيانا اجلس فيها بمفردي وانظر الى اللوحات والصور التي تعود الى عهد آخر، فأكاد اسمع اصواتا تعود الى ١١٠ اعوام خلت. وكنت أشعر دائما بالانتعاش حين اغادر الغرفة.

لقد جرت التقاليد على ان يمهل مراسلو الصحف في واشنطن الرئيس الجديد فترة مئة يوم لوضع نهج سياسته وتفسيرها قبل بدء مراقبتهم اياه عن كثب. ولما انتهت فترة المئة يوم في السادس عشر من نوفمبر (تشرين الثاني)، احسست بأني حققت بعض النجاح في علاج جراح الامة وتبريد حمم الزمان والمشاعر وجعل الشعب الامريكي يعلم اننا عازمون على معالجة الامور بحكمة وباسلوب عملي. والواقع ان المقيّمين الذين يحكمون على دوري كرئيس كانوا لا يزالون ينظرون في امر الحكم علي. ومع ذلك، فقد كانت لدي قناعة بأن الشعب الامريكي كان يثق بأني اعمل جادا في منصبي وان حكومتي تُقلّب الامور على مختلف وجوهها واننا نخطو الى الامام بصراحة وعلى نحو بنّاء.

ولاحظ جيمس رستون في تعليق نشرته "النيويورك تايمس" في مناسبة مرور مئة يوم على وجودي في الرئاسة ما يأتي: "اننا لم نحظ، منذ ايزنهاور، برجل دمث وطيب ومنفتح وغير متوتر في البيت الابيض. غير انه، في اخلاصه وطيبته، يعطي انطباعا بأننا لسنا في عصر ثوري، وانه ينبغي علينا بالتالي ألا نحدث تغييرات اساسية في حياة الاسر

والامم، بل يجب علينا فقط ان نكون صبورين وعاقلين، وسيكون كل شيء على خير ما يرام وهذا حقا حلم جميل. كما ان فورد شخص نزيه ...عث على التفاؤل. لكن واشنطن في ...برة من امره".

...لم يدرك رستون تماما انه كان ...وجب علينا ان نعزز الامور ونشدها ...ضا الى بعض قبل ان يمكننا البدء ...في احداث تلك "التغييرات ...ساسية" التي تحدّث عنها. لكني ...عرت بأن مقاله كان منصفا. أما ...ذي اصاب الهدف اكثر من غيره فقد ...ن التحليل الذي جاء في صحيفة ...وول ستريت جورنال" التي اشارت ...ى انه، في ما عدا تكرار الالتزام ...تخاذ اجراءات للاقتصاد في ...نفقات الحكومية، فان حكومتي ما ...ل عليها ان تعمل على وضع هدف ...يسي لها، شرط الا يكون ورد ذكره ...ي الرواية الآتية التي سردها احد ...ظفي الرئاسة:

تقدم مهاجر للفحص امام القاضي من أجل الحصول على الجنسية الامريكية. وراح القاضي يسرد اسماء شهيرة، وكان المهاجر يحاول تعريف اصحابها وذكر مكانتهم في التاريخ الامريكي. وصاح القاضي: "ابراهام لينكولن"، فأجاب المهاجر: "رئيس الولايات المتحدة". عندئذ سأله القاضي: "ولكن قل لي ما الذي فعله لينكولن؟"

واصرّ القاضي على سؤاله الاخير، وانتظر بالطبع ان يجيب المهاجر، مثلا، بأنه "حرّر العبيد" او "حافظ على الوحدة ايام الحرب الاهلية الامريكية بين ١٨٦١ و١٨٦٥". واخيرا اجاب المهاجر: "لقد فعل قصارى جهده".

وذلك لعمري فعل لا يستهان به في نظري. ولو شاء ذلك المهاجر في القصة ان يقول الشيء نفسه عن ايامي المئة الاولى في الرئاسة، لما ساءني ذلك مطلقا.

انحسار الحرية

كلما خضنا حروبا اكثر من أجل الحرية، نقصت حريتنا.

ك.غ.

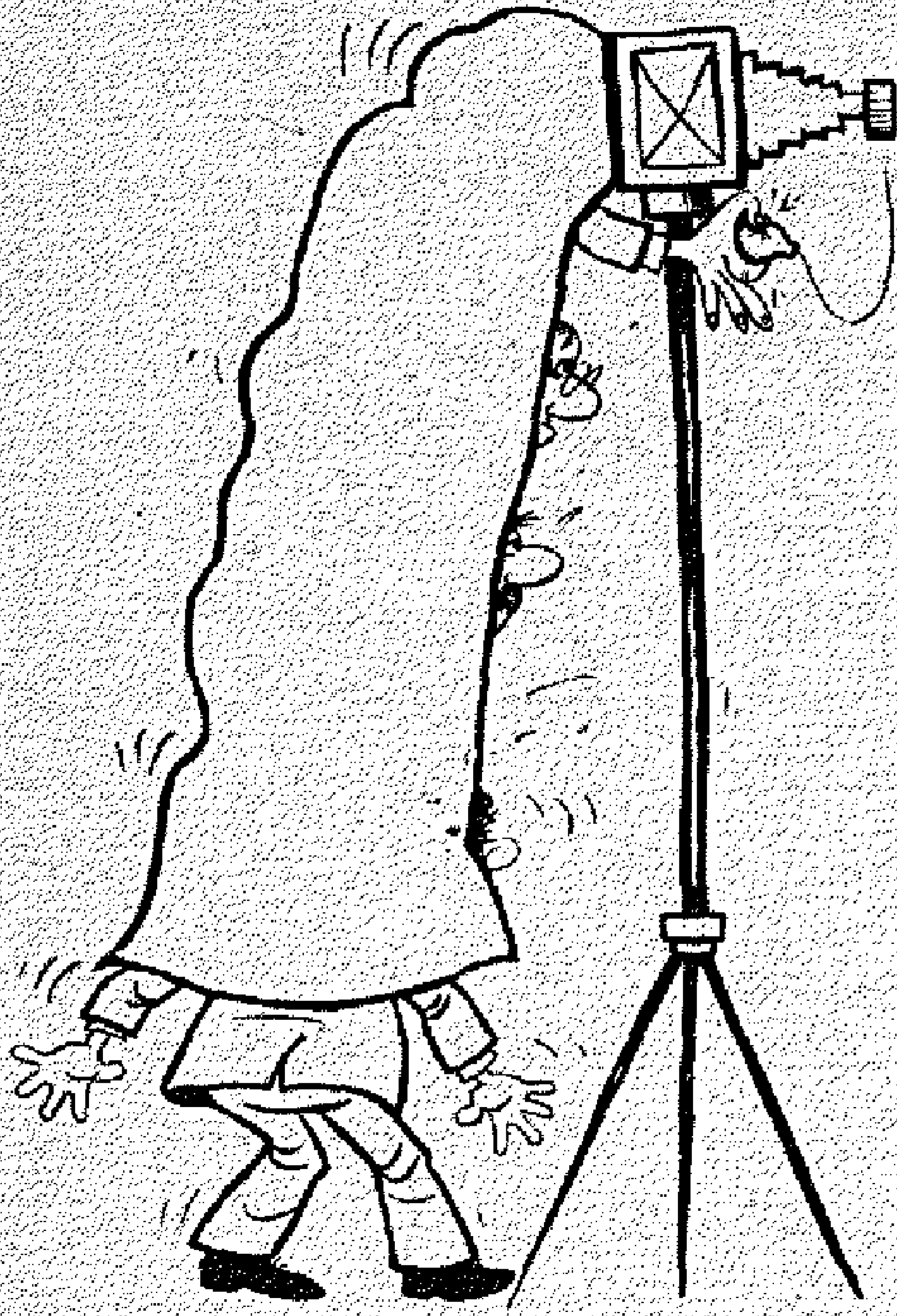
اثمن الممتلكات

قرب هايلبرون في ولاية ورتمبرغ في المانيا، تتربع مدينة فاينسبرغ على تل يطل على مزارع الكروم المحيطة. وفي كنيسة البلدة المبنية على الطراز الروماني لوحة مهداة "الى ذكرى الزوجات الوفيات". وما ان تبتعد مسافة كيلومتر حتى تواجهك آثار قلعة فايبرترو التي تعني "قلعة الزوجات الوفيات".

أما سر ذلك فهو قصة تفخر المنطقة برواياتها. ففي عام ١١٤٠، وخلال الصراع بين الغيلف والغيبلين، حاصر الامبراطور كونراد الثالث ابن فريدريك الثاني من سلالة هوهن شتاوفن المدينة وقلعتها حيث لجأ ابناء البلدة، ومنع الرجال المدافعين عن القلعة من مغادرتها، بينما سمح للنساء بالخروج وصرح لهن بنقل اثمن ممتلكاتهن. وعند ذاك حملت كل امرأة زوجها على ظهرها ورحلت.

(مجلة "صدى العالم"، فرنسا)

صور من الحياة



سر النظرة المميزة

في مذكراتها المعنونة "نفسي"، تكشف الممثلة الامريكية لورين باكال عن سر الشخصية السينمائية التي ميَّزتها، وهي شخصية مشوبة ببعض العدوانية، فتقول ان ذلك نجم عن حاجة طارئة فحسب.
فعند تصوير المشاهد الاولى لاول افلامها "ان تملك ولا تملك"، "سيطرت الرعشة على رأسي ويدي، وحتى على السيجارة بين اصابعي، وكدت اموت خوفا. وكلما حاولت ضبط نفسي، كنت ازداد ارتعاشا. ومع انتهاء اللقطة الثالثة او الرابعة، شعرت بان احدى الوسائل التي تمكنني من تثبيت رأسي المرتجف تكمن في خفضه بحيث ينحدر الذقن حتى يكاد يصل الى مستوى الصدر. وعند ذاك علي ان ارفع بصري في اتجاه همفري بوغارت. ونجحت الطريقة. وكانت تلك بداية النظرة المميزة".

م.ف.

امنية اينشتاين

كان النحات روبرت بيركس يضع اللمسات الاخيرة لتمثال البرت اينشتاين استعدادا للذكرى المئوية الاولى لميلاد العالم الكبير التي حلت خلال هذا الربيع. وعادت الذاكرة ببيركس الى يومي الثامن عشر والتاسع عشر من ابريل (نيسان) ١٩٥٣، حين جلس الرجل العجوز في مكتبه في برنستون (ولاية نيوجيرسي) واخذ يخربش على دفتر صغير فيما كان بيركس الشاب يحاول طبع ملامحه على الصلصال.
يقول بيركس: "سألته لماذا سمح لي باضاعة وقته. فرد اينشتاين بانه يدرك منذ زمن حاجة العالم الى ابطال. لذا، فان يكون هذا البطل شخصا غير مؤذ مثلي خير من ان يكون من طراز هتلر او موسوليني".
وحين انتهى بيركس، تطلع اينشتاين في الصلصال وقال: "لو قدر لي ان ابدأ حياتي من جديد، لصرت نحاتا".
وهنا تدخلت زوجة بيركس معلقة: "وهذا ما قاله ايضا للسمكري".

أ.م.

فن السياسة

حين كان الشيخ الامريكي رصل لونغ طالبا، انضم الى نادي المناظرات في مدرسته. وذهب الى عمه ايرل لونغ الذي كان نائبا لحاكم الولاية يطلب مشورته. فسأل العم: "ما عنوان موضوعك؟" فأجاب رصل الشاب: "هل يجب استخدام القيم المثالية في السياسة؟"
واذا بالعم المتمرس في الحياة السياسية يهتف: "بالطبع يا بني. السياسة تقتضي استخدام القيم المثالية واستخدام كل ما تقع عليه يدك".

ج.أ.

